

الفوائد الثلاثية من

الأحاديث النبوية

وهو كتاب يُهديك فوائد مستنبطة من أحاديث منتقاة لسيد الخلق ﷺ بأسلوب ميسر، مدعم بأقوال السلف والمحققين من العلماء، مقسم على دروس قصيرة تناسب قراءتها على جماعة المسجد أو في الملتقى الأسري أو ملتقى الأصدقاء
كتبه

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

مشرف مناهج العلوم الشرعية

بوزارة التربية والتعليم السعودية

الجزء الأول (١)

حقوق الطبع مباحة لكل مسلم
من غير تحريف أو تعديل أو إضافة

المقدمة

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد^(١):

فهذه أحاديث صحيحة منتقاة من أحاديث سيد الخلق ﷺ، ذيلتها بفوائد استنبطتها منها مباشرة بوجه من أوجه الدلالة، أو مما هو في موضوعها، وكتبتها بطريقة متوسطة بين الاختصار والتطويل، وبصياغة مناسبة لأهل العصر، كما حرصت على تنوعها؛ فلم أجعل لها ترتيباً معيناً لأنني لم أرد من الكتاب أن يكون كتاباً منهجياً؛ إنما على سبيل الفوائد واللطائف المتنوعة في أبواب الدين كله، والتي يمكن لعامة الناس الاستفادة منها، فهو أشبه بالبستان تقطف منه زهرة من أي موضع شئت، وحرصت أن تتضمن كل فائدة شيئاً جديداً يفيد القارئ والمستمع؛ لا أن تكون الفائدة تكراراً لشيء يعلمه الخاص والعام.

وقد اقتصر على استخراج ثلاث فوائد من كل حديث -غالباً- ليكون درساً واحداً يمكن قراءته في مجلس أو لقاء واحد، ويمكن مباحثة هذه الفوائد مع الإخوان في لقاءاتهم أو جماعة المسجد أو غيرهم، ولهذا سميتها: (الفوائد الثلاثية من الأحاديث النبوية)، وحرصت أن لا تتجاوز الفوائد صفحتين -غالباً-، وأرجأت ما قد يتضمنه الحديث من فوائد إضافية إلى أجزاء أخرى من هذا الكتاب، وللقارئ الكريم -وبخاصة من يقرؤه مع جماعة من الناس- أن يقتصر على فائدة أو فائدتين بحسب ما يراه من عدم التطويل؛ إذ أن كل فائدة منه مستقلة بنفسها لا ارتباط لها بغيرها، ويمكن في اللقاء التالي أن يعيد قراءة الحديث ثم يقرأ الفائدة الثانية أو الثالثة.

وقد وشحنته بنقولٍ موثقة عن أئمة الهدى ومصايح الدُّجى من أصحاب النبي ﷺ فمن بعدهم من علماء المسلمين إلى يومنا هذا، وبخاصة شيوخنا الأكابر رفع الله درجاتهم، وبارك في علومهم، فأبى شيء هو جامع هذا الكتاب إن لم يعتمد علوم الأئمة الكبار، ويتنقل بين روضات كتبهم، وأزاهير فهمهم المباركة، ومحاسن المنقول عنهم، فهذا العلم ميراثٌ يرثه اللاحق عن السابق، ولا ينبغي للناس أن ينقطعوا عن أعلامهم وأسلافهم، كما ينبغي لهم الارتباط بعلمائهم في كل مكان، فهم الذين

(١) هكذا السنة (أما بعد) كما هو متواتر عن النبي ﷺ، وبعض المتقدمين وكثير من المتأخرين يقولون أو يكتبون: وبعد، والثابت في السنة أولى لمن أراد الاقتداء، وبعضهم يزيد: (ثم) فيقول: (ثم أما بعد)، ولا أصل لها في هذا الموضوع ولا معنى، والله أعلم.

ينبرون لهم الطريق، ويبصرونهم من العمى، ويهدونهم من الضلالة؛ بما ينشرونه لهم من علم الكتاب والسنة، وقد وثقتُ جميع المنقولات من مصادرها غالبًا، وبالوساطة نادرًا.

على أني أنوي بإذن الله تعالى أن أكتب في معنى هذا الكتاب كتابًا آخر أستنبط فيه الفوائد من كلام الرب جل في علاه؛ ليكون قريبًا لهذا الكتاب نافعًا معه بإذن الله تعالى، بحيث يكون عنوانه إن شاء الله تعالى: (الفوائد الثلاثية من الآيات القرآنية)، أسأل الله تعالى أن يعزم لي فيه بخير.

وختامًا أسأل الله تعالى أن يجعله كتابًا نافعًا مباركًا، وأن يخلص لي فيه النية، ويثيبني على ما كتبه فيه، وأن يعاملني بلطفه ورحمته وكرمه، ويجزل لي عطاءه، ويعفو عما قد يكون فيه من الزلل والتقصير الذي لا يسلم منه الأكابر فكيف بمن لا يلحق غبارهم، كما أسأله تعالى أن ينفع به جميع المسلمين، وأخص منهم كلَّ من نظر فيه واستفاد منه، أو نصح لمؤلفه، أو دعا له، كما أسأله جل وعلا أن يغفر لي ولوالديّ ووالديهم، وإخواني وأخواني وأزواجنا وذرياتنا وجميع المسلمين، وأخص منهم علماء المسلمين الذين ورثوا لنا علمًا نافعًا مباركًا، وجميع شيوخنا وأساتذتنا وتلاميذنا، وأسأله جل في علاه أن يجعل مثوانا الفردوس الأعلى من الجنة ... آمين؟؟

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين؟؟؟

كتبه الفقير إلى الله تعالى

عبد الرحمن بن فهد الودعان الدوسري

awadaan@gmail.com

النِيَّةُ وأثرها في الأعمال

١- عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مِمَّا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: النِيَّةُ عليها مدارُ جميع الأعمال، فَتَصْرُفَاتِ الْمُكَلَّفِ تَابِعَةٌ لِنِيَّتِهِ؛ فَتَكُونُ صَاحِبَةً إِذَا كَانَ الْقَصْدُ صَاحِبًا، وَتَكُونُ فَاسِدَةً إِذَا كَانَ الْقَصْدُ فَاسِدًا، فَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ بِالْعَمَلِ وَجَهَ اللَّهُ تَعَالَى فَعَمَلُهُ مَقْبُولٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى فَعَمَلُهُ رِيَاءٌ مَرْدُودٌ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: مَنْ حَسَّنَ صَلَاتَهُ اتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ، وَطَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُخْلِصٌ مُثَابٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَنْ حَسَّنَهَا لِيَرَاهُ النَّاسُ فَهُوَ مُرَاءٍ آثِمٌ، وَمَنْ دَفَعَ صَدَقَةً لِفَقِيرٍ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُخْلِصٌ مُثَابٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَنْ دَفَعَهَا لِيُثَنِّي عَلَيْهِ النَّاسُ فَهُوَ مُرَاءٍ آثِمٌ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْحِرْصُ عَلَى تَصْحِيحِ نِيَّتِهِ، وَتَنْقِيَتِهَا مِمَّا قَدْ يَشْوِبُهَا مِنَ الرِّيَاءِ؛ لِيَكُونَ عَمَلُهُ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى، مَعَ تَابِعَتِهِ لِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَعْمَلُهُ؛ لِيَكُونَ مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

الفائدة الثانية: تَحْصِيلُ الثَّوَابِ مَوْقُوفٌ عَلَى النِّيَّةِ، وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْفِقْهِيَّةِ الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا الْفُقَهَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَاعِدَةٌ: «لَا ثَوَابَ إِلَّا بِنِيَّةٍ» (٢)، فَكُلُّ عَمَلٍ عَارٍ عَنِ النِّيَّةِ فَلَا ثَوَابَ فِيهِ، فَالْمُكْتَبُ فِي الْمَسْجِدِ بِنِيَّةِ الْاِعْتِكَافِ أَوْ اِنْتِظَارِ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ يُثَابُ عَلَيْهِ، وَمُحَرِّدُ الْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ بِغَيْرِ نِيَّةٍ لَا ثَوَابَ فِيهِ، وَالِاغْتِسَالُ لِلطَّهَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ يُثَابُ عَلَيْهِ، وَالِاغْتِسَالُ لِمُحَرِّدِ اللَّهْوِ أَوْ التَّبَرُّدِ لَا ثَوَابَ فِيهِ.

الفائدة الثالثة: بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ تَتَحَوَّلُ الْعَادَاتُ إِلَى عِبَادَاتٍ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْمَلَ الْمُسْلِمُ شَيْئًا مِنَ الْمُبَاحَاتِ، وَيَنْوِي بِهِ أَنْ يَكُونَ وَسِيلَةً لِمَا أَمَرَ بِهِ شَرْعًا، أَوْ يَنْوِي بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ يُوجِرُ عَلَيْهِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ، إِذَا نَوَى التَّقْوَى بِهَمَّا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى أُثِيبَ عَلَى ذَلِكَ، وَمِثَالُ: النَّوْمُ، إِذَا نَوَى بِهِ التَّقْوَى عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ أُثِيبَ

(١) رواه البخاري في كتاب الحَيْلِ، بَابُ فِي تَرْكِ الْحَيْلِ وَأَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فِي الْأَمَانِ وَغَيْرِهَا ٦/٢٥٥١ (٦٥٥٣)، وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْعَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ٣/١٥١٥ (١٩٠٧)، وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٢) ينظر: الوجيز في القواعد الفقهية، للدكتور محمد صليحي البورنو ص ٦٣، والأشياء والنظائر، لابن نجيم الحنفي ص ١٩.

عَلَيْهِ، وَلَمَّا سَأَلَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ كَيْفِيَّةِ قِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ. قَالَ مُعَاذٌ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي. رواه البخاري^(١)، وفي رواية لابن أبي شيبَةَ وغيره: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَأَتَقَوَّى بِهِ عَلَى آخِرِهِ، وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَجْرَ فِي رَقْدَتِي كَمَا أَرْجُوهُ فِي يَقْظَتِي.^(٢) وقال التابعيُّ الجليلُ زَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ الياميُّ رحمه الله: يَسْرُنِي أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ، حَتَّى فِي الْأَكْلِ وَالنَّوْمِ.^(٣)

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع ٤/١٥٧٨ (٤٠٨٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبَةَ ٢/٧٣ (٦٦١٦)، وأبو عوانة في مسنده ٥/١٠١ (٧٩٥١)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/٤٠٢ (٢٢٠٠).

(٣) شعب الإيمان ٥/٣٥٠، صفة الصفوة ٣/٩٩.

شُعْبُ الْإِيمَانِ

٢- عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». رواه مسلم، وأصله في البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الإيمان: قولٌ باللسان، ومنه: قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وتصديقٌ بالقلب، ومن عمل القلب: الحياء، وعملٌ بالجوارح الظاهرة، ومنه: إماطة الأذى عن الطريق، والإيمان يريد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، فلا يكفي في الإيمان مجرد تصديق القلب كما يقوله بعض أهل البدع كالكرامية، ولا مجرد قول اللسان وتصديق القلب كما يقوله بعض أهل البدع كالمُرَجَّعة، ولا مجرد عمل الجوارح مع فساد الباطن كما هو حال المنافقين، بل لا بُدَّ من اجتماع هذه الثلاثة.

الفائدة الثانية: من سعة فضل الله تعالى أن جعل الإيمان شعباً وخصلاً مُتَعَدِّدَةً، كلما عمل المسلم بشعبة منها زاد إيمانه وعظم أجره، وقد نوع الشرع بين هذه الشعب في الحكم كما نوع بينها في المراتبة؛ فمنها ما لا يصح الإيمان إلا به، مثل: قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ومنها ما هو واجب، مثل: برّ الوالدين، ومنها ما هو من مكارم الأخلاق، مثل: الحياء، ومنها ما هو من الآداب الشرعية، مثل: إماطة الأذى عن الطريق.

الفائدة الثالثة: جعل الإسلام من أعمال الإيمان: تنظيم حياة المسلم الاعتقادية، والاجتماعية، والمالية، وغيرها، وهذا يدفع المؤمن للعمل؛ لأنه يرجو بذلك وجه الله تعالى وثوابه؛ إذ كل عمل صالح يعملهُ المؤمن وهو يتعني به وجه الله تعالى، ويوافق فيه شريعة محمد ﷺ فهو عملٌ يثاب عليه؛ سواء أكان عبادةً مُحَضَّةً، أم شأنًا من شؤون الحياة الدنيا، وكثيرٌ من الناس يُحرم ثواب كثيرٍ من

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان ١/٦٣ (٣٥)، وأصل الحديث في البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان ١/١٢ (٩)، ولفظه: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، فليس فيه ذكر أعلاها وأدناها، وقال: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ»، وقوله: «بِضْعٌ» معناه: العدد ما بين ٣ إلى ٩، و«شعبة»: قطعة، والمراد الحصلة أو الجزء.

عَمَلِهِ بِسَبَبِ تَقْصِيرِهِ فِي النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، أَوْ عَدَمِ مَوَافَقَتِهِ لِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: خَصَلَتَا حُرْمَتَا النَّاسِ: الْحِسْبَةُ فِي الْكَسْبِ، وَالْحِسْبَةُ فِي النَّفَقَةِ. (١)

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٦ / ٤٢٠ (٨٧٣٩).

الدعوة إلى التوحيد

٣- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فُتْرَدُ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ». متفق عليه (١).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: أوَّل الواجبات الشرعية هو توحيد الله تعالى، ونفي الشريك عنه، ومعنى التوحيد: إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا يُدعى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستَعانُ إلا بالله وحده لا شريك له، ولا يُذبح إلا لله وحده لا شريك له، ولا يُندَرُ إلا لله وحده لا شريك له، ولا يُتَوَكَّلُ إلا على الله وحده لا شريك له، ولا يُخَافُ خَوْفَ السَّرِّ إلا من الله وحده لا شريك له (٢)، وهكذا جميع أنواع العبادة لا تُصرف إلا لله وحده لا شريك له، وهذا هو معنى كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، ولهذا جاء في رواية للحديث عند البخاري: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى» (٣)، وفي رواية هُما: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ» (٤).

الفائدة الثانية: دلَّ الحديث على بطلان قول المتكلمين: إنَّ أوَّل الواجبات معرفة الله تعالى المعرفة المُجرَّدة (٥)، أو النظر في معرفة الله، أو القصد إلى ذلك النظر، أو الشك؛ على الاختلاف المشهور فيما بينهم، حيث لم يأمرهم النبي ﷺ بشيء من ذلك بل بدأ بأمرهم بالتوحيد. وقولهم

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وتُرَدُّ في الفقراء حيث كانوا ٥٤٤/٢ (١٤٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرايع الإسلام ٥٠/١ (١٩).

(٢) خوف السر هو: أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقاد للضرر في غير الله، قال الله تعالى: (فإياي فارهبون)، وقال تعالى: (فلا تخشوا الناس واحشون) (ينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٢٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ٢٦٨٥/٦ (٦٩٣٧).

(٤) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٥٢٩/٢ (١٣٨٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرايع الإسلام ٥٠/١ (١٩).

(٥) هذه المعرفة فطرية يقر بها عامة الناس من جميع الأديان والملل، ولا ينكرها إلا جاحد، فهي لا تُدخل أحدا في الإسلام، ولا تنجيه من النار.

هذا مخالفٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمَا بُعِثَ بِهِ الرَّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلِمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ^(١)، قَالَ ابْنُ أَبِي الْعَزِّزِ الْحَنْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَا الشُّكُّ؛ كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَدْمُومِ، بَلْ أَيْمَةُ السَّلَفِ كُلِّهِمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ.^(٢)

الفائدة الثالثة: لقد كانت مُهِمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْأُولَى هِيَ: الْأَمْرُ بِالتَّوْحِيدِ وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّرْكِ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَمَرَهُ بِدَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الشَّرْكِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)^(٣)، وَقَالَ تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)^(٤)، وَهَذَا يَجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْحِرْصُ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَنَبْذِ الشَّرْكِ، وَبِخَاصَّةٍ فِي الْمَنَاطِقِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الشَّرْكَ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا مِنْ مَنَهَجِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَعْوَةُ أَنْاسٍ إِلَى فُرُوعِ الشَّرِيعَةِ وَتَفَاصِيلِهَا وَإِهْمَالُ دَعْوَتِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَنَبْذِ الشَّرْكِ، وَهُمْ وَاقِعُونَ فِي الشَّرْكِ الْأَكْبَرِ الْمُخْرِجِ عَنِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.

(١) ينظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٦/٣٢، وتفسير القرطبي ٣٣١/٧، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣١/١٦، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/٨-٣٧، و٣٥٥-٣٥٣/٧، والاستقامة ١٤٢/١ كلاهما لابن تيمية، ومدايح السالكين ٤٤٣/٣ وما بعدها لابن القيم، وفتح الباري ٣٤٩/١٣-٣٥٥، و٧٠/١-٧١، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٧٥، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ١٠١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٧٥.

(٣) سورة النحل آية ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء عليهم السلام آية ٢٥.

فعل الخير للناس

٤- عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْحَاحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ؛ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: هذا الحديث من جوامع كلمه وبديع حكمه ﷺ (١)، فقد وضع فيه النبي ﷺ قاعدةً مهمّةً في التعامل بين الناس فينبغي الاعتناء بها، وهي: (أن الإنسان ينبغي له أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحبُّ أن يفعلوه معه)، فهذه القاعدة النبويّة تدعوك إلى التعامل مع الناس كما تحبُّ أن يتعاملوا به معك في جميع التعاملات، وكلِّ الأحوال، كما تعلّمنا هذه القاعدة النبويّة الشريفة: ترك الكذب والخيانة، وردّ الحقوق من الأمانات والعواري والديون إلى أهلها، وخلاصة ذلك: ضَعْ نَفْسَكَ فِي أَيْ مَوْقِفٍ، ثُمَّ انظُرْ مَاذَا تُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ بِكَ، فافعله مع غيرك في الموقف نفسه، ولو عمل الناس بهذه القاعدة الجليّة لم يؤذ بعضهم بعضًا بغشٍّ أو كذبٍ أو غير ذلك، ولم تتعطل مصالحهم الدنيويّة ولا الدنيويّة.

الفائدة الثانية: أهمّ مقاصد المسلم: النجاة من النار ودخول الجنة، ولذا فإنه يتعيّن عليه السعي في تحصيل كلّ ما يحقّق له هذه الغاية العظيمة، وقد بيّنها النبي ﷺ في هذا الحديث وأجلها في أمرين عظيمين: **أولُهُما:** الإحسان في التعامل مع الخالق سبحانه وتعالى، وذلك بالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والعمل بمقتضى هذا الإيمان، **وثانيُهُما:** الإحسان في التعامل مع الخلق؛ بأن يحبُّ المسلم لأخيه ما يحبُّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

الفائدة الثالثة: دلّ الحديث على أن من أسباب دخول الجنة: حسن الخلق، وإشاعة المحبّة والألفة بين المسلمين، وذلك بوضع هذه القاعدة العظيمة في التعامل، وهي قوله ﷺ: «وَلَيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» فإن من أتى للناس ما يحبُّ أن يفعلوه معه؛ لم يعاملهم إلا بالمحبّة وحسن الخلق.

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ٣/١٤٧٢ (١٨٤٤)، ومعنى قوله: «يرحح»،: يباعد، و«منيته»: الموت، و«ليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه»: ليعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣٣/١٢.

إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ

٥- عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: تَخَلَّفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنَّا فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الْعَصْرَ، فَجَعَلْنَا نَتَوَضَّأُ وَنَمْسُحُ عَلَى أَرْجُلِنَا (وفي لفظ: وَأَعْقَابُهُمْ تَلُوحٌ لَمْ يَمْسَسْهَا الْمَاءُ)، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يَجِبُ عَلَى الْمُتَوَضِّئِ أَنْ يُسَبِّحَ الْوُضُوءَ عَلَى جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ الْوَاجِبِ تَطْهِيرُهَا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَفَقَّدَ عَقْبَيْ قَدَمَيْهِ، وَمِرْفَقَيْهِ، وَمَا بَيْنَ أَصَابِعِ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، وَيُزِيلُ مَا قَدْ يِعْلَقُ بِهَا مِمَّا يَمْنَعُ وُضُوءَ الْمَاءِ إِلَى الْبَشْرَةِ كَالْأَصْبَاغِ وَنَحْوِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوُضُوءَ لَا يَتِمُّ إِلَّا إِذَا طَهَّرَ أَعْضَاءَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ لَمْ يَتَوَضَّأْ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلِذَلِكَ حَذَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ، وَخَاصَّةِ الْعَقَبِ، وَهُوَ مُؤَخَّرُ الْقَدَمِ.

الفائدة الثانية: مَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ لَمْ يَصِحَّ وُضُوءُهُ، فَإِنْ طَالَ الْفَصْلُ وَجَبَ عَلَيْهِ إِعَادَةُ الْوُضُوءِ مِنْ أَوَّلِهِ؛ مُرَاعَاةً لِلْمُوَالَاةِ بَيْنَ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ قَدْ طَالَ الْفَصْلُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَغْسِلَ الْعَضْوَةَ الْمَتْرُوكَةَ، ثُمَّ مَا بَعْدَهُ؛ مُرَاعَاةً لِلْمُوَالَاةِ وَالتَّرْتِيبِ بَيْنَ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ صَاحِبِ اللَّمْعَةِ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّ رَجُلًا تَوَضَّأَ فَتَرَكَ مَوْضِعَ ظُقْرِ عَلَى قَدَمِهِ، فَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءَكَ»، فَارْجَعَ ثُمَّ صَلَّى. رواه مسلم. (٢)

الفائدة الثالثة: دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّهُ لَا يُجْزَى مَسْحُ الْقَدَمَيْنِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا جَوْرَبَانِ، خِلَافًا لِلشَّيْخَةِ الَّذِينَ يَكْتَفُونَ بِمَسْحِهِمَا وَهُمَا بَعِيرِ جَوْرَبَيْنِ، قَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- عَقِبَ إِخْرَاجِ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مُخْتَصَرًا: وَفَقَهُ هَذَا الْحَدِيثُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْمَسْحُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا حُقَّانِ أَوْ جَوْرَبَانِ. اهـ (٣) وَقَدْ بَوَّبَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ: بَابُ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ، وَلَا يَمْسَحُ عَلَى الْقَدَمَيْنِ.

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين ١/٧٢ (١٦١)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما ١/٢١٤ (٢٤١)، والرواية المشار إليها منه.

(٢) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة ١/٢١٥ (٢٤٣).

(٣) سنن الترمذي ١/٥٩ على الحديث رقم (٤١).

الرِّيَاءُ وَالسَّمْعَةُ

٦- عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ سَمْعَ اللَّهِ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَقْصِدَ بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَالِدَارَ الْآخِرَةَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً) (٢)، وقال: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (٣)، وَالْمُرَاءَةُ بِالْعَمَلِ حَرَامٌ، وَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى عُقُوبَةِ الْمُرَائِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ- إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الرِّيَاءِ- وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعَامِلُ الْمُرَائِيَّ بِجِنْسِ مَا عَمَلَهُ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْضَحُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُرِيهِ ثَوَابَ أَعْمَالِهِ، ثُمَّ يَحْرِمُهُ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَرَوْنَ، وَهَذَا جَارٍ عَلَى قَاعِدَةٍ: «الْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ».

الفائدة الثانية: الرِّيَاءُ لَوْ نُزِيَ مِنَ الْوَأْنِ الْكُذِبِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشُّرْكِ الْأَصْغَرِ، وَإِذَا دَخَلَ عَلَى الْعَمَلِ أَفْسَدَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَقْبَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا بِشَرْطَيْنِ؛ **أَوَّلُهُمَا:** الْإِحْلَاصُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالثَّانِي: مُوَافَقَةُ شَرِيعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْحَذَرُ مِنَ الرِّيَاءِ ابْتِدَاءً، وَمُجَاهَدَةُ النَّفْسِ فِي تَجَنُّبِهِ إِذَا طَرَأَ عَلَى الْعَمَلِ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ». رواه مسلم. (٤)

الفائدة الثالثة: لَا يَنْبَغِي تَرْكُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ إِنَّمَا يَعْمَلُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ قَدْ يَكُونُ بِمَرَأَى مِنَ النَّاسِ، فَيَأْتِي الشَّيْطَانُ إِلَى الْمُسْلِمِ لِيَتَّبِعَهُ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ فَيُوهِمُهُ أَنَّهُ يُرَائِي الْآخَرِينَ، فَإِذَا حَصَلَ هَذَا فَلْيَدْفَعْهُ الْمُسْلِمُ عَنْهُ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَلَا يَتْرِكِ الْعَمَلَ، وَهَكَذَا إِذَا عَرَّضَ لَهُ الشَّيْطَانُ فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ لِيَتَّبِعَهُ عَنْهُ فَلَا يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، وَلْيَدْفَعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، وَيَتِمَّ عَمَلَهُ الصَّالِحَ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة ٣٣٦/١١ (٦٤٩٩)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ٢٢٨٩/٤ (٢٩٨٧)، وقوله: «سمع» يعني: قال قولاً يسمعه الناس رياءً، وقوله: «يرائي» يعني: يعمل العمل ليراه الناس فيحمدوه عليه، وقوله: «سمع الله به، ويرائي الله به» معناه: فضحه يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيريه ثواب أعماله، ثم يحرمه منها والناس يرون.

(٢) سورة البينة آية ٥.

(٣) سورة الكهف آية ١١٠.

(٤) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله ٢٢٨٩/٤ (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تعالى: مَا مِنْ أَحَدٍ عَمِلَ عَمَلًا إِلَّا سَارَ فِي قَلْبِهِ سَوْرَتَانِ، فَإِذَا كَانَتِ الْأُولَى مِنْهُمَا لِلَّهِ فَلَا تُحِيدَنَّهُ
 الْآخِرَةَ^(١)، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الْمَعْنَى: إِذَا أَرَادَ فِعْلًا وَصَحَّتْ نِيَّتُهُ فِيهِ فَوَسَّوَسَ لَهُ
 الشَّيْطَانُ فَقَالَ: إِنَّكَ تُرِيدُ بِهَذَا الرِّيَاءَ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ عَنِ فِعْلِهِ. اهـ^(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية
 رحمه الله: وَمَنْ كَانَ لَهُ وَرْدٌ مَشْرُوعٌ مِنْ صَلَاةِ الضُّحَى أَوْ قِيَامِ لَيْلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُصَلِّيهِ حَيْثُ
 كَانَ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَدَعَ وَرْدَهُ الْمَشْرُوعَ لِأَجْلِ كَوْنِهِ بَيْنَ النَّاسِ - إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ
 سِرًّا لِلَّهِ - مَعَ اجْتِهَادِهِ فِي سَلَامَتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَمُفْسِدَاتِ الْإِخْلَاصِ... وَمَنْ نَهَى عَنِ أَمْرِ مَشْرُوعٍ
 بِمَجَرَّدِ زَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ رِيَاءٌ فَنَهَيْهِ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ... وَالْأَعْمَالُ الْمَشْرُوعَةُ لَا يُنْهَى عَنْهَا خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ؛
 بَلْ يُؤْمَرُ بِهَا، وَبِالْإِخْلَاصِ فِيهَا. اهـ^(٣)

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣٤٨/٥ (٦٨٨٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث و الأثر ٢٨٦/٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧٣/٢٣ - ١٧٤.

فضل الله في الحسنات والسيئات

٧- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا وَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث أن المسلم في فعل الحسنات والسيئات على أربعة أحوال:

الحال الأولى: أن يعزم على فعل الحسنة ولا يعملها، فهذا يثيبه الله تعالى على عزمه بأن يكتبها له حسنة كاملة، وقال: «كاملة» حتى لا يُظنَّ فيها نقص بوجه من الوجوه.

الحال الثانية: أن يفعل الحسنة، فهذا يثيبه الله تعالى عليها بأن يكتبها له عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضغاف كثيرة، وذلك بحسب ما يحتفُّ بهذه الحسنة من قوة الإخلاص وحسن المتابعة للسنة، وتعدّي النفع إلى الآخرين من عدمه، وغير ذلك من أسباب المضاعفة.

الحال الثالثة: أن يعزم على فعل السيئة ولا يعملها خوفاً من الله تعالى، فهذا يثيبه الله تعالى على تركه للسيئة بأن يكتب له حسنة كاملة، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «وإن تركها فآكثبها له حسنة، إنما تركها من جرائي» (٢)، يعني خوفاً من الله تعالى، وقال في هذا الحديث: «كاملة» حتى لا يُظنَّ فيها نقص بوجه من الوجوه.

الحال الرابعة: أن يفعل السيئة، فيكتبها الله عليه سيئة واحدة، وقال: «واحدة» حتى لا يُظنَّ فيها زيادة بوجه من الوجوه.

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة ٢٣٨٠/٥ (٦١٢٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب ١١٨/١ (١٣١)، وقوله: «كتب الحسنات والسيئات» يعني: قدرها، أو المعنى كتبها في اللوح المحفوظ، وقوله: «ثم بين ذلك»، أي: عرّف الملائكة ذلك التقدير، وقوله: «هم بحسنة... هم بسيئة»: عزم على فعلها.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ١١٧/١ (١٢٩).

الفائدة الثانية: أوّل درجات الشُّروع في الحَسَنَاتِ الهَمُّ بها؛ فينبغي للمُسلم إذا همَّ بأمرٍ خيرٍ أن يعقِدَ العزمَ على إِمضائه وإتمامه ليكتبَ اللهُ تعالى له حَسَنَةً مُضاعفةً، كما إن أوّل درجات الشُّروع في المَعْصِيَةِ الهَمُّ بها؛ فيجبُ على المُسلم إذا همَّ بأمرٍ سُوءٍ أن يعزمَ على اجْتِنَابِهِ حتّى لا يُكْتَبَ عَلَيْهِ بِهِ سَيِّئَةٌ، بل يُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ كَامِلَةٌ.

الفائدة الثالثة: في الحديثِ بيانُ عِظَمِ فَضْلِ اللهِ تعالى على عِبَادِهِ، وَكَمَالِ رَحْمَتِهِ بِهِمْ؛ حيثُ ضَاعَفَ هَمُّ الحَسَنَاتِ، وَلَمْ يُضَاعَفْ عَلَيْهِمُ السَّيِّئَاتِ، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)^(١)، وقد رَوَى الطبريُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه قال: «هَلَكَ مَنْ غَلَبَ أَحَادُهُ أَعْشَارُهُ»^(٢)، وَالْمَعْنَى: هَلَكَ مَنْ غَلَبَتْ سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتِهِ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ سَبِحَانَهُ أَنَّهُ يَكْتُبُ لِمَنْ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ ثُمَّ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَسَنَةً كَامِلَةً؛ كَمَا إِنَّهُ يَكْتُبُ لِمَنْ هَمَّ بِالْحَسَنَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا حَسَنَةً كَامِلَةً؛ فَيَا لَهُ مِنْ رَبِّ كَرِيمٍ حَلٍّ فِي عَمَلِهِ.

(١) سورة النساء آية ٤٠.

(٢) رواه الطبري في التفسير ١١/١٨٢.

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأئِمَّةِ

٨- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: وليُّ الأمر هو كُلُّ مَنْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُ وِلَايَةً عَلَى مَنْ تَحْتَهُ، وَعَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ مَنْ يَتَوَلَّى الْإِمَامَةَ الْعُظْمَى عَلَى الْبِلَادِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ وَنَحْوِهِمْ، وَيَدْخُلُ فِي وِلَاةِ الْأَمْرِ الْعُلَمَاءُ؛ حَيْثُ يُطَاعُونَ فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ مِنَ الْمُنْكَرِ، وَكُلُّ مَنْ وُلِّئَهُ السُّلْطَانُ وَوِلَايَةٌ مِنَ الْوِلَايَاتِ فَإِنَّهُ يُطَاعُ فِيهَا بِالْمَعْرُوفِ.

الفائدة الثانية: لَقَدْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى طَاعَةَ وِلَاةِ الْأَمْرِ فِيمَا يَأْمُرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ؛ وَسِوَاهُ أَكَانَ ذَلِكَ بِمَا يُحِبُّهُ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ أَمْ فِيمَا يَكْرَهُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ الْبِلَادُ، وَيَأْمَنَ الْعِبَادُ مِنْ غَيْرِ طَاعَةِ الْوِلَاةِ؛ وَلَكِنَّ الشَّرْعَ جَعَلَ لِهَذِهِ الطَّاعَةِ حَدًّا لَا يُجُوزُ تَجَاوُزُهُ، وَهُوَ: أَنْ لَا يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْمَعْرُوفِ؛ فَلَا طَاعَةَ لَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى، وَفِي هَذَا تَنْبِيْهِ لِأَمْرَيْنِ: **أَوَّلُهُمَا:** عَلَى وَليِّ الْأَمْرِ أَنْ يَجْتَنِبَ الْأَمْرَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى، وَثَانِيَهُمَا: عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا أَنْ يُقَدِّمُوا طَاعَةَ اللهِ تَعَالَى عَلَى طَاعَةِ كُلِّ أَحَدٍ، فَإِنَّ الْأَصْلَ أَنَّ طَاعَةَ الْوِلَاةِ مِنَ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ مَأْمُورًا بِطَاعَتِهِمْ فِيمَا يُنَاقِضُ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى وَشَرِيعَتَهُ.

الفائدة الثالثة: إِذَا أَمَرَ وَليُّ الْأَمْرِ بِمَا فِيهِ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ فَقَطُّ، لَا فِي مُطْلَقِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ، بَلْ يُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ مِرَاجَعَتُهُ وَمُنَاصَحَتُهُ بِالْحِكْمَةِ، كَمَا إِنَّ عَلَيْهِ مِرَاجَعَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ - فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ - لِيَعْلَمَ كَوْنَ الشَّيْءِ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي أَوْ لَيْسَ كَذَلِكَ.

(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام، باب السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً ٦/٢٦١٢ (٦٧٢٥)، ومسلم في كتاب الإمامة، باب وُجُوبِ طَاعَةِ الْأَمْرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ ٣/١٤٦٩ (١٨٣٩).

الْوُضُوءُ مِنْ أَكْلِ لُحُومِ الْإِبِلِ

٩- عن جابر بن سمرة - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْعَنَمِ؟» قَالَ: «إِنْ شِئْتَ فَتَوَضَّأْ، وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تَوَضَّأْ»، قَالَ: «أَتَوَضَّأُ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ؟» قَالَ: «نَعَمْ، فَتَوَضَّأْ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ»، قَالَ: «أَصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْعَنَمِ؟» قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: «أَصَلِّي فِي مَبَارِكِ الْإِبِلِ؟» قَالَ: «لَا». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: من نواقض الوضوء: أكل لحم الإبل، وهذا هو الصحيح من قول العلماء - رحمهم الله تعالى - لهذا الحديث الصحيح وغيره، وهو قول الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية ويحيى بن يحيى، وحكي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: زيد بن ثابت وابن عمر وأبو موسى وأبو طلحة وأبو هريرة وعائشة وجابر بن سمرة رضي الله عنهم، وبه قال: محمد بن إسحاق وأبو ثور وأبو خيثمة، واختاره أبو بكر بن خزيمة وابن حبان وابن المنذر، وهو مذهب الشافعي القديم، وقد اختاره جمع من محققي الشافعية كالبيهقي والنووي، قال النووي رحمه الله تعالى: والقديم أنه ينتقض، وهو ضعيف عند الأصحاب، ولكنه هو القوي أو الصحيح من حيث الدليل، وهو الذي اعتقد رجحانه، وقد أشار البيهقي إلى ترجيحه واختياره والذب عنه. اهـ (١)

الفائدة الثانية: دل الحديث على أن الذي ينتقض الوضوء هو لحم الإبل خاصة، فلا ينتقض الوضوء بشرب ألبانها، ولا مرقها، قال شيخنا العلامة ابن باز رحمه الله تعالى: لا يجب الوضوء من مرق لحم الجمال، ولا الطعام الذي طبخ به لحم الجمال، ولا من لبن الإبل، وإنما يجب الوضوء من أكل لحم الإبل خاصة في أصح أقوال العلماء... قال: والمرق لا يسمى لحماً، وهكذا الطعام واللبن، ومثل هذه الأمور توقيفية لا تدخل للقياس فيها، والله أعلم. اهـ (٢)

(١) رواه مسلم في كتاب الحيض، باب الوضوء من لحوم الإبل ٢٧٥/١ (٣٦٠)، وقد صححه كثير من الأئمة غير مسلم، منهم: أحمد وإسحاق بن راهوية (تنقيح تحقيق أحاديث التعليق ١٧٥/١)، وابن منده (البدل المنير ٤١٠/٢) وقال أبو بكر بن خزيمة (في صحيحه ٢١/١) عقب روايته للحديث: لم تر خلافاً بين علماء أهل الحديث أن هذا الخبر صحيح من جهة النقل. اهـ

(٢) المجموع ٦٩/٢ - ٧٠، وينظر: سنن البيهقي ١٥٨/١ - ١٥٩، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ٢٤٩/١ - ٢٥٦.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز ١٥٧/١٠ بتصرف يسير.

الفائدة الثالثة: مَنْ أظعمَ قوماً حَتمَ إِبِلٍ وأرادوا الصلاةَ فيجبُ عليه أن يُخبرَهُم بذلكَ لئلاَّ يُفسدَ عليهمَ صلاتَهُم، وذلكَ لأنَّ حَتمَ الإِبِلِ ينقضُ الطهارةَ بدلالةِ الحديثِ، فَوَجِبَ إخبارُهُم بما أفسدَ طهارَتَهُم حتى لا يُصلُّوا بِعَيرٍ وُضوءٍ، قالَ العلامَةُ ابنُ عثيمين رحمهُ اللهُ تعالى: وقد سُئلَ عن شخصٍ أَكَلَ حَتمَ إِبِلٍ عند شخصٍ آخَرَ، وَذَهَبَ لِلصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، فَهَلْ يَلزَمُهُ إِعْلَامُهُ أَمْ لَا؟ فقالَ-رحمهُ اللهُ تعالى-: نَعَمْ يَلزَمُ إِعْلَامُهُ؛ لأنَّ هَذَا مِنْ بابِ التَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى... وَعَلَى الرَّجُلِ أَنْ يُعِيدَ صَلَاتَهُ. اهـ^(١)

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١١/١٤٦.

فضل التَّطَهُّرِ فِي الْبَيْتِ وَالْمَشْيِ إِلَى الْمَسْجِدِ

١٠- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتِ مَنْ يُبُوتِ اللَّهَ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَاتُهُ: إِحْدَاهُمَا تُحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: السُّنَّةُ أَنْ يَتَوَضَّأَ الْمُسْلِمُ فِي بَيْتِهِ، وَيَذْهَبَ إِلَى الْمَسْجِدِ مُتَوَضِّئًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ»، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا يَشْمَلُ خُرُوجَهُ مِنْ أَيِّ مَوْضِعٍ هُوَ فِيهِ قَاصِدًا الْمَسْجِدَ؛ كَالْمَكْتَبِ أَوْ الْاسْتِرَاحَةِ أَوْ غَيْرِهِمَا؛ وَذَكَرَ الْبَيْتَ هُنَا لِلْغَالِبِ، وَمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَتَوَضَّأَ فِي دَوَارِ الْمِيَاهِ الْتَابِعَةِ لِلْمَسْجِدِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ يَفُوتُهُ فَضْلٌ كَبِيرٌ، وَمِنْهُ: أَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُ فَضْلُ الْمُصَلِّيِّ مِنْ حِينَ خُرُوجِهِ مِنْ بَيْتِهِ. (٢)

الفائدة الثانية: الْمَشْيُ إِلَى الْمَسْجِدِ أَفْضَلُ مِنَ الرُّكُوبِ؛ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتِ مَنْ يُبُوتِ اللَّهَ»، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أْبَعْدَهُمْ مَشَى؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أْبَعْدَهُمْ إِلَيْهَا مَشَى فَأْبَعْدَهُمْ». رواه مسلم (٣)، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى مَنْ مَشَى إِلَى الْمَسْجِدِ بِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَتَكْفِيرِ الْخَطِيئَاتِ؛ وَذَلِكَ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الْمَسْجِدِ (٤)، وَقَدْ ثَبَتَ أَيضًا أَنَّ لَهُ أَجْرًا فِي رُجُوعِهِ إِلَى بَيْتِهِ مَا شِئًا؛ فَفِي حَدِيثِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أْبَعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ - أَوْ قُلْتُ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ جِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ. قَالَ: مَا يَسْرُبُنِي أَنْ مَنَزِلِي إِلَى

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا وترفع به الدرجات ١/ ٤٦٢ (٦٦٦).

(٢) قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله: ظاهر الحديث أنه لا يكون له هذا الأجر؛ لأن هناك فرقاً بين من يخرج من بيته متهيئاً للصلاة قاصداً لها، وبين إنسان يأتي إلى المسجد غير متهيئاً للصلاة. نعم؛ لو كان بيته بعيداً، ولم يتهيأ له الوضوء منه فخرج أن ينال هذا الأجر. اهـ (الشرح الممتع ٢٣/٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٠ (٦٦٢).

(٤) ظاهر الحديث أن خطوة ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة، وجاء في غيره ما يفيد أن كل واحدة ترفع درجة وتحط خطيئة، ففيه زيادة على ما هنا، وفضل الله واسع؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «...فإن أحلكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة؛ لم يحط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد...». رواه البخاري في أبواب المساجد، باب الصلاة في مسجد السوق ١/ ١٨١ (٤٦٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة ١/ ٤٥٩ (٦٤٩).

حَنَبِ الْمَسْجِدِ؛ إِنْ أَرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمَشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي. فَلَمَّا أُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ قَالَ: «قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ». رواه مسلم. (١)

الفائدة الثالثة: دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَوْضِعَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةَ هُوَ الْمَسْجِدُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ: «ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»؛ وَإِذَا كَانَ الْمَسْجِدُ هُوَ مَوْضِعُ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةَ، فَالوَاجِبُ الْحَرِصُ عَلَى أَدَائِهَا فِيهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ إِذْ هِيَ تُنَادِي بِوُجُوبِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ (٢)، وَعَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ ﷺ، وَقَالَهُ عَامَّةُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذِكْرِ أُدْلَى وَجُوبِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ: الدَّلِيلُ الثَّانِي عَشَرَ: إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ نُّصُوصَ الصَّحَابَةِ ﷺ عَلَى وَجُوبِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، ثُمَّ قَالَ: فَهَذِهِ نُّصُوصُ الصَّحَابَةِ كَمَا تَرَاهَا صِحَّةً وَشُهْرَةً وَانْتِشَارًا، وَلَمْ يَجِيءْ عَنْ صَحَابِيٍّ وَاحِدٍ خِلَافَ ذَلِكَ. اهـ (٣)، وَقَالَ أَيْضًا بَعْدَ ذِكْرِ الْخِلَافِ فِي حُكْمِ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ: وَمَنْ تَأَمَّلَ السُّنَّةَ حَقَّ التَّأَمُّلِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ فِعْلَهَا فِي الْمَسَاجِدِ فَرَضٌ عَلَى الْأَعْيَانِ؛ إِلَّا لِعَارِضٍ يَجُوزُ مَعَهُ تَرْكُ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَتَرْكُ حُضُورِ الْمَسْجِدِ لِغَيْرِ عُذْرٍ كَتَرْكِ أَصْلِ الْجَمَاعَةِ لِغَيْرِ عُذْرٍ. اهـ (٤)

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ١/ ٤٦٠ (٦٦٣).

(٢) خلافا لما قاله الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في السيل الجرار ١/ ٢٤٥: فإن الأحاديث المصرحة بأفضلية صلاة الجماعة على صلاة الفرادى.

منادية بأعلى صوت بأن الجماعة غير واجبة. اهـ ولو كان قوله: منادية بأن الجماعة ليست شرطا لصحة الصلاة؛ لكان قوله صوابا، والله أعلم.

(٣) الصلاة وحكم تاركها لابن قيم الجوزية ص ١٢٤، ١٢٦.

(٤) المرجع السابق ص ١٣٧.

مشروعية متابعة الإمام وتحريم مسابقتها

١١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَلَا تُكَبِّرُوا حَتَّى يُكَبِّرَ، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَلَا تَرْكَعُوا حَتَّى يَرْكَعَ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَلَا تَسْجُدُوا حَتَّى يَسْجُدَ، وَإِذَا صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا، وَإِذَا صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا أَجْمَعُونَ». رواه أبو داود وأصله في الصحيحين.^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد، نُجْمِلُهَا فِي بَيَانِ أَحْوَالِ الْمَأْمُومِ مَعَ إِمَامِهِ فِي انْتِقَالَاتِ الصَّلَاةِ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ، حَالٌ مِنْهَا مَشْرُوعَةٌ، وَثَلَاثٌ مَمْنُوعَةٌ^(٢):

فالحال الأولى المشروعة هي: المُتَابَعَةُ، وَمَعْنَاهَا: أَنْ يَكُونَ دُخُولُ الْمَأْمُومِ فِي الصَّلَاةِ وَانْتِقَالَهُ مِنْ رُكْنٍ إِلَى آخَرَ عَقِبَ إِمَامِهِ مُبَاشَرَةً، وَهَذِهِ هِيَ الصِّفَةُ الْمَشْرُوعَةُ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَحْرَصَ عَلَيْهَا، وَيَلْحَظُ نَفْسَهُ فِي صَلَاتِهِ حَتَّى يَتَعَوَّدَ مُتَابَعَةَ إِمَامِهِ؛ فَلَا يُكَبِّرُ لِلتَّحْرِيمِ حَتَّى يُكَبِّرَ الْإِمَامُ، وَلَا يَشْرَعُ فِي الرُّكُوعِ حَتَّى يُتِمَّ الْإِمَامُ رُكُوعَهُ، وَلَا يَشْرَعُ فِي الْإِنْتِقَالِ إِلَى السُّجُودِ حَتَّى يُتِمَّ الْإِمَامُ سُجُودَهُ، وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ صَلَاتِهِ.

الحال الثانية: المُسَابَقَةُ، وَمَعْنَاهَا: التَّقَدُّمُ عَلَى الْإِمَامِ فِي انْتِقَالَاتِ الصَّلَاةِ، وَحُكْمُهَا: أَنَّهَا مُحَرَّمَةٌ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ جِمَارٍ». متفق عليه.^(٣)

الحال الثالثة: المُوَافَقَةُ، وَمَعْنَاهَا: مُوَافَقَةُ الْمَأْمُومِ لِلْإِمَامِ فِي الْإِنْتِقَالِ بَيْنَ الْأَرْكَانِ، وَحُكْمُهَا: أَنَّهَا مَكْرُوهَةٌ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هِيَ مُحَرَّمَةٌ؛ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ، حَيْثُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِمُتَابَعَةِ الْإِمَامِ بِقَوْلِهِ: «إِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا»، وَهِيَ عَنْ مُوَافَقَتِهِ بِقَوْلِهِ: «وَلَا تُكَبِّرُوا حَتَّى يُكَبِّرَ»، وَهَكَذَا قَالَ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ. وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُصَلِّينَ أَوْ أَكْثَرُهُمْ يَقَعُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الْمَنْهِيَّةِ عَنْهَا؛ فَتَجِدُهُمْ يَرْكَعُونَ وَيَرْفَعُونَ وَيَسْجُدُونَ مَعَ الْإِمَامِ، فَيَنْبَغِي عَلَى الْمُصَلِّي أَنْ يَلْحَظَ نَفْسَهُ وَيُعَوِّدَهَا عَلَى الْإِنْتِظَارِ حَتَّى

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الإمام يصلي من قعود ١/١٦٤ (٦٠٣)، وأصله في صحيح البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب إقامة الصف من تمام الصلاة ١/٢٥٣ (٦٨٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب اتتمام المأموم بالإمام ١/٣٠٩ (٤١٤).

(٢) يذكرها أكثر الفقهاء أثناء كلامهم، وأحسن من رأيت ساقها سياق حسن مرتب الإمام النووي في روضة الطالبين ١/٣٦٩، وأصله للرافعي في شرح الوجيز ٢/١٩٠-١٩٧ في شرائط القدوة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام ١/٢٤٥ (٦٥٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما ١/٣٢٠ (٤٢٧)، وهذا لفظه.

يُيَمُّ الإِمَامُ حَرَكَةَ الْإِنْتِقَالِ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي الْإِنْتِقَالِ بَعْدَهُ، وَهَكَذَا كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَفْعَلُونَ، فَقَدْ وَصَفَ الْبِرَاءُ بْنُ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- حَالَ الصَّحَابَةِ ﷺ فِي مُتَابَعَتِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كَانُوا يُصَلُّونَ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، لَمْ يَجْنُ أَحَدٌ مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ جَبْهَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ». متفق عليه^(١).

الحال الرابعة: المُخَالَفَةُ، وَمَعْنَاهَا: التَّأَخُّرُ عَنِ الْإِمَامِ فِي الدُّخُولِ إِلَى الصَّلَاةِ أَوْ فِي الْإِنْتِقَالِ بَيْنَ الْأَرْكَانِ، وَحُكْمُهَا: أَنَّهَا مَكْرُوهَةٌ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: هِيَ مُحَرَّمَةٌ؛ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ؛ حَيْثُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِمُتَابَعَةِ الْإِمَامِ بِقَوْلِهِ: «فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا»، وَالْقَاءُ فِي الْحَدِيثِ تُفِيدُ التَّعْقِيبَ، فَتَضَمَّنَ ذَلِكَ النَّهْيَ عَنِ مُخَالَفَتِهِ، وَمَعْنَاهَا: التَّأَخُّرُ عَنْهُ.

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب السجود على سبعة أعظم ٢٨٠/١ (٧٧٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب متابعة الإمام والعمل بعده ٣٤٥/١ (٤٧٤). وقال عمرو بن حزم: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الْفَخْرَ فَمَسَعْتُهُ يَقْرَأُ: (فَلَا أُقْسِمُ بِالْحَنَسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ)، وَكَانَ لَا يَخْفِي رِجْلًا مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَسْتَبْتِمَ سَاجِدًا». رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب متابعة الإمام والعمل بعده ٣٤٦/١ (٤٧٥).

عِفَّةُ الْفَرْجِ وَالرَّفْقُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الشَّبَابِ

١٢- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتيًا شابًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: «أذنه»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «أفحبه لأملك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفحبه لابنتك؟»، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفحبه لأختك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفحبه لعمتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»، قال: «أفحبه لخالتك؟»، قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ - ذَلِكَ الْفَتَى - يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. رواه أحمد بإسناد صحيح. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: في الحديث دعوة إلى عِفَّةِ الْفَرْجِ عَنِ الْحَرَامِ، وَلِمَا لِلْعِفَّةِ مِنْ أَمِيَّةٍ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا كُلَّ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ النِّكَاحَ فَقَالَ تَعَالَى: (وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) (٢)، وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا أَنْ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ عَنِ الْحَرَامِ وَالطَّرِيقِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْهِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) (٣)، وَأَمَرَ بِذَلِكَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَالَ تَعَالَى: (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) (٤)، وَوَصَفَ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ بِالْبُعْدِ عَنِ الزَّانِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ)، ثُمَّ هَدَدَ مَنْ وَقَعَ فِيهِ - مَعَ غَيْرِهِ مِمَّا ذُكِرَ - بِقَوْلِهِ: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ

(١) رواه أحمد ٢٥٦/٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٢/٨، ١٨٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٣٦٢/٤ (٥٤١٥)، قال العراقي في المغني عن محل الأسفار ٥٩٢/١: رواه أحمد بإسناد جيد ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي بجمع الروايات ١٢٩/١: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧١٢/١ (٣٧٠)، وقولهم: مه مه يعني: كف عن هذا، وقوله: «حصن» يعني: احتفظه من الفواحش.

(٢) سورة النور آية ٣٣.

(٣) سورة النور آية ٣٠.

(٤) سورة النور آية ٣١.

مُهَانًا^(١)؛ فكانَ حَرِيًّا بِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَكُونَ مُسْتَجِيبًا لِنِدَائِهِ خَالِقِهِ جَلَّ وَعَلَا؛ مُسْتَمْسِكًا بِالْعِفَّةِ؛ حَرِيصًا عَلَى الطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ، بَعِيدًا عَنِ كُلِّ مَا يُدْنِسُ شَرَفَهُ.

الفائدة الثانية: في الحديثِ ما يدلُّ على تحريمِ إشاعةِ الفاحشةِ بينَ المؤمنينِ بِكُلِّ وسيلةٍ، سواءً أكانَ ذلكَ بالدعوةِ إلى الفجورِ والدعايةِ له، أم بِنَشْرِ الصُّوَرِ العَارِيَةِ أو شِبْهِ العَارِيَةِ فِي المَجَلَّاتِ أو عَلَى شَبَكَةِ الإنترنتِ أو الجَوَّالاتِ أو أَشْرَطَةِ الفِيدْيُو أو الأقراصِ المدمجةِ (السِّيْدِيَّاتِ)، وقد تَوَعَّدَ اللهُ تَعَالَى مَنْ أَحَبَّ إِشَاعَةَ الفاحشةِ بينَ المؤمنينِ بالعذابِ الأليمِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فقالَ جَلَّ شأنه: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^(٢)، وهذا فيمن أحبَّ إِشَاعَتَهَا؛ فكيفَ بِمَنْ سَعَى فِي ذلكَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَفِكْرِهِ وَكِتَابَتِهِ؟! فهذا أشدُّ بلا ريبٍ، والعَجَبُ أنَ عَامَّةَ مَنْ يَنْشُرُ ذلكَ بينَ المُسلمينَ هُمَ مِنَ المُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ، وما عَلِمُوا أَنَّهُمْ بِذلكَ يُحَارِبُونَ اللهُ تَعَالَى، وَيُيَارِزُونَهُ بِالإفْسَادِ.

الفائدة الثالثة: ينبغي عَلَى الداعيِ إِلَى اللهُ تَعَالَى أَنْ يَحْرَصَ عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ، وَيَتَحَلَّى بِالرَّفْقِ مَعَ مَنْ أَرَادَ المَعْصِيَةَ، وَيَحْرَصَ عَلَى هِدَايَتِهِ وَلَا يَنْقُرُهُ عَنِ طَرِيقِ اللهُ تَعَالَى، وَإِنْ دَعَا لَهُ بِالْهِدَايَةِ وَالصَّلَاحِ فَهُوَ أَحْسَنُ وَأَوْلَى مِنَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ بِالسُّوءِ مَا دَامَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَنْشُرُ السُّوءَ وَيَسْعَى فِي إِفْسَادِ النَّاسِ، فَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لِكثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللهُ تَعَالَى^(٣)، وَهُوَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَدْعُو لِهَذَا الشَّابِّ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُبَيِّحَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ذَنْبًا مِنَ الكَبَائِرِ فيقولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، والدُّعَاءُ لِلعاصيِ فِي مُوَجَّهَتِهِ بِمِثْلِ هَذَا الدُّعَاءِ مِمَّا يُقَرِّبُهُ إِلَى رَبِّهِ، وَيُشْعِرُهُ بِحِرْصِ الداعيِ عَلَيْهِ، وَرَغْبَتِهِ فِي هِدَايَتِهِ.

(١) سورة الفرقان الآيات ٦٨ - ٦٩.

(٢) سورة النور آية ١٩.

(٣) ثبت أن النبي ﷺ دعا لأقوام كقوله ﷺ: «اللهم الهدِ ذؤبنا وأت بهم» البخاري (٢٧٧٩) (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٥٢٤)، كما ثبت أنه دعا على أقوام كقوله: «اللهم عليك بقريش - ثلاث مرات - ... ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط» البخاري (٢٧٧٦)، ومسلم (١٧٩٤)، وهذا والله أعلم بحتمل أن يكون منوطا بما يظهر من المصلحة في ذلك، فمن كان قريبا مرجوًا، وفساده خاصًا فيدعى له بالهداية، ومن كان مؤثيًا بعيدا معارضًا لدين الله تعال ساعيًا في دفعه وصد الناس عنه فيدعى عليه بالسوء ليكف الله شره، والمسألة تحتاج إلى مزيد بحث وتأمل في دلالات نصوص الكتاب والسنة، مع عمل الصحابة وسلف الأمة ﷺ، وهو كثير منتشر، والله أعلم.

مَشْرُوعِيَّةُ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ

١٣- عن أبي قتادة بن ربعي السُّلَمِيِّ الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ؛ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ». متفق عليه^(١)، وفي لفظٍ لهما: «فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ». ^(٢)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يُسُنُّ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ أَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ، وفي مشروعِيَّةِ هاتين الرَكَعَتَيْنِ تعظيمٌ لبيوتِ اللهِ تعالى، وإشعارٌ بأهمِّيَّتها وفضلها، وأنها ليست كغيرها من البيوت التي من شاء جَلَسَ فيها دونَ مُقدِّماتٍ، وتُسَمَّى هاتانِ الرَكَعَتانِ: (تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ)، وهما غيرُ واجبتين في قول عامة العلماء -رحمهم الله تعالى-، وقد نقله غيرُ واحدٍ من العلماء إجماعاً.

الفائدة الثانية: أقلُّ ما يُجزئ في تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ رَكَعَتانِ؛ فَمَنْ صَلَّى رَكَعَةً وَاحِدَةً لَمْ تُجْزِئْهُ عَنْ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ؛ مِثْلُ: مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَأَوْتَرَ فِيهِ وَحِدَةً، أَوْ دَخَلَ مَعَ النَّاسِ بَعْدَ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فَأَدْرَكَ رَكَعَةَ الْوُتْرِ مَعَهُمْ، أَوْ لَمْ يُدْرِكِ الْإِمَامَ إِلَّا بَعْدَ الرُّكُوعِ فِي رَكَعَةِ الْوُتْرِ؛ فَلَا يَجْزِي ذَلِكَ عَنْ تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا أَرَادَ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ بَعْدَ الْوُتْرِ فَإِنَّهُ لَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ لِلْحَدِيثِ.

الفائدة الثالثة: تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ رَكَعَتانِ كغيره من المساجد؛ فَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ لِعُمُومِ الْحَدِيثِ، وأما قول بعض العلماء: تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الطَّوْفُ؛ فَإِنْ مُرَادَهُمْ بِذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا فَإِنْ أَوَّلَ مَا يَفْعَلُهُ الطَّوْفُ؛ كَمَا فَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم، أَمَّا مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ مِنْ أَهْلِهَا أَوْ مِنْ قَدِيمِ عَالِيهَا وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، وَلَا يَلْزُمُهُ كَلِّمَا دَخَلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَاسِرٍ -رحمه الله تعالى- فِي مَنْسَكِهِ مَا مُلَخَّصُهُ: وَيَبْتَدِئُ بِطَوَافِ الْقُدُومِ، وَهُوَ تَحِيَّةُ الْكَعْبَةِ، وَتَحِيَّةُ

(١) رواه البخاري في أبواب المساجد، باب إذا دخل المسجد فليركع ركعتين ١٧٠/١ (٤٣٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب

استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل صلاحتهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات ٤٩٥/١ (٧١٤).

(٢) رواه البخاري في أبواب التطوع، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ٣٩١/١ (١١١٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب

استحباب تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل صلاحتهما وأنها مشروعة في جميع الأوقات ٤٩٥/١ (٧١٤).

المَسْجِدِ الحَرَامِ الصَّلَاةُ، وَتُجْزَى عَنْهَا الرُّكْعَتَانِ بَعْدَ الطَّوَافِ، وَهَذَا لَا يُبَاقِي أَنْ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ الطَّوَافُ؛ لِأَنَّهُ مُجْمَلٌ وَهَذَا تَفْصِيلُهُ، وَالْحَاصِلُ: أَنَّ تَحِيَّةَ الْكَعْبَةِ مُقَدَّمَةٌ عَلَى الْمَسْجِدِ. اهـ^(١)

(١) مفيد الأنام ص ٢٣٥-٢٣٦ مختصراً، وأصل الكلام مأخوذ عن كشف القناع ٤٧٧/٢ (في كتاب الحج باب الدخول إلى مكة)، وينظر أيضاً: مغني المحتاج ٤٨٤/١، وإعانة الطالبين ٣٠١/٢.

وجوب الطمأنينة في الصلاة

١٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلّي، فسلم على النبي ﷺ، فردّ، وقال: «ارجع فصلّ؛ فإنك لم تُصل»، فرجع يُصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ، فقال: «ارجع فصلّ؛ فإنك لم تُصل» ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني. فقال: «إذا فُمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وأعمل ذلك في صلاتك كلها». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لقد كان النبي ﷺ يرمق صلاة هذا الرجل (١)، فلمّا انصرف قال له: «ارجع فصلّ؛ فإنك لم تُصل»، فلمّا أمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة؟ وكرر ذلك عليه ثلاث مرّات؟ وحكم عليه بأنه لم يُصل مع أنه قد صلى في الظاهر؟ إنّما قال له النبي ﷺ ذلك لأنه لم يُحسن صلاته، فقد جاء وصف صلاته في رواية الترمذي وغيره من حديث رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: فصلّي فأخفّ صلاته (٢)، وفي رواية أبي عوانة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: فصلّي ولم يُتمّ الركوع والسجود (٣)، وعند ابن أبي شيبة من حديث رفاعة رضي الله عنه في القصة: فصلّي صلاة خفيفة لا يُتمّ ركوعاً ولا سجوداً (٤)، فدلّ هذا على أنّ من صلى الصلاة بهذه الصفة أنّه لا صلاة له بحكم النبي ﷺ.

الفائدة الثانية: الطمأنينة في جميع الصلاة ركن من أركانها، لا تصح الصلاة بدونها، ولا يجزئها سجود السهو، ولذلك أبطأ النبي ﷺ صلاة الرجل، ولو كان سجود السهو يجزئ ذلك لأمره به ﷺ. وحّد الطمأنينة الواجبة: أن يستقرّ في كل ركن بقدر ما يقول الدّكر الواجب فيه، وقال بعض

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت (١/٢٦٣) (٧٢٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٨ (٣٩٧).

(٢) كما جاء مصرحاً به عند الإمام أحمد ٤/٣٤٠، والنسائي ٢/١٩٣ (١٠٥٣)، و ٣/٥٩ - ٦٠ (١٣١٣)، (١٣١٤)، وعبد الرزاق ٢/٣٧٠ (٣٧٣٩)، ومن طريقه الطبراني في المعجم الكبير ٥/٣٥ (٤٥٢٠).

(٣) رواه الترمذي ٢/١٠٠ - ١٠١ (٣٠٢)، والنسائي في الكبرى ١/٥٠٧ (١٦٣١)، والبيهقي في القراءة خلف الإمام ص ٨٨، و صححه ابن خزيمة ١/٢٧٤ (٥٤٥).

(٤) مسند أبي عوانة ١/٤٣٣ (١٦٠٩).

(٥) رواه ابن أبي شيبة ١/٢٥٧ (٢٩٥٨)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثنائين ٤/٣٣ (١٩٧٦).

العلماء: أن يبقى في كلِّ ركنٍ بقدرٍ ما يستقرُّ كلُّ عضوٍ منه في موضعه. والذي يُنافي الطمأنينة هو: العجلة في الصلاة حتى لا يقيم المصلي ركوعه ولا سجوده ولا جلوسه، وهذا الفعل حرام، وهو مُبطلٌ للصلاة، ويؤهلها إلى مثل اللهب واللعب، فواجب على المسلم أن يحرص على الطمأنينة في الصلاة تعظيماً للربِّ جلَّ وعلا الذي يقف بين يديه، وتصحيحاً لصلاته؛ إذ هي لا تصحُّ إلا بالطمأنينة.

الفائدة الثالثة: على المسلم إذا رأى من يُخطئ في صلاته أن ينصح له، ولا يتركه ليستمر على غلظه، ولزماً كان هذا الغلط مُفسداً لصلاته، أو مُنقِصاً لها، فإذا كان الخطأ في شيء واجبٍ وحَبِّ تعلُّمه، وإذا كان في شيء مُستحبٍّ؛ استحبَّ تعلُّمه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الظهر، فلما سلم نادى رجلاً كان في آخر الصفوف؛ فقال: يا فلان، ألا تتقي الله؟ ألا تنظر كيف تُصلي؟ إنَّ أحدكم إذا قام يُصلي إنما يفوم يناجي ربه؛ فلينظر كيف يناجيه، إنكم ترون أنني لا أراكم! إني والله لأرى من خلف ظهري كما أرى من بين يدي. رواه مسلم وابن خزيمة^(١)، وقد كان السلف رحمهم الله يحرصون على تعليم الجاهل فعن زيد بن وهب -رحمه الله تعالى- قال: دخل حذيفة رضي الله عنه المسجد فإذا رجلٌ يُصلي ممَّا يلي أبواب كندة، فجعل لا يتمُّ الركوع ولا السجود، فلما انصرف قال له حذيفة: منذُ كم هذه صلاتك؟ قال: منذُ أربعين سنةً! فقال له حذيفة: ما صليت منذُ أربعين سنةً، ولو متَّ وهذه صلاتك لمتَّ على غير الفطرة التي فطرَ عليها محمدٌ ﷺ، قال: ثمَّ أقبل عليه يُعلِّمه، فقال: إن الرجلَ ليُحفف في صلاته وإنه لِيتمُّ الركوع والسجود. رواه أحمد والنسائي وأصله في البخاري.^(٢) وقال إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى: كانوا إذا رأوا الرجل لا يُحسن الصلاة علِّموه^(٣)، وقال ميمون بن مهران رحمه الله تعالى: مثلُ الذي يرى الرجلُ يسيءُ صلاته فلا ينهأه؛ كمثل الذي يرى النائِم تنهشه الحيَّة ثمَّ لا يوقظه.^(٤)

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بتخسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها ٣١٩/١ (٤٢٣)، وابن خزيمة ٢٤١/١ (٤٧٤)، وهذا لفظه.

(٢) رواه أحمد ٣٨٤/٥، والنسائي ٥٨/٣ (١٣١٢)، وأصله في البخاري مختصراً في كتاب صفة الصلاة، باب إذا لم يتم الركوع ٢٧٣/١ (٧٥٨).

(٣) رواه عبد الرزاق ٣٧٢/٢ (٣٧٤٤) وسنده صحيح.

(٤) ذكره ابن رجب في فتح الباري ١٤٤/٣.

فضل العدل وأنه من الخصال الموجبة لظل العرش

١٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سبعة يُظلمهم الله تعالى في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه: إمام عدل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه». متفق عليه^(١).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: في اليوم العصيب الذي تقرب فيه الشمس من الخلائق، وحيث لا يوجد ما يستظل به الناس؛ فإن الله تعالى يكرم من استقام على دينه، وأنصف بصفات المقرين منه - المذكورة في هذا الحديث - بأن يُظلمهم في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظلّه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فحريّ بالمسلم أن يحرص على الاتصاف بما يمكن من هذه الصفات الفاضلة؛ لعله أن يكون ممن يختصه الله تعالى يوم القيامة بهذه الفضيلة العظيمة.

الفائدة الثانية: الإمام العادل له أثر كبير في نشئة أمته على الخير؛ فهو إذا أقام العدل بين الرعية أعانهم على طاعة الله تعالى، وكان لذلك أثر في رغبتهم في الخير، والناس - كما قيل - على دين ملوكهم^(٢)، فإذا استقام الولاة استقامت الرعية، وتأثروا بهم، وإذا فسدت الرعاة فسدت الرعية، قالت امرأة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم^(٣). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: لأن الناس على دين ملوكهم فمن حاد من الأئمة عن الحال مأل وأمال^(٤). وقال العيني رحمه الله تعالى: إذ باستقامتهم تُقام الحدود، وتؤخذ الحقوق، ويوضع كل شيء في موضعه^(٥). ولذا قال النبي ﷺ لهرقل -

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين ٥١٧/٢ (١٣٥٧)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢ (١٠٣١).

(٢) ليس هذا حديثنا عن النبي ﷺ إنما هو قول يقال وحكمة تنقل (ينظر: المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٤٤١، والأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة ١/٣٦٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية ١٣٩٣/٣ (٣٦٢٢).

(٤) فتح الباري ١٥١/٧.

(٥) عمدة القاري ٢٩١/١٦.

لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ يَدْعُوهُ لِلْإِسْلَامِ-: «فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنْ عَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ»^(١)، يعني: المزارعين؛ لأنه بذلك يصدُّهُمْ عَنِ الْحَقِّ.

الفائدة الثالثة: العدلُ صفةٌ حميدةٌ قد أمرَ اللهُ تعالى بِهَا فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَقَالَ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٢)، وَخَصَّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ النَّاسِ فَحَكَمَ فِيهِ أَنْ يَحْكُمَ بِالْعَدْلِ، فَقَالَ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)، وَوَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ لَزِمَ الْعَدْلَ فِي وِلَايَتِهِ أَوْ بَيْنَ أَهْلِهِ بِفَضْلِ عَظِيمٍ؛ فَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ - وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ -، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣)، وَأَخْصَّ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا مَنْ وَلِيَ الْإِمَامَةَ الْعُظْمَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ وَعَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَدَلَ فِي حُكْمِهِ أَنْ يَكُونَ فِي ظِلِّ عَرْشِ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، فَفِيهِ حَتُّ عَلَى الْعَدْلِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ، وَتَرْغِيبٌ فِي اجْتِنَابِ الظُّلْمِ.

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٣/١ (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام ١٣٩٦/٣ (١٧٧٣)، والآية من سورة آل عمران رقم ٦٤، والأريسيون: المزارعون وعمامة الناس، والمعنى أن عليه إثمهم؛ لأنهم يهتمون إذا اهتدى، ويضلون إذا ضل واختار طريق الكفر والغواية.

(٢) سورة النحل آية ٩٠.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ١٤٥٨/٣ (١٨٢٧).

تحريم الحلف بغير الله والمقامرة

١٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى؛ فَلْيُقْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أَقَامِرَكَ، فَلْيَتَّصِدَّقْ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الحلف بغير الله تعالى حرام وهو من الشرك الأصغر الذي يعد من كبائر الذنوب، وذلك كالحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو بالكعبة أو بالأمانة أو بالذمة أو بالصلاة أو بالآباء، أو بالأولياء، وقد روى عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عليه. (٢)

الفائدة الثانية: القمار هو الميسر الذي حرّمه الله تعالى وقرّنه بالخمر والأصنام؛ فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٣)، والمراد بالقمار: كلُّ معاملة ماليّة أو مُعَالَبةٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَأَكْثَرَ؛ يدخل فيها المرء على أنه إمّا أن يعزّم مالا أو يعنم، وقد انتشر هذا في زمننا بصور كثيرة منها:

الصورة الأولى: أن يلعب اثنان فأكثر، أو مجموعتان فأكثر، وتدفع كلُّ مجموعةٍ منهم مالا، على أن من فاز في اللعب فإنه يأخذ هذا المال، أو يأخذ الأول نصفه والثاني ثلثه وهكذا، وهذا مُحَرَّمٌ في جميع أنواع اللعب؛ سواءً أكانت في أصلها مباحة أم كانت مُحَرَّمَةً؛ إلا في المسابقات التي حثَّ عليها الشرع، وهي ما يُستعان به على الجهاد في سبيل الله تعالى؛ كالمسابقة بين الخيول أو الإبل أو في الرماية أو في مسائل العلم الشرعي، أو العلم الذي به رُقِّي الأمة ونفعها وقوتها.

الصورة الثانية: بعضُ المُسابقات التي تُجرى عن طريق الهاتف؛ بأن يتصل شخص برقم مُعيّن، وهذا الاتصال له رسم خاص يُتفق عليه بين الشركة المُوقرة لخدمة الاتصال، وبين الطرف الذي يُنظّم المُسابقة؛ بحيث يدفعه المُتصل، ويستفيد المنظّم للمسابقة جزءاً منه، ويدفع جزءاً آخر كجوائز

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والثبور، تاب لا يُحلف باللّات والعزّى ولا بالطواغيت ٦/٢٤٥٠ (٦٢٧٤)، ومسلم في كتاب الأيمان، تاب من حلف باللّات والعزّى فليقل: لا إله إلا الله ٣/١٢٦٧ (١٦٤٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأيمان والثبور، تاب لا تُحلفوا بآبائكم ٦/٢٤٤٩ (٦٢٧٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، تاب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ٣/١٢٦٦-١٢٦٧ (١٦٤٦).

(٣) سورة المائدة آية ٩٠.

للمسابقة، فهذا الذي يدفع مبلع الاتصال، دفعه لعله يحصل على جائزة ثمينة مقابل ما دفع، وهذه هي حقيقة القمار.

الفائدة الثالثة: أرشد النبي ﷺ المسلم إذا فعل واحداً من هذه المحرمات أن يكفر عن فعله أو قصده لفعل الحرام؛ فمن حلف بغير الله عز وجل فمن صدق توبته أن يوحد الله تعالى؛ لأنه قد أشرك بالله تعالى؛ فكانت كفارته التوبة إلى الله تعالى، وقول كلمة التوحيد؛ التي فيها تعظيم لله تعالى، ونفي لأن يكون المسلم يعبد أحداً غيره كائناً من كان. ومن عزم على المقامرة ودعا إليها صديقه فقد شرع في فعل المعصية؛ فالواجب عليه أن يترك الاستمرار في طلب المقامرة، ومن صدق توبته إلى الله تعالى أن يتصدق بما يتيسر له من المال؛ قل ذلك أو أكثر؛ لإطلاق الصدقة في الحديث.

أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى

١٧- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الأسماء - في الجملة - لها تأثيرٌ في الأشخاص؛ وكما قيل: الأسماءُ قوالبٌ للمعاني، بل للأسماءِ تأثيرٌ في المُسمَّيات، وللمُسمَّياتِ تأثيرٌ بأسمائها في الحُسنِ والقُبْحِ كما قيل:

وَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنَّ فَكَّرْتُ فِي لَقَبِهِ

ولذلك كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ الاسمَ الحُسْنَ ويأمرُ بِهِ، ويكرهُ الاسمَ القَبِيحَ وَيَنْهَى عَنْهُ وَيُعَيِّرُهُ، وكانَ بعضُ أَهْلِ الدِّكَاةِ والفِرَاسَةِ يَتَوَقَّعُ اسمَ الشَّخْصِ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ: أَنِ إِيسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ يَرَى الشَّخْصَ فيقولُ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ كَيْتَ وَكَيْتَ، فلا يَكادُ يُحْطِئُ (٢)، وأحْسَنُ الأَسْمَاءِ ما كانَ مُعَبَّدًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَفْضَلُهَا: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ كما دَلَّ عَلَيْهِ الحَدِيثُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا يَنْبَغِي أَنْ تُشْعِرَ صاحِبَهَا بعبودِيَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وانقيادِهِ لَهُ، كما إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تُشْعِرَهُ بِشَرَفِ عبودِيَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَعَظِيمِ حَقِّهِ عَلَيْهِ، كما يُبْعِدُهُ تَأْمُلُهُ فِي مَعْنَى اسْمِهِ عَنِ التَّرَفُّعِ والتَّعَالِي والتَّكَبُّرِ على خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى.

الفائدة الثانية: حَرْمُ التَّسْمِيَةِ بِأَسْمَاءِ مُعَبَّدَةِ لغيرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ مِثْلُ: عَبْدِ الكَعْبَةِ، وَعَبْدِ الرَّسُولِ، وَعَبْدِ النَّبِيِّ، وَعَبْدِ عَلِيٍّ، وَعَبْدِ الحُسَيْنِ، وَغَيْرِهَا، وَمما يَحْرُمُ أَيْضًا التَّسْمِيَةُ بِ: (غلامِ الرَّسُولِ)، و(غلامِ أَحْمَدَ) وَنَحْوِهَا؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى عَبْدِ الرَّسُولِ (٣)، وَتُكْرَهُ التَّسْمِيَةُ بِالأَسْمَاءِ القَبِيحَةِ مِثْلُ: حَزْنِ، وَخُنْفَيْسٍ وَجَمَلٍ وَعَاصِ وَعَاصِيَةٍ وَجُعَلٍ وَنَحْوِهَا، وَجِبُّ تَغْيِيرِ الاسمِ المُحْرَمِ، وَيُسْتَحَبُّ تَغْيِيرُ الاسمِ المَكْرُوهِ، قالَتِ عائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَيِّرُ الاسمَ القَبِيحَ. رواه الترمذي (٤)، وعن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَيَّرَ اسمَ عَاصِيَةَ، وَقَالَ: «أَنْتِ جَمِيلَةٌ». رواه مسلم. (٥)

(١) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ١٦٨٢/٣ (٢١٣٢).

(٢) ينظر: زاد المعاد ٣٣٦/٢ - ٣٤٠، وحقفة المودود في أحكام المولود ص ١٤٦.

(٣) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٤٧٦/١١، وتسمية المولود للشيخ بكر أبو زيد ص ٤٥.

(٤) رواه الترمذي في كتاب الأدب، باب ماجاء في تغيير الأسماء ١٣٥/٥ (٢٨٣٩).

(٥) رواه مسلم في كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن ١٦٨٢/٣ (٢١٣٢).

الفائدة الثالثة: تُستحبُّ التسميةُ بِاسْمِي النَّبِيِّ ﷺ: مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ، فَهُمَا مِنْ أَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، وَلَكِنْ لَمْ يَتَّبَتْ لذلِكَ فَضْلٌ خَاصٌّ، أَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ: «خَيْرُ الْأَسْمَاءِ مَا مُحَمَّدٌ وَعَبْدٌ»، فَإِنَّهُ خَبْرٌ بَاطِلٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ، وَلَا يُعْرَفُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يُرَوَى عَنْهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ وَلَا ضَعِيفٍ، وَكَذَا مَا يُرَوَى فِي فَضْلِ التَّسْمِيِّ بِأَحْمَدَ أَوْ مُحَمَّدٍ كُلَّهُ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ صَحِيحٌ؛ كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذلِكَ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ السَّخَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا يُذَكَّرُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ: خَيْرُ الْأَسْمَاءِ مَا مُحَمَّدٌ أَوْ عَبْدٌ بَاطِلٌ. اهـ^(١)

(١) ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس للعجلوني ١/٥٢، ٤٦٨، ٩٥، ٥٢/٢، و٥٥٢/٢، والسلسلة الضعيفة للألباني رقم (٤١١).

فضل (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

١٨- عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: «أَيُّ عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرَعَّبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟! فَلَمَّ يَزَلُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْزُضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) ^(١)، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) ^(٢). متفق عليه ^(٣).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: عِظْمُ مَنْزِلَةِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَنَّهَا الْمِفْتَاحُ الَّذِي يُدْخَلُ بِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهِيَ الَّتِي تَعْصِمُ صَاحِبَهَا فِي الدُّنْيَا وَتُنْجِيهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»: لَا مَعْبُودَ يَحِقُّ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَ«لَا إِلَهَ»: نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَ«إِلَّا اللَّهُ»: مُثَبِّتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا إِنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) ^(٤)، وَقَوْلُهُ: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آرِبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) ^(٥).

الفائدة الثانية: دَلُّ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالْخَوَاتِيمِ، وَقَدْ رَوَى سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا». رواه البخاري ^(٦)، فَمَنْ قَالَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَإِنَّهَا

(١) سورة التوبة آية ١١٣.

(٢) سورة القصص آية ٥٦.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة القصص، باب (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) ٤/١٧٨٨ (٤٤٩٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشتر في التترع وهو العزرة ١/٥٤ (٢٤).

(٤) سورة الزخرف الآيات ٢٦-٢٧.

(٥) سورة آل عمران الآيات ٦٤.

(٦) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها ٥/٢٣٨١ (٦١٢٨)، في أثناء حديث، ورواه أيضا في كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم ٦/٢٤٣٦ (٦٢٣٣) بلفظ: «الأعمال بالخواتيم».

تَنْفَعُهُ وَلَوْ كَانَ مُعَانِدًا أَوْ مُحَارِبًا؛ وَإِلَّا لَمَا كَانَ لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَمِّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَائِدَةٌ، وَقَدْ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ: «أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، وَالْمُرَادُ بِالْمُحَاجَّةِ هُنَا: الشَّفَاعَةُ، كَمَا جَاءَ مَصْرُوحًا بِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى وَابْنِ حِبَانَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْفَعُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، وَالشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْمُؤَحِّدِينَ.

الفائدة الثالثة: لَا يَجُوزُ الْإِسْتِغْفَارُ وَهُوَ الدُّعَاءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ لِلْكَفَّارِ أَوْ لِمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا بِاللَّهِ تَعَالَى الشَّرْكَ الْأَكْبَرَ؛ وَلَوْ كَانُوا أَقْرَبَ النَّاسِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)^(٢)، وَلَأَنْ مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا الشَّرْكَ الْأَكْبَرَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَغْفِرُ لَهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)^(٣).

(١) رواه أبو يعلى ٣٩/١١ (٦١٧٨)، وعنه ابن حبان في صحيحه ١٦٧/١٤ (٦٢٧٠).

(٢) سورة التوبة آية ١١٣.

(٣) سورة النساء آية ١١٦.

الطهارة شرط لصحة الصلاة

١٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ». متفق عليه^(١)، وفي رواية للبخاري: قال رجل من حضر موت: ما أحدث يا أبا هريرة؟ قال: فُسَاءٌ أو ضُرَاطٌ.^(٢)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الطهارة من الحدث شرط من شروط صحة الصلاة، فمن صلى وهو أحدث فصلاته غير مُنْعَقَدَةٍ أصلاً، ويحب عليه - إذا تذكّر - أن ينصرف منها ويتوضأ، ثم يستأنف الصلاة من أولها، ولا يجوز له الاستمرار فيها، ومن أحدث أثناء الصلاة وجب عليه أن يخرج منها ويتوضأ، ثم يستأنف الصلاة من أولها، وذلك لأن الصلاة لا تجوز ولا تصح إلا بطهارة، قال النووي رحمه الله تعالى: أجمعت الأمة على تحريم الصلاة بغير طهارة من ماء أو ثراب، ولا فرق بين الصلاة المفروضة والتافلة. اهـ^(٣)

الفائدة الثانية: من صلى ناسياً حدثه وجب عليه الوضوء وإعادة الصلاة مباشرة أول ما يتذكر، ولا يؤخرها إلى أي وقت، وذلك لأن الصلاة مع الحدث غير صحيحة، فلا يزال مطالباً بهذه الصلاة لم تَبْرَأْ ذِمَّتُهُ مِنْهَا، وسواء ذكر في يومه أو بعده بأسبوع أو شهر أو أكثر؛ فيجب عليه إعادة الصلاة مهما طالّت المدة، قال شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: لو صلى يعتقد أنه على طهارة، ثم بان بعد الصلاة أنه أحدث أو أنه لم يعتسل من الجنابة، فإن عليه أن يتطهر ويعيد بإجماع أهل العلم. اهـ^(٤)، ومما يدل على ذلك أيضاً: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول». رواه مسلم.^(٥)

الفائدة الثالثة: من كان عاجزاً عن الطهارة كالمريض الذي لا يجد ماءً وليس عنده ترابٌ ليتيمم به، وكالمحجوز في موضع ليس فيه ماءٌ ولا ثرابٌ؛ فإنه يُصَلِّي على حَسَبِ حاله من غير طهارة، ولا

(١) رواه البخاري في كتاب الحيل، باب في الصلاة ١/٦ (٢٥٥٤) (٦٥٥٤)، وفي كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور ١/٦٣ (١٣٥)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة ١/٢٠٤ (٢٢٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور ١/٦٣ (١٣٥).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٣/١٠٣.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ١٠/٣٩٧، وانظره ١٠/٤٠١.

(٥) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة ١/٢٠٤ (٢٢٤).

يُوَخِّرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يَخْرُجَ وَقْتُهَا، بَلْ يَصَلِّي فِي الْوَقْتِ عَلَى حَسَبِ حَالِهِ، وَصَلَاتُهُ صَحِيحَةٌ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ إِعَادَتُهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)^(١)، وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.^(٢)

(١) سورة التغابن آية ١٦ ..

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦/٢٦٥٨ (٦٨٥٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب قرض الحج مرة في العشر ٢/٩٧٥ (١٣٣٧) ..

سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ

٢٠- عن حَنْظَلَةَ الْأَسِيدِيِّ رضي الله عنه وكان من كُتَّابِ ^(١) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قَلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قَلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟»، قَلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذُّكْرِ؛ لَصَافَحْتَكُمُ الْمَلَائِكَةَ عَلَيَّ فُرُشَكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. رواه مسلم ^(٢).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: ينبغي للمُسلم أن يكون حريصًا على تقوية إيمانه ومُحاسبة نفسه؛ كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) ^(٣)، ولقد حرص الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح على ذلك، وهذا الحديث يُصَوِّرُ شَيْئًا مِمَّا كَانَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم عليه من الحِرْصِ على تقوية إيمانهم ومُحاسبة أنفسهم، ومن ذلك أيضًا: ما روى الأسود بن هلال المُحَارِبِيُّ قَالَ: قَالَ لِي مَعَاذُ: اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنُ سَاعَةً، يعني نذكر الله، وفي لفظ: كَانَ مَعَاذُ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ: اجْلِسْ بِنَا فَلْنُؤْمِنُ سَاعَةً، فَيَجْلِسَانِ يَتَذَاكَرَانِ اللَّهَ وَيُحَمِّدَانِهِ ^(٤)، وقال زُرَّ بنُ حُبَيْشٍ: كَانَ عُمَرُ مِمَّا يَأْخُذُ بِيَدِ الرَّجُلِ وَالرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: قُمْ بِنَا نَزِدْ إِيمَانًا ^(٥)، وقال ابن سَابِطٍ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ

(١) يقال له: حنظلة الكاتب، وهو ابن الربيع بن صيفي، وهو الأسدي ببناء مشددة مكسورة، نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم، قال الحافظ في تبصير المنتبه ١٨/١ بتفصيل الباء، ونحوه في الإصابة في الترجمة التي تليه.

(٢) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وخوار ترك ذلك... ٢١٠٦/٤ (٢٧٥٠).

(٣) سورة الحشر آية ١٨.

(٤) رواه ابن أبي شيبة ١٦٤/٦.

(٥) رواه ابن أبي شيبة ١٦٤/٦.

يأخذ بيد النَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِهِ فيقول: تعالوا نُؤْمِنُ سَاعَةً، تعالوا فَلَنَذْكُرِ اللهَ وَنَزِدَّ إِيمَانًا، تعالوا نَذْكُرُهُ بطاعته لَعَلَّهُ يَذْكُرَنَا بِمَغْفِرَتِهِ^(١).

الفائدة الثانية: ينبغي للمُسلم أن يكون حريصًا على مجالسِ الذِّكْرِ، فإنها روضةٌ من رياضِ الجَنَّةِ؛ يحصل فيها الخيرُ والأجرُ، ويقوم منها وقد عُفِرَ له ذنبُهُ وأجيبَتْ دعوتهُ، نُحِفُّهُ الملائكةُ، وتُغشاهُ الرحمةُ، ويَذْكُرُهُ اللهُ فيمن عنده، فأئى فضلٍ أكبرُ من هذا؟ وينبغي للمسلم أن يكون حذرًا من التَّسْبُهِ بِمَنْ قَالَ اللهُ فيهم: (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حُمُرٌ مستنفرة فرّت من قسورة)^(٢)، فَهَمْ يَنْفَرُونَ عن مجالسِ ذِكْرِ اللهِ وَالْمَوْعِظَةِ كَمَا تَنْفِرُ الحُمُرُ مِنَ الأسدِ؛ بَلْ وَصَلَ الحَالُ بَعْضَهُمْ أَنَّهُمْ يُنْفَرُونَ منها غيرهم.

الفائدة الثالثة: يُبَيِّنُ الحديثُ أن المُسلم إذا أشكلَ عليه شيءٌ في أمرٍ دينه فإنه ينبغي له أن يُراجعَ أهلَ العِلْمِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الحُكْمَ الشرعيَّ فيما هو فيه، وَحَتَّى لَا تَتَفَاقَمَ مُشْكَلَتُهُ فيصعبُ حلُّها، والناسُ في هذا مُتَفَاوِتُونَ؛ فَمِنْهُمْ: مَنْ لَا يَسْأَلُ عن أمرٍ دينه أَلْتَبَّتْ، وَمِنْهُمْ: مَنْ قَدْ يُقْتِي نَفْسَهُ ويعملُ بما بَدَأَ لَهُ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَتَبَرَّعُ لَهُ بعضُ الجُهَّالِ فيفتيه بما يهواه فيقنعُ بفتواه، ويظن أن هذا يكفيه ويكونُ حُجَّةً له بين يدي رَبِّهِ، وما عَلِمَ المُسكينُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مُقَصِّرًا في السُّؤالِ الواجبِ عليه بقوله تعالى: (فاسألوا أهلَ الذِّكْرِ إن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^(٣)؛ كَانَ عَلَيْهِ إِثْمٌ تقصيره بالسُّؤالِ، وَإِثْمٌ غَلَطِهِ، كما أن هذا المُتَفَقِّحَ لِلْفَتْوَى بَعِيرٌ عِلْمٍ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ نصيبٌ وافٍ.

(١) رواه ابن أبي شيبة ١٧٠/٦.

(٢) سورة المدثر الآيات ٤٩-٥١.

(٣) سورة النحل آية ٤٣.

فضل السنن الرواتب

٢١- عن أم المؤمنين أم حبيبة رَمَلَةَ بنتِ أبي سفيان رضي الله عنهما قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ». رواه مسلم (١).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: هذه الرَكَعَاتُ المذكورةُ في الحديثِ تُسَمَّى عند أهل العلم: (السنن الرواتب)، وقد بينها لنا النبي ﷺ بالتفصيل كما في رواية الترمذي لهذا الحديث؛ فقال ﷺ: «أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ» (٢).

الفائدة الثانية: ينبغي المحافظة على هذه الركعات في كل يوم؛ ففي رواية للحديث في صحيح مسلم: قال ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً - تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ - إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»، ومن المحافظة عليها: قضاؤها إذا فاتت، فَمَنْ فَاتَتْهُ سُنَّةُ الْفَجْرِ صَلَّاهَا بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، وَالْأَفْضَلُ بَعْدَ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ، وَمَنْ فَاتَتْهُ سُنَّةُ الظُّهْرِ الْقَبْلِيَّةِ صَلَّاهَا بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، وَمَنْ فَاتَتْهُ سُنَّةُ الظُّهْرِ الْبَعْدِيَّةِ صَلَّاهَا بَعْدَ الْعَصْرِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلِي أَهْلِ الْعِلْمِ (٣).

الفائدة الثالثة: لقد كان السلف ﷺ يحرصون على هذه السنن منذ سمعهم لهذا الحديث؛ فَحَرِيٌّ بِنَا الْحَرِصُ عَلَيْهَا، وَالْمَحَافِظَةُ عَلَى أَدَائِهَا حَرِصًا عَلَى ثَوَابِهَا وَاقْتِدَاءً بِالصَّالِحِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، قَالَتْ أُمُّ حَبِيْبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ الرَّوَايُ عَنْهَا أَخُوهَا عَنبَسَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيْبَةَ، وَقَالَ الرَّوَايُ عَنْهُ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنبَسَةَ، وَقَالَ الرَّوَايُ عَنْهُ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرُو بْنِ أَوْسٍ، ذَكَرَ ذَلِكَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ.

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراجعة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن ٥٠٢/١ (٧٢٨).

(٢) رواه الترمذي في كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء فيمن صلى في يومٍ وليلةٍ اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ وَمَالَهُ فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ ٢٧٤/٢ (٤١٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٣) ينظر في قضاء السنن الرواتب: المغني ٥٤٤/٢، ٥٣٣، والروض المربع مع حاشية ابن قاسم ٢١٥/٢، والمجموع للنووي ٤٠/٤، ١٧١.

مشروعية التيامن

٢٢- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَانَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، فِي طُهُورِهِ وَتَرَجُّلِهِ وَتَنْعُلِهِ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: التَّيْمَانُ هو: الابتداءُ بِالْيَمِينِ، وقد ذَكَرَتْ عائشةُ-رضي الله عنها- في هذا الحديث قاعدةً عامَّةً وهي: (مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْبَدَاةِ) (٢) بِالْيَمِينِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ الْمُسْتَحْسَنَةِ، ثُمَّ ذَكَرَتْ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَمْثَلَةٍ، أَوَّلُهَا: التَّطَهُّرُ، فَالسُّنَّةُ فِي الْوَضُوءِ: الْبَدَاةُ بِالْيَمِينِ، وَالْقَدَمِ الْيُمْنَى، وَثَانِيهَا: التَّرَجُّلُ، وَهُوَ تَسْرِيحُ الشَّعْرِ وَدَهْنُهُ، فَالسُّنَّةُ الْبَدَاةُ بِجَانِبِ الْأَيْمَنِ، وَثَالِثُهَا: التَّنَعُّلُ، وَهُوَ لُبْسُ النَّعْلِ، فَالسُّنَّةُ الْبَدَاةُ بِالْقَدَمِ الْيُمْنَى، وَالضَّابِطُ فِي ذَلِكَ: أَنْ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ وَالرَّيْنَةِ فَإِنَّهُ يُفْعَلُ بِالْيَمِينِ، مِثْلُ: الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَأَخَذِ الْأَشْيَاءِ وَإِعْطَائِهَا، وَالْمَصَافِحَةَ، أَوْ يُبَدَأُ فِيهِ بِالْيَمِينِ، مِثْلُ: لُبْسِ الثَّوْبِ، وَدُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ، وَالسَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُفْعَلُ بِالْيَسَارِ، مِثْلُ: الْاسْتِنْجَاءِ، وَتَنْظِيفِ الْأَنْفِ، أَوْ يُبَدَأُ فِيهِ بِالْيَسَارِ، مِثْلُ: دُخُولِ الْحَمَّامِ، وَالخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَخَلْعِ الثَّوْبِ، قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ-رحمه الله تعالى-: قَاعِدَةُ الشَّرْعِ الْمُسْتَمْرَّةُ: أَنْ كُلَّ مَا كَانَ مِنْ بَابِ التَّكْرِيمِ وَالتَّزْيِينِ اسْتُحِبَّ فِيهِ التَّيْمَانُ؛ وَمَا كَانَ بِضِدِّهِ اسْتُحِبَّ فِيهِ التَّيَّاسُرُ. (٣)

الفائدة الثانية: دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ فِي الْاِغْتِسَالِ الْبَدَاةُ بِالْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنَ الْبَدَنِ، وَلَا أَعْلَمُ فِي هَذَا خِلَافًا بَيْنَ الْفُقَهَاءِ-رحمهم الله-، وَقَدْ نَصَّ عَلَى اسْتِحْبَابِ ذَلِكَ فَفَهَاءُ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله تعالى فِي ذِكْرِ سُنَنِ الْعُسْلِ: مِنْهَا الْاِبْتِدَاءُ بِالْأَيْمَنِ، فَيَعْسَلُ شِقَّةَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ الْأَيْسَرَ، وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَى اسْتِحْبَابِهِ. (٤)، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا حَدِيثٌ أُمَّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ

(١) رواه البخاري في أبواب المساجد، باب التَّيْمَانِ فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَعَبْرِهِ ١/٦٥١ (٤١٦)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب التيامن في الطهور وغيره ١/٢٢٦ (٢٦٨).

(٢) قال في القاموس (بدأ): التَّيْمَانُ، وَالتَّيْمَانُ، وَالتَّيْمَانُ، وَيَضْمَانُ. اه. يعني: التَّيْمَانُ، وَالتَّيْمَانُ.

(٣) شرح النووي على مسلم ٣/١٦٠ بتصريف يسير، وللاستزادة: انظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٠٨/٢١-١١٣.

(٤) المجموع ٢/٢١٣، ٢/٢٢٨، وقال المرداوي رحمه الله تعالى: قَوْلُهُ وَيُبَدَأُ بِشِقَّةِ الْأَيْمَنِ: بِإِلَّا نِزَاعِ (الإنصاف ١/٢٥٣)، وَيَنْظُرُ: الْمَغْنِي ١/١٣٨، وَكَشَافِ الْقِنَاعِ ١/١٥٢، وَمَوَاهِبِ الْجَلِيلِ ١/٣١٥، وَالخِلَاصَةُ الْفَقْهِيَّةُ عَلَى مَذْهَبِ السَّادَةِ الْمَالِكِيَّةِ ص ٢٦، وَالْفَتَاوَى الْهِنْدِيَّةُ ١/١٤، وَفَتْحِ الْقَدِيرِ ١/٥٨، وَقَالَ ابْنُ حَرَمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ الْعُسْلِ الْمُسْتَحْبَةِ: وَأَنْ يُبَدَأَ بِأَيْمَانِهِ. (المحلى ٢/٢٨).

ﷺ هُنَّ فِي غَسْلِ ابْنَتِهِ (رَزَيْنَب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا): «إِبْدَأْنَ بِمِيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنْهَا». متفق عليه. (١)

الفائدة الثالثة: في الحديثِ دليلٌ على شموليةِ الشريعةِ الإسلاميةِ لجميعِ شؤونِ الحياةِ، فهذهِ الأمورُ التي قد لا يتنبهُ الإنسانُ لها يجدُ فيها توجيهًا إسلاميًا، ومجالاً لكسبِ الثوابِ، والافتداءِ بالنبيِّ ﷺ.

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب التَّيْمُنِ فِي الْوُضُوءِ وَالْغَسْلِ ١/٧٣ (١٦٥)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب فِي غَسْلِ الْمَيِّتِ ٢/٦٤٨ (٩٣٩).

كراهية النَّذْرِ

٢٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَنْذِرُوا، فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُعْنِي مِنَ الْقَدْرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَحِيلِ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: النَّذْرُ هو: أن يوجب الشخصُ المُكَلَّفُ على نفسه شيئاً لله تعالى ليس واجباً عليه بأصل الشرع، مثل أن يقول: لله علي صيام شهر، أو إن حصل لي كذا لأصدقن بألف ريال، وحكمه عقْد النَّذْرِ أنه: مكروه على الصحيح من أقوال أهل العلم، وذلك لينهي النبي ﷺ عنه في هذا الحديث وغيره.

الفائدة الثانية: نهى النبي ﷺ عن النَّذْرِ لحكم عديدة منها:

أولاً: أن الإنسان قد يندُر نذراً فيلزم نفسه ما لم يلزمه به الشرع ابتداءً، ثم يعجز عن الوفاء به فيتحسر ويبحث عن المخارج التي تخرجه من هذا النَّذْرِ، ولذلك قال النبي ﷺ عن النَّذْرِ في حديث آخر عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إنه لا يأتي بخير». رواه مسلم. (٢)

ثانياً: أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على فعل الخير ابتداءً، ويشكر نعمة الله تعالى عليه بفعل الصالحات من الصيام أو الصدقة وغيرهما من غير تعليقها بالنذر؛ لأنه إذا علق فعل الطاعة بالنذر فكأنه يقول لربه جلّ وعلا: إن أنعمت علي بكذا فعلت هذه الطاعة وإلا لم أفعلها، وهذا إنما يكون من الشخص السحيح بماله والشحيح على نفسه بفعل الخير؛ وهو سوء أدب مع الله تعالى، ولذلك قال النبي ﷺ: «وإنما يستخرج به من البحيل».

الفائدة الثالثة: النَّذْرُ لا يُعَيِّرُ مِنَ الْقَدْرِ شَيْئًا، فلذلك لا ينبغي للمؤمن الظنُّ بأنه إذا نذر لله شيئاً عند شفائه أو نجاحه أو سلامة أولاده أو زيادة رزقه أو غير ذلك؛ لا يظنُّ أن نذره هذا سوف يُعَيِّرُ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ شَيْئًا؛ بل ينبغي له أن يسلك الأسباب الشرعية والقدرية الكونية التي يمكن أن تؤثر في تحسين وضعه وتصحيح حاله من غير أن يلجأ إلى النَّذْرِ؛ فإن النَّذْرَ غيرُ داخلٍ في الأسباب التي

(١) رواه مسلم في كتاب النَّذْرِ، باب النهي عن النَّذْرِ وأنه لا يزيد شيئاً (١٢٦١/٣) (١٦٤٠)، وللبخاري معناه في كتاب القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر ٢٤٣٧/٦ (٦٢٣٥)؛ لكن ليس فيه لفظ النهي، ونذرنا من باب ضرب، ونذرت من باب نصر أو قتل (مختار الصحاح ص ٥٧٥، والمصباح المنير ص ٢٢٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب النَّذْرِ، باب النهي عن النَّذْرِ وأنه لا يزيد شيئاً (١٢٦١/٣) (١٦٣٩)، وللبخاري نحوه في كتاب القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر ٢٤٣٧/٦ (٦٢٣٤).

يَسْأَلُهَا الْمُسْلِمُ لِتَحْسِينِ حَالِهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّ النَّذْرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدْرِ شَيْئًا»، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخِّرُ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١)، وَفِي لَفْظٍ لَهُمَا: «إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا». ^(٢)

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والندوة، باب الوفاء بالنذر ٦/٢٤٦٣ (٦٣١٤)، ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا ٣/١٢٦١ (١٦٣٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب القدر، باب إلقاء العبد النذر إلى القدر ٦/٢٤٣٧ (٦٢٣٤)، ومسلم في كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا ٣/١٢٦٠ (١٦٣٩).

الهمة العالية وشكر الناس

٢٤- عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتُه بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك»، قلت: هو ذلك، قال: «فأعني على نفسك بكثرة السجود». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لقد كان ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ويبعث معه، ويأتيه بوضوئه وحاجته، وكانت نفسه توافقه بذلك إلى الجنة، ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يكون رفيقاً له في الجنة، وهذا يدل على علو همة إذ كان بإمكانه أن يسأل الدنيا بأسرها، يسأل المال والمتاع الزائل؛ إلا إنه لما خيره الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء يشفع له فيه عند ربه لم تتق نفسه إلا إلى أعلى المعالي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينظر إلى خيرة أخرى: «أو غير ذلك»، فتمسك بما اختاره أولاً، وهكذا المؤمن ينبغي أن يكون ذا همة عالية مترقعة عن الدنایا، توافقه إلى ما عند الله تعالى.

الفائدة الثانية: دل الحديث على استحباب شكر الإنسان لمن يقدم له خدمة أو عملاً، فالتبني رضي الله عنه أحب أن يكافئ ربيعة على خدمته له فلذلك خيره فيما يريد، وقد جاء في حديث الأشعث بن قيس الكندي وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس». رواه أحمد (٢)، فالإحسان للمحسن وشكره من محاسن الأخلاق التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله، وجحود ذلك وإهماله من مساوئ الأخلاق التي ينبغي أن يترفع عنها المؤمن.

الفائدة الثالثة: لما كانت الجنة لا تُنال إلا بالعمل الصالح أمر النبي صلى الله عليه وسلم ربيعة رضي الله عنه أن يكثّر من الصلاة، وفي هذا دليل على مشروعية الإكثار من صلاة النوافل، وقد شرع الله تعالى لنا في اليوم والليله صلوات كثيرة، وصلاة النفل مشروعة في كل وقت إلا أوقات النهي عن الصلاة (٣)،

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه ٣٥٣/١ (٤٨٩).

(٢) حديث الأشعث: رواه أحمد ٢١١/٥، ٢١٢، ومن طريقه الضياء في الأحاديث المختارة ٣٠٧/٤، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٧١). وحديث أبي هريرة نحوه: رواه أحمد ٢٥٨/٢، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في شكر المؤمن (٤/٢٥٥ (٤٨١١)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٤/٣٣٩ (١٩٥٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد ص ٨٥ (٢١٨)، والطحاوي ص ٣٢٦، وصححه ابن حبان ١٩٨/٨ (٣٤٠٧) والألباني في صحيح الجامع (٦٦٠١) وصحيح الترغيب والترهيب (٩٧٣).

(٣) وهي ثلاثة على الإجمال وخمسة على التفصيل، وهي إجمالاً: من صلاة الفجر حتى ارتفاع الشمس قيد رمح، ومن استواء الشمس في وسط السماء حتى تزول، ومن صلاة العصر حتى تغيب الشمس.

وأفضلها صلاة الليل، وفي حديث ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
«استقيموا ولن تحضوا، وأعلموا أن خير أعمالكم الصلاة». رواه أحمد وابن ماجه وهو صحيح^(١)،
فينبغي للمسلم أن لا يعقل عن نوافل اليوم واللييلة، كالسنة الزواتب، وصلاة الضحى، وقيام الليل،
وصلاة الوتر، فهي مما يقربه من الله تعالى، ويؤدنيه من الجنة التي لأجلها شتم الصالحون واجتهد
المجتهدون.

(١) رواه أحمد ٢٧٦/٥، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب المحافظة على الوضوء ١٠١/١ (٢٧٧)، والدارمي ١٧٤/١ (٦٥٥)، وصححه ابن حبان ٣١١/٣ (١٠٣٧)، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٢٢١/١: صحيح على شرط الشيخين، وقال العقيلي في الضعفاء ١٦٨/٤: إسناده ثابت عن ثوبان، وقال المنذري (الترغيب والترهيب ٩٧/١): رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، وقال ابن عبد الهادي (تنقيح تحقيق أحاديث التعليق ١٤٢/٣): هو حديث صحيح، وقال الحافظ (فتح الباري ١٠٨/٤): الحديث صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١٣٥/٢ (٤١٢) وصحيح الجامع (٩٥٢).

حُكْم البول قائمًا

٢٥- عن حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ -رضي الله عنهما- قال: أتى النبي ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ. متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: في هذا الحديث دليلٌ على جواز البول قائمًا، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: يجوز البول قائمًا بشرطين: **الشرط الأول:** أن لا تظهر عورته عند الناس، **والشرط الثاني:** أن يأمن من رشاش البول على بدنه وثيابه، قال شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: لا حرج في البول قائمًا، ولا سيما عند الحاجة إليه؛ إذا كان المكان مستورًا لا يرى فيه أحد عورة البائل، ولا يناله شيء من رشاش البول. اهـ (٢)

الفائدة الثانية: مع جواز البول قائمًا -كما تقدم- فإن الأفضل البول جالسًا لأنه أكثر فعل النبي ﷺ، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: من حدثك أن رسول الله ﷺ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقْهُ، مَا بَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا مُنْذُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ. رواه أحمد وغيره (٣). قال شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله تعالى: الأفضل البول عن جلوس؛ لأن هذا هو الغالب من فعل النبي ﷺ، ولأنه أستر للعورة، وأبعد عن الإصابة بشيء من رشاش البول. اهـ (٤)

الفائدة الثالثة: يُسْتَحَبُّ الوضوءُ بعدَ الحَدَثِ وإن لم يكن الشخص مُريدًا للصلاة، كما يُسْتَحَبُّ استمرارُ المُسْلِمِ عَلَى الطَّهَارَةِ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدَتْ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب البَوْلُ قَائِمًا وَقَاعِدًا ٩٠/١ (٢٢٢)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ٢٢٨/١ (٢٧٣)، قال ابن الأثير (النهاية في غريب الأثر ٣٣٥/٢): السباطة: للموضع الذي يُرمى فيه التراب والأوساخ وما يكس من المنازل، وقيل: هي الكُنَاسَة.

(٢) ينظر: كشاف القناع ١٢٤/١، والإنصاف ١٩٩/١، ومجموع فتاوى ومقالات شيخنا ابن باز ١٠ / ٢٠.

(٣) رواه أحمد ١٣٦/٦، ١٩٢، والنسائي ٢٦/١ (٢٩)، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب في البَوْلِ قَاعِدًا ١١٢/١ (٣٠٧)، وأبو عوانة ١٦٩/١ (٥٠٤)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٢٩٠/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الألباني (إرواء الغليل ٩٥/١): سنده صحيح على شرط مسلم.

(٤) مجموع فتاوى و مقالات الشيخ ابن باز ١٠ / ٢٠.

تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ حَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ». رواه أحمد وابن ماجه
وهو صحيح. (١)

السَّدَادُ وَالْمُقَارَبَةُ

٢٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا؛ إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ. سَدَّدُوا وَقَارَبُوا، وَاعْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّجَّةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلُّعُوا». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: السَّدَادُ هو: الوصول إلى حَقِيقَةِ الاستِقَامَةِ، والإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، والمُقَارَبَةُ: القُرْبُ من مَرْتَبَةِ السَّدَادِ، فَالْمُسْلِمُ أَمَامُهُ مَرَّتَانٍ؛ فَهُوَ مُطَالِبٌ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الوصولِ إِلَى المَرْتَبَةِ الأُولَى وهي: السَّدَادُ، فَإِنْ اجْتَهِدَ وَلَمْ يُصِبْهَا فَلَا يُفَوِّتُهُ القُرْبُ مِنْهَا بالوصولِ إِلَى المَرْتَبَةِ الثَانِيَةِ وهي: المُقَارَبَةُ، وَمَا سِوَاهُمَا تَفْرِيطٌ وَإِضَاعَةٌ، وَعَلَى المُؤْمِنِ أَنْ لَا يُفَارِقَ هَاتَيْنِ المَرْتَبَتَيْنِ، وَلِيَجْتَهِدَ فِي الوصولِ إِلَى أعْلَاهُمَا؛ كَالَّذِي يَرْمِي غَرَضًا يَجْتَهِدُ فِي إِصَابَتِهِ، أَو القُرْبِ مِنْهُ حَتَّى يُصِيبَهُ.

الفائدة الثانية: شَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ المُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا بِالمُسَافِرِ فِي سَفَرِهِ؛ فَنَبَّهَهُ عَلَى عَدَمِ الإِضْرَارِ بِنَفْسِهِ فِي سَفَرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ المُسَافِرَ إِذَا سَارَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ جَمِيعًا عَجَزَ وَانْقَطَعَ، وَإِذَا تَحَرَّى السَّيْرَ فِي الأَوْقَاتِ المَذْكُورَةِ أَمَكَّنَهُ مُوَاصَلَةُ السَّفَرِ وَالوصولِ إِلَى مُرَادِهِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، وَهَذِهِ الأَوْقَاتُ المَذْكُورَةُ أَطْيَبُ أَوْقَاتِ المُسَافِرِ؛ إِذْ هِيَ أَوْقَاتُ نَشَاطِهِ، وَهَكَذَا المُسْلِمُ إِذْ هُوَ فِي دَارِ نُفْلَةٍ إِلَى الآخِرَةِ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسِيرَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلَا يَقِفَ فَيَنْقَطِعَ عَنِ رَبِّهِ، وَلَا يَشُقَّ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْوَاعِ العِبَادَةِ حَتَّى يُصَابَ بِالمَلَلِ وَالفُتُورِ؛ فَيَكُونُ أَيْضًا سَبَبًا لَانْقِطَاعِهِ عَنِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

الفائدة الثالثة: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَمُنَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِعَمَلِهِ؛ وَأَنْ يَعْتَرَّ بِالطَّاعَاتِ الَّتِي يَعْمَلُهَا؛ فَإِنَّهُ مَهْمَا عَمِلَ فَإِنَّمَا يَعْمَلُ لِخُلَاصِ نَفْسِهِ وَنَجَاتِهَا وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْهُ وَعَنْ عَمَلِهِ (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (١)، كَمَا إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَقُومَ بِشُكْرِ شَيْءٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل ٥/ ٢٣٧٣ (٦٠٩٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى ٤/ ٢١٦٩ (٢٨١٦)، وليس في مسلم آخر الحديث، ومعنى قوله: «سَدَّدُوا»: الزموا السداد، وهو الصواب والتوسط في العمل من غير إفراط ولا تفريط، و«قاربوا» يعني: إذا لم تستطيعوا عمل الأكمل فاعملوا ما يقرب منه، و«اغدوا»: الغدوة: السير أول النهار، و«روحوا»: الروححة: السير بعد الزوال، و«الدُّجَّة»: سير الليل، و«القصد القصد»: الزموا الطريق الوسط المعتدل في أعمالكم، و«تبلعوا» يعني: تبلعوا رحمة الله فیدخلكم الجنة.

(٢) سورة النمل آية ٤٠.

عليه؛ ولذلك أعلن النبي ﷺ - وهو أكمل الخلق - أنه لن يدخل أحد الجنة بمجرد عمله؛ حتى هو عليه الصلاة والسلام، وقد عاتب الله قومًا أظهرُوا المنة على الله تعالى ورسوله ﷺ بإسلامهم فعاتبهم الله تعالى بقوله: (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١)، ولذلك لما فقه الأنصار ﷺ هذه الحقيقة تكلموا بكلام العارفين؛ وذلك لما وجدوا في أنفسهم شيئًا من قسمة النبي ﷺ لعنائهم حنين، فلما عاتبهم النبي ﷺ قائلاً لهم: «ألم آتاكم ضللاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟»، قالوا: بلى الله ورسوله آمن وأفضل، فقال ﷺ: «ألا تحبونني يا معشر الأنصار؟»، قالوا: وبماذا تحببنا يا رسول الله؟ ولله ورسوله الأمن والفضل. قال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتهم وصدقتهم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدًا فأوتيناك، وعائلاً فأغنيناك». رواه أحمد (٢).

(١) سورة الحجرات آية ١٧.

(٢) رواه أحمد ٧٦/٣، قال في مجمع الزوائد ٣٠/١٠ : ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع، اه وأصل الحديث في الصحيحين مختصراً من حديث عبد الله بن زياد بن عاصم ﷺ: البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ١٥٧٤/٤ (٤٠٧٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه ٧٣٨/٢ (١٠٦١).

فضل الصفِّ الأوَّل والتبكير إلى الصَّلَاةِ وصلاتي العشاء والفجر

٢٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الأوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوًّا». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الصفِّ الأوَّل أفضلُ صفوفِ المُصلِّين، وفيه فضلٌ عظيمٌ؛ فينبغي للمُصلِّي الحِرْصُ عَلَى أَنْ يَكُونَ دَائِمًا فِي الصَّفِّ الأوَّلِ، وَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ جَاءَ مُبَكِّرًا أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ الصَّفِّ الأوَّلِ إِلَّا لِعُذْرٍ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «تَقَدَّمُوا فَأَتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ». رواه مسلم (٢)، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ جَاءَ أوَّلَ النَّاسِ وَصَفَّ فِي غَيْرِ الأوَّلِ، فَقَدْ خَالَفَ الشَّرِيعَةَ. اهـ (٣)، وَمَنْ تَرَكَ الصَّفِّ الأوَّلَ فَقَدْ حَرَمَ نَفْسَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَ الْمُتَنَبِّي: وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ (٤)

الفائدة الثانية: التَّهْجِيرُ هُوَ: التَّبَكِيرُ فِي الدَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَقَدْ حَثَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَوَائِدِ، وَمِنْهَا: إِدْرَاكُ الصَّفِّ الأوَّلِ، وَإِدْرَاكُ الصَّلَاةِ مِنْ أَوَّلِهَا، وَأَدَاءُ النَّافِلَةِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَحُصُولُ اسْتِغْفَارِ الْمَلَائِكَةِ لَهُ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَبَهَرَ الصَّلَاةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

الفائدة الثالثة: يَجِبُ الْإِهْتِمَامُ بِأَدَاءِ الصَّلَوَاتِ جَمِيعًا مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَبِخَاصَّةِ صَلَاتِي الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ، وَالْإِهْتِمَامُ بِهَمَّا عَلَامَةٌ عَلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَالْبُعْدِ عَنِ النَّفَاقِ، فَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُتَأَفِّقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوًّا». متفق عليه (٥)، وَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ حَرَصَ عَلَيْهِمَا فَضْلًا كَبِيرًا، عَبَّرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «وَلَوْ

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الاستهتام في الأذان ١/٢٢٢ (٥٩٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها ١/٣٢٥ (٤٣٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف ١/٣٢٥ (٤٣٨).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٢/٢٦٢.

(٤) عن فيض القدير ٣/٤٨٨، ومرقاة المفاتيح ٩/٢٨٧.

(٥) رواه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل العشاء في الجماعة ١/٢٣٤ (٦٢٦)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة ١١/٤٥١ (٦٥١)، وهذا اللفظ.

يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا» يَعْنِي: مِنَ الْأَجْرِ «لَأْتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى فَضْلِ كَبِيرٍ أَدَّخَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِمَا مَعَ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ إِذْ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «لَأْتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»، مَعْنَاهُ: حَضَرُوا هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ وَلَوْ مَعَ الْمَرَضِ الْمُتَعَدِّ هُنَّ عَنِ الْمَشْيِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعَظِيمِ فَضْلِهِمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعَ كُلِّ هَذَا الْفَضْلِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ صَلَاةِ الْفَجْرِ مَعَ الْجَمَاعَةِ؛ فَاخْذَرُوا أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ.

مصادر التلقي وهدى السلف

٢٨- عن أبي نُجَيْحِ العِرباضِ بنِ ساريةٍ رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنَّ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُخَدَّاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُخَدَّاتَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وهو صحيح.^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يُبَيِّنُ هذا الحديث العظيم أهمَّ مصدرٍ لتلقي هذه الشريعة المباركة عند سلف الأمة رضي الله عنهم، وهو هدي النبي ﷺ وسنته، وهذا يشمل جميع الهدى الذي جاء به النبي ﷺ من ربه جلَّ وعلا، وسارَ عليه إلى أن توفاه الله عزَّ وجلَّ، ثم هدي أصحابه رضي الله عنهم من بعده، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ بخلاف أهل البدع والضلالة الذين يتبعون الأهواء، ولا يستمسكون بالسُنن.

الفائدة الثانية: لقد سار الخلفاء الراشدون المهديون على هدي النبي ﷺ ومنهجه، فلذلك رزاهم النبي ﷺ وجعل هديهم كهديه ومنهاجهم كمنهاجهم، وأمر بالافتداء بهم رضي الله عنهم، ووصفهم بكونهم راشدين، والرشد ضد الغواية، ويعني سلوك سبيل الهدى والصلاح والخير، وهو غاية يصل إليها كل من استجاب لأمر الله تعالى: (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)^(٢)، وفي وصفهم بذلك تركيبة لمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم، وحث على الافتداء بهم والتمسك بسنتهم، ورد على الطاعنين فيهم من أهل البدع.

(١) رواه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود ٢٠٠/٤ (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي ٤٤/٥ (٢٦٧٦)، والدارمي ٥٧/١ (٩٥)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وضححه ابن حبان ١٧٨/١ (٥) وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١٧٤/١: هذا حديث صحيح ليس له علة، وقال عن رواية أخرى: هذا إسناد صحيح على شرطهما جميعا ولا أعرف له علة، وقد ذكر له عدة طرق ثم قال: وقد استقصيت في تصحيح هذا الحديث بعض الاستقصاء على ما أدى إليه اجتهادي وكنيت فيه كما قال إمام أئمة الحديث شعبة في حديث عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر لما طلبه بالبصرة والكوفة والمدينة ومكة ثم عاد الحديث إلى شهر بن حوشب فتركه ثم قال شعبة: لأن يصح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من الولدي وولدي والناس أجمعين، وقد صح هذا الحديث والحمد لله، وضححه الألباني في الإرواء (٢٤٥٥).

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣.

الفائدة الثالثة: في الحديث إشارة إلى طريقة التعامل مع مصدر التلقي؛ وذلك بأن يؤخذ بالتعظيم والاحترام، ويُستمسك به أشد الاستمسك؛ وتأمل عبارات الحديث الدالة على ذلك حيث قال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي»، ثم قال: «تمسكوا بها»، ثم أكد هذا التمسك بقوله ﷺ: «وعصوا عليها»، ثم قال: «بالنواجذ» وهي آخر الأضراس، والعض عليها أقوى وأكد، وهذا دال على غاية الاستمسك بالهدي النبوي، ومجانبة كل سبيل فيه بُعد عنه ومخافة له، كما يدل على أن التمسك يكون بجميع الهدي النبوي بالقوة والحرص نفسيهما.

وجوب السجود على الأعضاء السبعة

٢٩- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: عَلَى الْجُبْهَةِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا نَكُفَّتِ الثِّيَابُ وَالشَّعْرَ». (١) متفق عليه، وفي رواية للبخاري: «أُمِرْنَا». (٢)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: تَضَمَّنَ الحديثُ صِفَةَ السُّجُودِ الْوَاجِبَةِ، وهي السُّجُودُ عَلَى الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ، وذلك رُكْنٌ مِنْ أركانِ الصَّلَاةِ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي إِذَا سَجَدَ أَنْ يَضَعَ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ السَّبْعَةَ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَكُونَ سَاجِدًا السُّجُودَ الشَّرْعِيَّ، وهي: الْجُبْهَةُ مَعَ الْأَنْفِ، وَالْيَدَانِ، وَالرُّكْبَتَانِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ.

الفائدة الثانية: يَجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي أثنَاءَ السُّجُودِ أَنْ يَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَقْلُ ذَلِكَ أَنْ يَضَعَهُمَا مِقْدَارَ الذِّكْرِ الْوَاجِبِ فِي السُّجُودِ وهو تَسْبِيحَةٌ واحدةٌ، فَمَنْ رَفَعَ قَدَمَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا أثنَاءَ السُّجُودِ كُلِّهِ فَقَدْ تَرَكَ رُكْنًا مِنْ أركانِ الصَّلَاةِ وهو السُّجُودُ عَلَى الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ، كما إِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي السُّجُودِ وَضْعُ إِحْدَى الْقَدَمَيْنِ فَوْقَ الْأُخْرَى طَوَالَ السُّجُودِ؛ لِأَنَّهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِنَّمَا يَسْجُدُ عَلَى سِتَّةِ أَعْضَاءٍ لَا عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ، قَالَ الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: إِنْ كَانَتْ رِجْلُهُ مَرْفُوعَةً مِنْ ابْتِدَاءِ السَّجْدَةِ إِلَى آخِرِهَا لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ؛ لِأَنَّهُ تَرَكَ وَضَعَ بَعْضِ أَعْضَاءِ الصَّلَاةِ وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَضَعَهَا بِالْأَرْضِ فِي نَفْسِ السَّجْدَةِ ثُمَّ رَفَعَهَا وهو فِي السَّجْدَةِ فَقَدْ أَدَّى الرُّكْنَ، لَكِنَّهُ لَا يَنْبَغِي ذَلِكَ. اهـ (٣)

الفائدة الثالثة: يَجِبُ عَلَى الْمُصَلِّي أَنْ يَطْمِئِنَّ فِي سُجُودِهِ، وذلك بِأَنْ يَضَعَ أَعْضَاءَ السُّجُودِ السَّبْعَةَ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَسْتَقَرَّ عَلَيْهَا حَتَّى يَأْتِيَ بِالتَّسْبِيحِ الْمَشْرُوعِ فِي السُّجُودِ وهو قول: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»، وَمَنْ لَمْ يَطْمِئِنَّ فِي سُجُودِهِ عَامِدًا بَطَلَتْ صَلَاتُهُ؛ لِأَنَّ الطَّمَأْنِينَةَ رُكْنٌ مِنْ أركانِ الصَّلَاةِ، وَإِنْ كَانَ سَاهِيًا وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ وَبِمَا بَعْدَهُ وَيَسْجُدُ لِلسُّهُوِّ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب السجود على الأنف ٢٨٠/١ (٧٧٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة ٣٥٤/١ (٤٩٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب السجود على سبعة أعظم ٢٨٠/١ (٧٧٧).

(٣) الفتاوى السعدية ص ١٤٧.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة المسبي في صلاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ثمَّ اسجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَأَفْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا».^(١)

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت
١/٢٦٣ (٧٢٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٨ (٣٩٧) .

عدم احتقار فعل المعروف ولو يسيراً

٣٠- عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ

يُوجِّهُ طَلْقًا». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: المعروف هو ما عُرف بالشَّرع أَنَّهُ مِنَ الْحَيْرِ؛ فَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ هَذَا الْحَدِيثِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى فِعْلِهَا بِنَفْسِهِ، أَوْ الْإِعَانَةِ عَلَى فِعْلِهَا بِنَفْسِهِ أَوْ بِمَالِهِ أَوْ بِرَأْيِهِ أَوْ بِوَلَدِهِ أَوْ بِخَادِمِهِ أَوْ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَسَائِلِ؛ إِذْ كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يَشْمَلُهُ هَذَا الْحَدِيثُ.

الفائدة الثانية: يَنْهَى الرَّسُولُ ﷺ الْمُسْلِمَ عَنِ التَّقْلِيلِ مِنْ شَأْنِ الْمَعْرُوفِ أَيًّا كَانَ مَقْدَارُهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمَعْرُوفَ كُلَّهُ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ؛ فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى فِعْلِ الْمَعْرُوفِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ وَلَا يَحْتَقِرَ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَلَرُبَّمَا كَانَتْ بَحَاثُهُ فِي عَمَلٍ يَسِيرٍ، فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». متفق عليه. (٢)

الفائدة الثالثة: الْعَمَلُ الْيَسِيرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ قَدْ يَكُونُ كَبِيرًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِالْعَمَلِ أَوْ الْعَامِلِ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ فَلَرُبَّمَا عَظُمَ الْعَمَلُ بِسَبَبِ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ (٣)، أَوْ لِأَنَّ ذَلِكَ غَايَةٌ مَا يَسْتَطِيعُهُ الْعَامِلُ، أَوْ لِأَنَّهُ أَثَّرَ بِهِ مَعَ حَاجَتِهِ، وَلَرُبَّمَا كَانَ سَبَبُ التَّعْظِيمِ مَا قَارَنَهُ مِنْ شِدَّةِ حَالِ الْعَمَلِ؛ كَمَا لَوْ كَانَ الْعَمَلُ مُتَعَلِّقًا بِشِدَّةِ حَاجَةِ الشَّخْصِ، أَوْ كَانَ زَمَنٌ أَوْ مَوْضِعٌ حَاجَةٍ، أَوْ بِسَبَبِ قَرَابَةِ مُتَّحِجَةٍ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ يَتَضَاعَفُ وَيَعْظُمُ أَجْرُهُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَلَا افْتَحَمَ الْعُقْبَةَ { ١١ } وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ { ١٢ } فَكُلُّ رَقَبَةٍ { ١٣ } أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ { ١٤ } يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ { ١٥ } أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ { ١٦ }) (٤).

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ٢٠٢٦/٤ (٢٦٢٦)، وقوله: «طلق» يعني: منبسطا مبتسما.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب ٢٣٩٥/٥ (٦١٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ٧٠٣/٢ - ٧٠٤ (١٠١٦).

(٣) جامع العلوم والحكم ١٣/١، وسير أعلام النبلاء ٤٠٠/٨.

(٤) سورة البلد الآيات من ١١-١٦.

ذِكْرُ اللَّهِ يَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ

٣١- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يُحْتُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أُمَّتَهُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَاصَّةً عِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ وَأَكْلِ الطَّعَامِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ بَيَانِهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ دُخُولَ الْبَيْتِ الَّذِي لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، وَالطَّعَامَ الَّذِي لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ أَكْلِهِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثٍ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّةً طَعَامًا فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةَ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيَّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا». رواه مسلم. (٢)

الفائدة الثانية: أَفَادَ الْحَدِيثُ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَتَسَلَّطُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَهُوَ يُشَارِكُهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ فَيُنْقِصُ بَرَكَتَهُ، وَيُشَارِكُهُمْ فِي مَبِيتِهِمْ دَاخِلَ مَنَازِلِهِمْ فَيَزِعُ الْفِتْنَ بَيْنَهُمْ، بَلْ إِنَّهُ يُشَارِكُهُمْ حَتَّى فِي جَمَاعِ رُؤُوسِهِمْ فَيُؤَثِّرُ فِي نَسْلِهِمْ وَيُضِرُّ بِهِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنَّبَ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا». رواه البخاري (٣)، وقال

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ٣/١٥٩٨ (٢٠١٨)، وقوله: «قال الشيطان» يعني: لأعدائه.

(٢) رواه مسلم في الموضوع السابق ٣/١٥٩٧ (٢٠١٧)، وهو هكذا عنده: في يدها، قال النووي (شرح صحيح مسلم ١٣/١٨٩): هكذا هو في معظم الأصول (يدها) وفي بعضها (يدها) فهذا ظاهر، والتثنية تعود إلى الجارية والأعرابي ومعناه: إن يدي في يد الشيطان مع يد الجارية والأعرابي، وأما على رواية يدها بالإفراد فيعود الضمير على الجارية، وقد حكى القاضي عياض -رضي الله عنه- أن الوجه التثنية، والظاهر أن رواية الأفراد أيضا مستقيمة فإن إثبات يدها لا ينفي يد الأعرابي، وإذا صحت الرواية بالإفراد وجب قبولها وتأويلها على ما ذكرناه، والله أعلم.

(٣) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتى أهله ٥/٢٣٤٧ (٦٠٢٥)، ومسلم في كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ١٠٥٨/٢ (١٤٣٤).

الله تعالى: (وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا).^(١)

الفائدة الثالثة: إذا أكثر المسلم ذكر الله تعالى أبعد الشيطان عنه ولم يتمكّن من التأثير عليه، قال تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)^(٢)، وقال تعالى: (وَمَنْ يَعْشُ) يعني: يُعرضُ (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)^(٣)، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينِيذٍ: هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ، فَتَنَنَحَى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فيقولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ». رواه أبو داود والترمذي.^(٤)

(١) سورة الإسراء آية ٦٤.

(٢) سورة النحل الآيتان ٩٩-١٠٠.

(٣) سورة الزخرف آية ٣٦.

(٤) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول ٤/٣٢٥ (٥٠٩٥)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته ٥/٤٩٠ (٣٤٢٦)، والنسائي في الكبرى ٦/٢٦ (٩٩١٧)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني في هامش الكلم الطيب ص ٤٩: حديث صحيح.

الاحتساب في النِّفْقَةِ

٣٢- عن أبي مسعود البَدْرِيِّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا؛ كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً». متفق عليه. ^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: النِّفْقَةُ عَلَى النَّفْسِ وَالزَّوْجَةِ وَالْوَالِدِ، مَنْ احْتَسَبَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَتَوَى بِهَا الْأَسْتِجَابَةَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا) ^(٢)، فَهُوَ مُأْجُورٌ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَتْ لَهُ صَدَقَةً مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَمَنْ لَمْ يَنْوِ هَذَا لَمْ يُؤْجَرْ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ عَادَةً مِنَ الْعَادَاتِ، وَفِي حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَضَعُ فِي فِي امْرَأَتِكَ». متفق عليه. ^(٣)

الفائدة الثانية: النِّفْقَةُ عَلَى الزَّوْجَةِ وَالْوَالِدِ وَاجِبَةٌ شَرْعًا، وَتَرْكُ النِّفْقَةِ عَلَيْهِمْ تَفْرِيطٌ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَتَضْيِيعٌ لِلْأَمَانَةِ، وَقَدْ يُوَدِّي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى ضَيَاعٍ كَبِيرٍ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْجَرَائِمِ وَالْمَفَاسِدِ لِتَحْصِيلِ لُثْمَةِ الْعَيْشِ بِسَبَبِ تَفْرِيطِ الْوَالِيِّ فِي النِّفْقَةِ، وَلِذَلِكَ أَعْظَمَ النَّبِيُّ ﷺ إِثْمَ مَنْ فَرَطَ فِي ذَلِكَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ ^(٤)، وَسَمَّاهُ تَضْيِيعًا لِمَا فِيهِ مِنْ تَضْيِيعِ الْأَمَانَةِ.

الفائدة الثالثة: النِّفْقَةُ عَلَى الزَّوْجَةِ وَالْوَالِدِ مِنْ أَحْسَنِ النَّفَقَاتِ، وَهِيَ مُقَدَّمَةٌ عَلَى أَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ، فَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يَنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارًا

(١) رواه البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل ٥/٤٧٠ (٥٠٣٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين ٢/٦٩٥ (١٠٠٢).

(٢) سورة الطلاق آية ٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ١/٣٠ (٥٦)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث ٣/١٢٥١-١٢٥٠ (١٦٢٨).

(٤) رواه أحمد ٢/١٦٠، ١٩٤، والنسائي في الكبرى ٥/٣٧٤ (٩١٧٧)، وأبو داود ٢/١٣٢ (١٦٩٢)، والحاكم ١/٥٧٥، وقال: صحيح الإسناد، وصححه ابن حبان ١٠/٥١ (٤٢٤٠)، وقال ابن اللبب: رواه النسائي وأبو داود بسند صحيح (كشف الخفاء ٢/١٤٧). اهـ وأصله في صحيح مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٢/٦٩٢ (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته».

يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». رواه مسلم^(١)، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ مُعَلَّقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، وَأَيُّ رَجُلٍ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ؛ يُعْفُهُمْ أَوْ يَنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُعْنِيهِمْ. اهـ^(٢)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ». رواه مسلم^(٣). وَمِنْ أَحْسَنِ النَّفَقَةِ: النَّفَقَةُ عَلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَابِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ).^(٤)

(١) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم ٦٩١/٢ (٩٩٤).

(٢) ذكره مسلم عقب الحديث السابق.

(٣) رواه مسلم في الموضوع السابق ٦٩٢/٢ (٩٩٥).

(٤) سورة البقرة آية ٢١٥.

السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ

٣٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «[وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ] لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: قد شرع الله ورسوله ﷺ لنا تحيةً تُمَيِّزنا عن غيرنا، ورَتَّبَ على فعلها الثواب، وجَعَلَهَا حَقًّا مِنْ حَقُوقِ الْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ، فَتَحَوَّلَتِ التَّحِيَّةُ مِنْ عَادَةٍ مِنَ الْعَادَاتِ إِلَى عَمَلٍ يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتِحَابَةً لِأَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ، وَهِيَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُبَدَلَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ الْعَظِيمَةُ بِعِبَارَاتٍ أُخْرَى لَا تُؤَدِّي مَا تُؤَدِّيهِ حَيَّةُ الْإِسْلَامِ الْمُبَارَكَةُ (٢)، مِثْلُ: صَبَاحِ الْخَيْرِ، أَوْ مَسَاءِ الْخَيْرِ، أَوْ مَرْحَبًا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، بِمَا قَدْ يَسْتَعْمِلُهُ بَعْضُ النَّاسِ جَهْلًا أَوْ إِعْرَاضًا مُكْتَفِينَ بِهِ عَنِ السَّلَامِ الْمَشْرُوعِ (٣)، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا حَسَدْتُمْ الْيَهُودَ عَلَى شَيْءٍ؛ مَا حَسَدْتُمْكُمْ عَلَى: السَّلَامِ، وَالتَّأْمِينِ». رواه ابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد بإسنادٍ صحيح. (٤)

الفائدة الثانية: تحية الإسلام الكاملة هي: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)، وَأَقْلَبُهَا: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) (٥)، وَكُلُّ جُمْلَةٍ مِنْهَا بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ، وَهِيَ ثَلَاثُ جُمَلٍ، فَمَنْ جَاءَ بِهَا كَامِلَةً فَلَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ»، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ٧٤/١ (٥٤)، وما بين قوسين من رواية أخرى له في الموضوع نفسه.

(٢) انظر في بعض معانيها: كتاب أحكام أهل اللغة، لابن القيم ١٩٣/١ وما بعدها.

(٣) للنووي - رحمه الله - كلام جيد حول هذا المعنى في كتاب الأذكار، أول باب مسائل تنفرع على السلام ص ٢٢٤.

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الجهر بآمين ٢٧٨/١ (٨٥٦)، وإسحاق بن راهويه في مسنده ٥٤٠/٢، وعنه البخاري في

الأدب المفرد ٣٤٢/١ (٩٨٨)، ورواه ابن خزيمة ٢٨٧/١ (٥٧٤) مطولا، قال البوصيري (مصباح الزجاجة ١٠٦/١): هذا إسناد صحيح احتج مسلم

بجميع رواته، وقال المنذري (الترغيب والترهيب ١٩٤/١): إسناده صحيح.

(٥) انظر: الآداب الشرعية ٣٦٠/١.

عَلَيْهِ، وَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ». رواه أبو داود^(١).

الفائدة الثالثة: السُّنَّةُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ وَإِظْهَارُهُ وَإِعْلَانُهُ بَيْنَ النَّاسِ، حَتَّى يَكُونَ شِعَارًا ظَاهِرًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، لَا تُخَصُّ بِهِ فِتَّةٌ دُونَ أُخْرَى، أَوْ كَبِيرًا دُونَ صَغِيرٍ، وَلَا مَنْ يُعْرِفُ دُونَ مَنْ لَا يُعْرِفُ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفق عليه^(٢)، وَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ: الْإِنصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَدَلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ.^(٣)

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب كيف السلام ٣٧٩/٥ (٥١٩٥)، والترمذي في كتاب الاستئمان، باب ما ذكر في فضل السلام ٥٢/٥ (٢٦٨٩)، وقال: حديث حسن صحيح، وقال الحافظ في الفتح ٦/١١: إسناده قوي، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية ١/٣٦٠: بإسناد جيد.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام ١/٩ (٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تفاضل الإسلام ١/٦٥ (٣٩).

(٣) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام (الفتح ١/٨٢).

مَحَبَّةُ الصَّحَابَةِ ﷺ

٣٤- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنيه قرنين أو ثلاثاً. متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لقد شرف الله تعالى الصحابة ﷺ بصحبة النبي ﷺ ومرافقته وتربيته؛ كما شرفهم بحمل رسالة الإسلام إلى أقطار الدنيا، وجعلهم الله تعالى خير الناس وأفضلهم، فلذلك كانت محبتهم واجبة على كل مسلم، وبغضهم أو سبهم من المحرمات العظيمة، بل قد جعل النبي ﷺ محبة الأنصار ﷺ علامة الإيمان، وبغضهم علامة النفاق؛ ففي حديث البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحب الله، ومن أبغضهم أبغضه الله». متفق عليه (٢)، ومن يحب محبته وموالاه من الصحابة ﷺ معاوية بن أبي سفيان ﷺ؛ فلا يجوز سبه ولا انتقاصه؛ حتى إن بعض العلماء جعل محبته كالميزان لمحبة أصحاب النبي ﷺ، قال ابن العماد الحنبلي رحمه الله: معاوية بن أبي سفيان ﷺ هو الميزان في حب الصحابة ﷺ. (٣)

الفائدة الثانية: كان السلف ﷺ يحنون على محبة الصحابة ﷺ وتقديرهم واحترامهم، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: حبُّ أبي بكرٍ وعمرَ ومعرفةُ فضلِهِمَا مِنَ السُّنَّةِ (٤)، وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن: من جهل فضل أبي بكرٍ وعمرَ فقد جهل السنة (٥)، وقال مالك بن أنس: كان السلف يُعلمون أولادهم حبَّ أبي بكرٍ وعمرَ كما يُعلمون السورة من القرآن (٦)، وقال قبيصة بن

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ و ﷺ، ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ٣/ ١٣٣٥ (٣٤٥٠)، ورواه البخاري أيضا ٥/ ٢٣٦٢ (٦٠٦٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ٤/ ١٩٦٤ (٢٥٣٥).

(٢) رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب حب الأنصار من الإيمان ٣/ ١٣٧٩ (٣٥٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق ١/ ٨٥ (٧٥).

(٣) شذرات الذهب ١/ ٦٥.

(٤) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧/ ١٢٣٨ (٢٣١٩).

(٥) المصدر السابق ٧/ ١٢٣٩ (٢٣٢٤)، وأبو القاسم الأصبهاني في المحجة في بيان المحجة ٢/ ٣٩٤.

(٦) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧/ ١٢٤٠ (٢٣٢٥).

عقبة: حُبُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ كُلِّهِمْ سُنَّةٌ^(١)، وَقَالَ بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَافِي: أَوْثَقُ عَمَلِي فِي نَفْسِي حُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ.^(٢)

الفائدة الثالثة: الطَّعْنُ فِي عُمومِ الصَّحَابَةِ ﷺ، أَوْ فِي أَحَادِهِمْ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَقَدْ جَاءَتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ بِوَجُوبِ سَلَامَةِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ بُحَاةِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ)^(٣)، وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». متفق عليه^(٤)، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي»، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي» بِالتَّكْرَارِ^(٥)، وَقَالَتِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّهُمْ. رواه مسلم^(٦)، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَمَرَ بِالِاسْتِعْفَارِ لَهُمْ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَقْتَتِلُونَ^(٧)، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَوْءٍ؛ فَاتَّهَمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ.^(٨)

(١) المصدر السابق ١٢٤٠/٧ (٢٣٢٧).

(٢) حلية الأولياء ٣٣٨/٨.

(٣) سورة الحشر آية ١٠.

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً» ١٣٤٣/٣ (٣٤٧٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ ١٩٦٧/٤ (٢٥٤١).

(٥) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب تحريم سب الصحابة ﷺ ١٩٦٧/٤ (٢٥٤٠).

(٦) رواه مسلم في كتاب التفسير ٢٣١٧/٤ (٣٠٢٢).

(٧) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٤٥/٧، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٣٩٥/٢، والآجري في الشريعة ٢٤٩١-٢٤٩٢.

(٨) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١٢٥٢/٧، وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٣٩٧/٢.

شَرَفُ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ

٣٥- عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا حَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى حُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعظَ وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: آل بيت النبي ﷺ هم أشرف أهل بيتٍ وُجِدَ على وجه الأرض نسبًا، وآل بيت النبي ﷺ هم: أولادُهُ وَذُرِّيَّتُهُمْ، وَأَزْوَاجُهُ، وَمَنْ تَحَرَّمَ عَلَيْهِ الزَّكَاةُ مِنْ أَقَارِبِهِ ﷺ؛ وَهُمْ: آلُ عَلِيِّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ الْعَبَّاسِ ﷺ، وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ يُجِبُونَ أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ النَّبِيِّ ﷺ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ فِي آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَيُحِبُّونَهُمْ وَيُنْزِلُونَهُمْ مَنْزِلَتَهُمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقُرْبِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ خِلَافًا لِمَنْ يَطَعُنُ فِيهِمْ أَوْ يَسُبُّهُمْ وَيَسْتَمْتُهُمْ، أَوْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ؛ كَمَنْ يَطَعُنُ فِي عَائِشَةَ أَوْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَمَا أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَرْفَعُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَوْقَ مَكَانَتِهِمُ الَّتِي أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى؛ فَلَا يَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ يَدْعُونَ لَهُمُ الْعِصْمَةَ، وَلَا يَزْعَمُونَ لَهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا لَيْسَ لَهُمْ - مِمَّا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ الْكَرِيمُ وَثَبَتَ بِهِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ -، كَمَا أَنََّّهُمْ لَا يُفَضِّلُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَلْ يُنْزِلُونَ كُلًّا مِنْهُمْ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ جَمِيعًا ﷺ.

الفائدة الثانية: كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَعْرِفُونَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ فَضْلَهُمْ، وَأَحْبَابَهُمْ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَوَى ابْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أُرْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ». رواه البخاري (١)، ومعناه: رَاعُوا النَّبِيَّ ﷺ وَاحْفَظُوهُ وَأَكْرِمُوهُ وَاحْتَرِمُوهُ فِي

(١) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٨٧٣/٤ (٢٤٠٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبه فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ١٣٦١/٣ (٣٥٠٩).

أهل بيته؛ فلا تُسيئوا إليهم أو تُؤذوهم^(١)، وقال أبو بكر رضي الله عنه أيضًا: «والذي نفسي بيده؛ لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي»^(٢).

الفائدة الثالثة: أفضل آل البيت: علي بن أبي طالب وزوجه فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهما، وولداهما: الحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورِجائتاه، وبقية أولاد النبي صلى الله عليه وسلم الذكور والإناث، وعماه حمزة والعباس ابنا عبد المطلب رضي الله عنهما، وابنا عمه: عبدالله بن عباس وجعفر بن أبي طالب (الطيار) رضي الله عنه، وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلهن: خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها.

(١) ينظر: فتح الباري ٧/٧٩، ورياض الصالحين ص ١٧١.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنقبه فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم ٣/١٣٦٠ (٣٥٠٨).

النساء شقائق الرجال^(١)، وفضل أمهات المؤمنين

٣٦- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُؤْمِنَةٍ مِنْ الرِّجَالِ كَثِيرٍ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». متفق عليه.^(٢)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: النساء شقائق الرجال، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^(٣)، فَمَنْ عَمِلَتْ مِنْهُنَّ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَسَوْفَ تَجَازَى الْجَزَاءَ الْكَرِيمَ، وَلَا تُظَلَمُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا)^(٤).

الفائدة الثانية: لقد شرف الله تعالى نساء رسوله ﷺ، وخصهنَّ بخصائصٍ ليست لغيرهنَّ مِنَ النِّسَاءِ، فَقَالَ تَعَالَى: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)^(٥)، فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنْقِبَةٌ عَظِيمَةٌ وَشَرَفٌ كَبِيرٌ لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ حَيْثُ جَعَلَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى أُمَّهَاتًا لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فِيمَا يَجِبُ لَهُنَّ مِنَ الْإِحْتِرَامِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّقْدِيرِ وَالِزَّكَاةِ وَالإِجْلَالِ، وَحُرْمَةِ نِكَاحِهِنَّ. وَقَالَ تَعَالَى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ) ^(٦)، فَأَحَبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُنَّ إِذَا اتَّقَيْنَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَطَعْنَهُ فَلَهُنَّ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ بِمُضَاعَفَةِ أَجُورِهِنَّ عَلَى أَعْمَالِهِنَّ الصَّالِحَةِ، وَمَا أَعَدَّهُ لَهُنَّ مِنَ الرِّزْقِ الْكَرِيمِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَفْعَلْ مِنكُمْ لِحَافَةً لِّرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا

(١) هذا العنوان نص حديث رواه أحمد ٢٥٦/٦، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البيلة في منامه ٢٣٦/١، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بئلاً، ولا يذكر احتلاماً ١٨٩/١ (١١٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، وجاء أيضاً من حديث أم سليم عند أحمد ٣٧٧/٦، وأنس عند الدارمي ٢١٥/١ (٧٦٤)، وأبي عوانة ٢٤٤/١.

(٢) كَمُؤْمِنَةٍ: مثل الميم، مثل: نصر، وكرم، وعليم، والكمال: التمام (القاموس ص ١٠٥٤)، والدُّرُّ المُنْبَتَّةُ في العُجْرِ المُنْبَتَّةُ (ص ١٧٥) كلاهما للفيروزآبادي.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضل عائشة رضي الله عنها ٣/١٣٧٤ (٣٥٥٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ٤/١٨٨٦ (٢٤٣١).

(٤) سورة النحل آية ٩٧.

(٥) سورة النساء آية ١٢٤.

(٦) سورة الأحزاب آية ٦.

(٧) سورة الأحزاب آية ٣٢.

مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا^(١)، فالواجب على كلِّ مسلمٍ أن يُعظَّمَ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ ويَحْفَظَ هُنَّ حَقَّهُنَّ رضي الله عنهن فلا يُذكرن إلا بِخَيْرٍ، وَيَحْرُمُ سَبُّهُنَّ أو انتِقَاصُهُنَّ بأيِّ وجهٍ مِنَ الوجوه؛ وَخَاصَّةً أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها التي أنزل الله تعالى براءَتَهَا، وَبَيَّنَّ فَضْلَهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ.

القائدةُ الثالثةُ: لقد خصَّ الله تعالى ﷺ أُمَّي الْمُؤْمِنِينَ: خَدِيجَةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ، وعائِشَةَ رضي الله عنهما بِمَزِيدِ الْفَضْلِ عَلَى غَيْرِهِنَّ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمِمَّا ثَبَّتَ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رضي الله عنها هذا الحديثُ، وفي فَضْلِ خَدِيجَةَ رضي الله عنها: حديثُ عليٍّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ». متفق عليه.^(٢)

(١) سورة الأحزاب آية ٣١.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب تزويج النبي ﷺ خَدِيجَةَ وَفَضْلَهَا رضي الله عنها ٣/١٣٨٨ (٣٦٠٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضائل خَدِيجَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله تعالى عنها ٤/١٨٨٦ (٢٤٣٠).

البدع كلها ضلالٌ

٣٧- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: البِدْعَةُ اختراعُ شيءٍ على غيرِ مثَالٍ سابقٍ، والابتداعُ في الدين: اختراعُ طَرِيقَةٍ لِلتَّعْبُدِ لِلَّهِ تَعَالَى لَا أَصْلَ لَهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْ ابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَمْ يَشْرَعْهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ فَقَدْ اتَّهَمَ الشَّرْعَ بِالنَّقْصِ، وَالرَّسُولَ ﷺ بِعَدَمِ الْبَلَاغِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ بِالَّذِينَ فَبَلَّغَهُ كَامِلًا، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ أَحْدَثَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَلْفُهَا فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَانَ الرِّسَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (٢)، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا؛ لَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا. (٣)

الفائدة الثانية: كُلُّ بَدْعَةٍ فِي الدِّينِ فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ وَضَلَالَةٌ، سِوَاهُ أَكَانَتْ بَدْعَةً فِي الْإِعْتِقَادَاتِ، مِثْلُ: بَدْعَةِ الْجَهْمِيَّةِ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَبَدْعَةِ الْمُعْتَزَلَةِ فِي الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ (٤)، وَبَدْعَةِ الْحَوَارِجِ فِي تَكْفِيرِ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ، وَبَدْعَةِ الْقُبُورِيِّةِ فِي إِعْتِقَادِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ فِي الْأَوْلِيَاءِ مِمَّا هُوَ مِنَ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ، أَمْ كَانَتْ بَدْعَةً عَمَلِيَّةً، مِثْلُ: دَعَاءِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ بِالذَّبْحِ وَالنَّذْرِ وَغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ مِنَ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ، أَمْ كَانَتْ بَدْعَةً فِي الْعِبَادَاتِ، مِثْلُ: إِحْدَاثِ صَلَاةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ، أَوْ عِيدٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ كَعِيدِ الْمَوْلِدِ وَغَيْرِهِ، أَوْ أَدَاءِ الْعِبَادَةِ عَلَى صِفَةٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ، كَأَدَاءِ الْأَذْكَارِ الْمَشْرُوعَةِ بِأَصْوَاتٍ جَمَاعِيَّةٍ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وَعَنْ عَائِشَةَ

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ (٨٦٧).

(٢) سورة المائدة آية ٣.

(٣) الإحكام لابن حزم ٢٢٥/٦، والاعتصام ٤٩/١.

(٤) حيث قالوا: إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإسلام والكفر؛ فلا هو مسلم ولا هو كافر، وأما في القيامة فمضيره إلى النار.

رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ». متفق عليه^(١)، وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». (٢)

الفائدة الثالثة: البدع بريد الكفر، وهي زيادة دين لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ﷺ، والبدعة شر من المعصية الكبيرة، والشيطان يفرح بها أكثر مما يفرح بالمعاصي الكبيرة؛ لأن العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنها معصية فيتوب منها، والمبتدع يفعل البدعة يعتقد أنها دينًا يتقرب به إلى الله، فلا يتوب منها، والبدع تقضي على السنن، وتكره إلى أصحابها فعل السنن وأهل السنة، والبدعة تباعد عن الله، وتوجب غضبه وعقابه، وتُسبب زرع القلوب وفسادها، والبدعة الواحدة تجر إلى بدع أخرى؛ فواجب على المسلم أن يتجنب جميع البدع صغيرها وكبيرها، ويستمسك بالسنة في جميع أحواله.

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢/٩٥٩ (٢٥٥٠))، ومسلم في كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٣/١٣٤٣ (١٧١٨)، ولفظه: «ما ليس منه»، وما هنا لفظ البخاري.

(٢) رواه مسلم في كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٣/١٣٤٣ (١٧١٨)، وذكره البخاري معلقًا مجزومًا به في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود.

صورة من نعيم الجنة

٣٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ. فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيهَا شَيْئًا؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ. قَالَ: فَبَدَّرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتَوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ. فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ». فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لَا تَجِدُهُ إِلَّا فُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا؛ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم. رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: جنة الله تعالى التي أعدها لعباده الصالحين وأعدَّ لهم فيها من أنواع اللذات والطيبات، لا تُرَدُّ لهم فيها رغبة (هم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد) (٢)، وقال الله تعالى: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: اِقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ). متفق عليه. (٤)

الفائدة الثانية: جنة الله تعالى التي أعدها لعباده الصالحين لا بُؤْسَ فِيهَا وَلَا شَقَاءَ، فَعَنَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْعَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَعُ صَبْعَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا

(١) رواه البخاري في كتاب المزارعة، باب كراء الأرض بالذهب والفضة ٢/ ٨٢٦ (٢٢٢١).

(٢) سورة ق آية ٣٥.

(٣) سورة الزخرف آية ٧١.

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة السجدة، باب قوله: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ٤/ ١٧٩٤ (٤٥٠١)، ومسلم في

كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٤/ ٢١٧٤ (٢٨٢٤).

رَأَيْتُ شِدَّةَ قَطُّ». رواه مسلم^(١)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ». رواه مسلم^(٢).

الفائدة الثالثة: تَخْتَلِفُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَكَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا يُشْبِهُ شَيْءٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ»^(٣)، فَهَذَا زَرْعُ الْجَنَّةِ لَا يَأْخُذُ وَقْتًا وَلَا جُهْدًا وَلَا عَنَاءً وَلَا تَكَالِيفَ، فَفِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ يَتِمُّ الْبَدْرُ وَيَسْتَوِي الزَّرْعُ حَتَّى يَكُونَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا أَعْظَمَهُ، وَسُبْحَانَ مَا أَحْسَنَ مَا أَعَدَّهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ فِي جَنَّتِهِ، رَزَقَنَا اللَّهُ دُخُولَهَا بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب صَبَّحَ أَنْعَمُ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبَّحَ أَشَدَّهُمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ ٢١٦٢/٤ (٢٨٠٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ٢١٨١/٤ (٢٨٣٦).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ١٧٤/١، ومسند في مسنده كما في المطالب العالية ٦٩٦/١٨ (٤٦١٧)، وهناد بن السري في الزهد ٤٩/١ (٣).

(٨)٥٠.

استحباب الحنث في اليمين إذا كان ذلك أفضل

٣٩- عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَن يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يُشْرَعُ لِلْمُسْلِمِ إِذَا حَلَفَ يَمِينًا بِاللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا أَوْ يَتْرَكَهُ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ هَذَا الَّذِي حَلَفَ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ لَيْسَ خَيْرًا لَهُ، وَأَنَّ الْخَيْرَ فِي خِلَافِهِ، فَيُشْرَعُ لَهُ فِعْلُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَجِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يُكْفِّرَ عَن يَمِينِهِ، مِثَالُ ذَلِكَ: مَنْ حَلَفَ أَنْ يُطَلِّقَ زَوْجَتَهُ، أَوْ يَبِيعَ سَيَّارَتَهُ، أَوْ يَنْتَقِلَ مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ لَا يَدْخُلَ بَيْتَ أَحِيهِ، أَوْ لَا يُكَلِّمَ فُلَانًا، أَوْ لَا يُعْطِي فُلَانًا، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الْخَيْرَ فِي خِلَافِ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، فَلْيُكْفِرْ عَن يَمِينِهِ وَيَفْعَلِ الْخَيْرَ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَطْبُقُ هَذَا الْأَدَبَ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ فِي نَفْسِهِ صلى الله عليه وسلم، فَعَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَاللَّهِ- إِنْ شَاءَ اللَّهُ- لَا أُحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا؛ إِلَّا كَفَّرْتُ عَن يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». متفق عليه. (٢)

الفائدة الثانية: ثَبَّتَ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ دَعْوَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا أَنْ لَا يَسْتَمِرَّ عَلَى يَمِينِهِ وَيُصِرَّ عَلَيْهَا، فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «وَاللَّهِ لَأَنْ يَلَّجَ (٣) أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ، أَوْ لَمْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ». متفق عليه (٤)، وَالْمَعْنَى: أَنْ إِصْرَارَهُ عَلَى حِفْظِ يَمِينِهِ مِنَ الْحَنْثِ مَعَ أَنَّ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، أَعْظَمُ إِثْمًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْحَنْثِ فِي يَمِينِهِ الَّذِي تُكْفِّرُ إِثْمَهَا الْكَفَّارَةُ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي حَالِ الْحَنْثِ، فَالْحَدِيثُ دَعْوَةٌ إِلَى الْحَنْثِ فِي الْيَمِينِ وَدَفْعِ الْكَفَّارَةِ؛ إِذَا كَانَ الْحَنْثُ خَيْرًا مِنْ حِفْظِ الْيَمِينِ.

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) (٢٤٤٣/٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب نذوب من حلف يمينًا فرأى غيرها خَيْرًا منها أن يأتي الذي هو خَيْرٌ وَيُكْفِّرُ عَن يَمِينِهِ (١٢٧٣/٣) (١٦٥٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب كفارات الأيمان، باب الاستئناء في الأيمان (٢٤٤٠/٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب نذوب من حلف يمينًا فرأى غيرها خَيْرًا منها أن يأتي الذي هو خَيْرٌ وَيُكْفِّرُ عَن يَمِينِهِ (١٢٦٨/٣) (١٦٤٩).

(٣) قال الحافظ: يَلَّجَ بكسر اللام وبجوز فتحها، من اللجاج وهو أن يتساذى في الأمر ولو تبين له خطؤه (فتح الباري ١١/٥١٩).

(٤) رواه البخاري في أول كتاب الأيمان والنذور (٢٤٤٤/٦)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب التهي عن الإصرار على اليمين فيما يتأذى به أهل الخالف بما ليس بحرام (١٢٧٦/٣) (١٦٥٥).

الفائدة الثالثة: هذا الحديث مطابق لقول الله تعالى: (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ^(١)، قال البغوي رحمه الله: معنى الآية: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البرِّ والتَّقوى، يُدعى أحدكم إلى صِلَةٍ رَحِمٍ أو برٍّ فيقول: حَلَفْتُ بِاللَّهِ أَنْ لَا أَفْعَلَهُ، فَيَعْتَلُّ بِيَمِينِهِ فِي تَرْكِ الْبِرِّ. اهـ ^(٢)

(١) سورة البقرة آية ٢٢٤.

(٢) تفسير البغوي ٢٠٠/١ (تفسير الآية ٢٢٤ من سورة البقرة)، ونحوه قال ابن كثير في تفسيره ٢٦٦/١، ونسب هذا المعنى لجمهور المفسرين، منهم: ابن عباس ومسروق والشعبي وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس وسعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومكحول والزهري والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس والضحاك وعطاء الخراساني والسدي رحمه الله.

بِرُّ الوالدين

٤٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أُمُّكَ»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أُمُّكَ»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أُمُّكَ». متفق عليه^(١)، وفي رواية لمسلم: «ثم أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ».

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: إنَّ أحقَّ الناس بحسنِ خُلُقِكَ ولطيفِ صُحْبَتِكَ ليس أصحابك أو زملاؤك في العمل، ولا مُدِيرُكَ، ولا حتَّى زَوْجَتُكَ وأولادك، وكلُّ هؤلاءِ عليك أن تعاملهم بحسن الخلق الذي دعاك إليه الإسلام، ولكنَّ أحقَّ الناس بحسنِ صُحْبَتِكَ مَنْ كَلَّفَا بِكَ، وَتَعَبَا عَلَيْكَ، واجتهدا في تربيتك، والنفقة عليك، ومن رَفَعَ اللهُ حَقَّهُمْ حتَّى جعلَهُ مقرونًا بحَقِّهِ جَلَّ في علاه في أكثر من موضعٍ من كتابه الذي يُتلى آناء الليل وأطراف النهار، وهما: والداك الكريمان، قال الله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً)^(٢)، وقال: (قل تعالوا أتئله ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً)^(٣)، ورسول الله ﷺ يؤكد هذا الحق العظيم ويكرره على من سأله، فواجب على الأولاد وجوباً متأكداً أن يُحسنوا الصُحْبَةَ لوالديهم؛ لينالوا بذلك رضا الله تعالى ورحمته.

الفائدة الثانية: من الآداب العامة التي تدخل في عموم الحديث: أن يحرص الابن أو البنت على زيادة الألفة بينه وبين والديه، وذلك بأخذ رأيهما ومشاورتهما، والإهداء إليهما لجلب محبتهما؛ كما قال النبي ﷺ: «تهادوا تحابوا». رواه البخاري في الأدب المفرد^(٤)، ولا يدعوهما باسمهما، ولا يجلس قبلهما، ولا يمشي أمامهما إلا أن يتقدمهما ليرفع عنهما أذى، أو يفتح لهما باباً، ونحو ذلك، وعليه أن يخدمهما، ويجيب دعوتهما، ويتكلم معهما بلين ولطف، ولا يقطع حديثهما، أو يخطئهما، وليحرص الابن على إسعاد والديه بكل مشروع ومباح، فهما يجابانه صالحاً، مُصَلِّياً، مُرَافِقاً

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة ٥/٢٢٢٧ (٥٦٢٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنها أحق به ٤/١٩٧٤ (٢٥٤٨).

(٢) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٣) سورة الأنعام آية ١٥١.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٥٩٤)، والبيهقي ٦/١٦٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/٧٠: إسناده حسن، وانظر: إرواء الغليل ٦/٤٤.

لِلصَّالِحِينَ، حَرِيصًا عَلَى دِرَاسَتِهِ، مُتَفَوِّقًا، بَلْ وَيَفْتَحِرَانِ بِكُلِّ ذَلِكَ، فَتَحْصِيلُ ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ بَرِّ
الْإِنْسَانِ بِوَالِدَيْهِ.

الفائدة الثالثة: مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ فَضْلِ الْوَالِدِينَ: تَقَدُّمُ حَقِّهِمَا عَلَى الْجِهَادِ غَيْرِ الْوَاجِبِ، فَعَنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحْيِ
وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ». متفق عليه^(١)، وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى
نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَبَايُكَ عَلَى الْمِجْرَةَ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ. قَالَ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ
حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى
وَالِدَيْكَ؛ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا».

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب لا يجاهد إلا بإذن الأئمة ٥/٢٢٢٧ (٥٦٢٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين
وأحسنا أحق به ٤/١٩٧٥ (٢٥٤٩)، وهذا لفظه.

أهمية الدعاء وترك الاستعجال فيه

٤١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةٍ رَحِمَ؛ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ» قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الاسْتَعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدْعُ الدُّعَاءَ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الدعاء محبوب لله عز وجل فهذا نبيه صلى الله عليه وسلم يقول: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ». رواه أحمد (٢)، وذلك لما فيه من العبودية لله تعالى، والافتقار إليه، ونفي الكبرياء، وإظهار ذل العبودية، ولذلك قال الله تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (٣)، فمن استكبر عن عبادة الله تعالى وترك الدعاء؛ أدخله الله تعالى جهنم صاغراً حقيراً، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ». رواه أحمد وأهل السنن. (٤)

الفائدة الثانية: دعاء المسلم لا يضيع بإذن الله تعالى، فإنه إذا دعا لا بد له من إحدى ثلاث، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ؛ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وإمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وإمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»، قالوا: إذا نُكِّثَ. قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ». رواه أحمد. (٥)

لا تسألن بئني آدم حاجة
وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
و بئني آدم حين يسأل يغضب

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ما لم يعجل ٥/٢٣٣٥ (٥٩٨١)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي ٤/٢٠٩٥ (٢٧٣٥)، وهذا لفظه.

(٢) رواه أحمد ٢/٣٦٢، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وصححه الحاكم ١/٤٩٠، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٩).

(٣) سورة غافر آية ٦٠.

(٤) رواه أحمد ٤/٢٦٧، وأبو داود (١٤٧٩)٧٦/٢، والترمذي ٥/٢١١ (٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى ٦/٤٥٠ (١١٤٦٤)، وابن ماجه ٢/١٢٥٨ (٣٨٢٨)، قال الحافظ (فتح الباري ١/٤٩): أخرجه أصحاب السنن بسند جيد.

(٥) رواه أحمد ٣/١٨، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وابن أبي شيبة ٦/٢٢، والحاكم ١/٦٧٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، قال المنذري (الترغيب والترهيب ٢/٣١٤): رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى بأسانيد جيدة، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤٧): صحيح.

الفائدة الثالثة: قال ابن حجر رحمه الله تعالى: ومعنى قوله: «يَسْتَحْسِرُ»: يَنْقَطِعُ، وفي هذا الحديث أدبٌ من آدابِ الدُّعَاءِ: وهو أَنَّهُ يُلَازِمُ الطَّلَبَ ولا يَيْئَسُ مِنَ الإِجَابَةِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الأَنْقِيَادِ وَالأَسْتِسْلَامِ وَإِظْهَارِ الأَفْتِقَارِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: لَأَنَا أَشَدُّ خَشْيَةً أَنْ أُحْرَمَ الدُّعَاءَ مِنْ أَنْ أُحْرَمَ الإِجَابَةَ. اهـ^(١)، وقال مُورِقُ العِجَلِيِّ التَّابِعِيُّ العَابِدُ رَحِمَهُ اللهُ: لَقَدْ سَأَلْتُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةً عِشْرِينَ سَنَةً، فَمَا شَقَّعَنِي فِيهَا، وَمَا سَمِمْتُ مِنَ الدُّعَاءِ.^(٢)

(١) فتح الباري ١١/١٤١.

(٢) تهذيب الكمال ١٧/٢٩.

حقيقة شكر الله تعالى

٤٢- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً». متفق عليه^(١)، وهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يصلي حتى تنتفخ قدماه» الحديث^(٢).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الشكر من أعظم منازل العبادة، فإن الله تعالى قسم الناس إلى فريقين اثنين: شاكر وكافر، فقال تعالى: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً)^(٣)، وأمر بالشكر ونهى عن ضده، فقال: (واشكروا لي ولا تكفرون)^(٤)، وليس الشكر مجرد التطق باللسان، بل الشكر واجب بالقلب واللسان والجوارح، فحقيقة الشكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده بالثناء والاعتراف، وعلى قلبه بشهود النعمة ومحبة المنعم، وعلى جوارحه بالانقياد والطاعة، قال تعالى: (اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور)^(٥)، والنبي ﷺ في هذا الحديث يبين أن شكر الله تعالى يكون بطاعته وعبادته. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحببه له، واعترافه بنعمه، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكرهه. اهـ^(٦).

الفائدة الثانية: تأمل فيما قاله الرب تبارك وتعالى: (وقليل من عبادي الشكور)^(٧)؛ لتعلم أن أهل الشكر هم القليل من عباده، وقتلتهم تدل على أنهم هم خواصه، فأين أنت من هؤلاء القليل؟ وماذا صنعت لتلحق بركبهم؟ لعله أن يدرج اسمك في أسمائهم.

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح، باب قوله: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وبم نعمة عليك، ٤/١٨٣٠ (٤٥٥٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ٤/٢١٧٢ (٢٨٢٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصبر عن تحريم الله، وقوله عز وجل: (إنما يؤتى الصابرون أجرهم بغير حساب) ٥/٢٣٧٥ (٦١٠٦)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ٤/٢١٧١ (٢٨١٩).

(٣) سورة الإنسان آية ٣.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٥) سورة سبأ آية ١٣.

(٦) مدارج السالكين، منزلة الشكر ٢/٢٥٤.

(٧) سورة سبأ آية ١٣.

الفائدة الثالثة: رَضِيَ الرَّبُّ عَنْ عَبْدِهِ مَوْقُوفٌ عَلَى شُكْرِهِ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)^(١)، وَتَهَدَّدَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ شُكْرِهِ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ، فَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)^(٢).

(١) سورة الزمر آية ٧ .

(٢) سورة إبراهيم آية ٧ .

الإحسانُ في تعلُّمِ قراءةِ القرآنِ الكريمِ وحفظِهِ

٤٣- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»، متفق عليه^(١)، ولفظُ مُسْلِمٍ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»، وفي لفظٍ له: «وَالَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ».

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: في الحديث استحبابُ قراءةِ القرآنِ وحفظِهِ وإن شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَبَيَانُ أَنَّ النَّاسَ فِي الْقِرَاءَةِ عَلَى مَرْتَبَتَيْنِ:

المرتبة الأولى: أن يتعلَّمِ القِرَاءَةَ وَيَجْتَهِدَ فِي الْحِفْظِ حَتَّى تَسَهَّلَ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا مُشَبَّهٌ بِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ حَمَلَةِ الْوَحْيِ وَسُفْرَاءِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَهَذِهِ الْحَالَةُ مِنَ الْقِرَاءَةِ هِيَ الْأَكْمَلُ وَالْأَفْضَلُ، وَهِيَ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ الْحِرْصُ عَلَيْهَا^(٢).

والمرتبة الثانية: أن تَثْقُلَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ وَيَثْقُلَ عَلَيْهِ الْحِفْظُ، فَيَقْرَأُ بِصُعُوبَةٍ وَمَشَقَّةٍ وَهُوَ يَتَتَعَتَعُ فِيهِ، فَهَذَا عَلَى أَجْرٍ وَخَيْرٍ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرَيْنِ: أَجْرَ الْقِرَاءَةِ نَفْسِهَا، وَأَجْرَ الْمَشَقَّةِ.

الفائدة الثانية: يَنْبَغِي لَنَا وَنَحْنُ نَنْعَمُ بِقِرَاءَةِ كَلَامِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، وَنُقَلِّبُ صَفَحَاتِهِ لَيْلَ نَهَارٍ أَنْ لَا نَعْقَلَ عَنِ التَّعَرُّفِ عَلَى مَعَانِيهِ، وَتَدْبِيرِ آيَاتِهِ، وَتَفْهَمِ مَقَاصِدِهِ وَمَرَامِيهِ، يَقُولُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ، فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ^(٣)، وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْقِرَاءَةِ الْمَطْلُوبَةِ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ، وَالتَّفْهَمِ لِمَعَانِيهِ، وَمَا أُرِيدَ بِهِ، كَتَدْبِيرِ الْكِتَابِ الَّذِي يَحْفَظُهُ الْعَبْدُ وَيُشْرَحُهُ لِيَتَفَهَّمُ مَرَادَ صَاحِبِهِ مِنْهُ. اهـ^(٤) وَقَدْ جَعَلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ذَلِكَ دَاجِلًا فِي الْمَهَارَةِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ الْمُفَسِّرُ

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة عَبَسَ ٤/١٨٨٢ (٤٦٥٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه ١/٥٤٩ (٧٩٨).

(٢) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ٣/١٦٧، والمفهم لما أشكل من تلخيص كلام مسلم لأحمد بن عمر القرطبي ٢/٤٢٥، والتكثار في أفضل الأذكار للقرطبي ص ٧٩، وشرح النووي على صحيح مسلم ٦/٨٥.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٢٨.

(٤) مدارج السالكين ٣/٧.

رحمه الله في كتابه (التدكار في أفضل الأذكار): ولا يكون ماهرًا بالقرآن حتى يكون عالمًا بالفرقان، وذلك بأن يتعلم أحكامه فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه. اهـ^(١)

الفائدة الثالثة: ينبغي للمسلم أن يتعلم كتاب الله تعالى ويحسن تلاوته، وقد تيسرت - بحمد الله - أسباب ذلك في عصرنا من خلال الأساتذة المتخصصين، أو تكرار استماع أشرطة القرآن الكريم، وليس بكثير على كتاب ربنا جلّ وعلا أن يجعل بعضنا جزءًا من وقته لتعلمه ومدارسه حتى يتقن قراءته، وليتريث في القراءة حتى يتقنها ولو بقي في الصفحة الواحدة عدة ساعات، أو بقي فيها أيامًا حتى يتقنها، وفي صحيح البخاري عن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢)، وفي موطأ مالك رحمه الله أنه بلغه: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثمانين سنين يتعلمها^(٣). قال الباجي رحمه الله: ليس ذلك لبطء حفظه - معاذ الله - بل لأنه كان يتعلم فرائضها وأحكامها وما يتعلق بها^(٤). وروى البيهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزورًا^(٥).

(١) التدكار في أفضل الأذكار ص ٧٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٤/١٩١٩ (٤٧٣٩).

(٣) موطأ مالك ٢/٢٨٧ (٦٩٥)، وشعب الإيمان ٣/٣٤٥ (١٨٠٣)، (١٨٠٤).

(٤) عن تنوير الحوالك ١/١٦٢.

(٥) شعب الإيمان ٣/٣٤٦ (١٨٠٥).

الحثُّ على الزَّواج

٤٤ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ». متفق عليه. ^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: النِّكاحُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وقد يَجِبُ في بعضِ الأحوالِ، وهو سُنَّةُ الأنبياءِ عليهم السَّلَامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) ^(٢)، فلا ينبغي للشَّابِّ إِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى الزَّوْجِ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنْهُ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ الْمُبَادَرَةُ إِلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَصَالِحِ الْكَثِيرَةِ، وَمِنْهَا: مُفَاخَرَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَّمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِكَثْرَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمِ». رواه أبو داود ^(٣)، وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، إِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه أحمد. ^(٤)

الفائدة الثانية: الزَّوْجُ هُوَ الطَّرِيقُ الْأَمْتَلُ لِعَضِّ الْبَصْرِ، وَتَحْصِينِ الْفَرْجِ، وَهَذَا هُوَ عُنْوَانُ النَّزَاهَةِ الْخُلُقِيَّةِ، رَوَى جَابِرٌ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبَلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ [فَلْيُؤَاقِعْهَا]، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ». رواه مسلم. ^(٥)

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم ١٩٥٠/٥ (٤٧٧٩)، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تأقت نفسه إليه ووجد مؤنة واشتغال من عجز عن الصوم ١٠١٨/٢ (١٤٠٠).

(٢) سورة الرعد آية ٣٨.

(٣) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزوج من لم يلد من النساء ٢٢٠/٢ (٢٠٥٠)، و النسائي في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم ٦٥/٦ (٣٢٢٧)، وصححه ابن حبان ٣٦٣/٩ (٤٠٥٦)، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١٧٦/٢: حديث صحيح الإسناد، وقال العراقي (المغني عن حمل الأسفار ١/٣٨٦): إسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد ٢٤٥/٣، وصححه ابن حبان ٣٣٨/٩ (٤٠٢٨)، والضياء في الأحاديث المختارة ٢٦١/٥، وصححه أيضا الحافظ في فتح الباري ١١١/٩.

(٥) رواه مسلم في كتاب النكاح، باب نذب من رأى امرأة فوقع في نفسه إلى أن تأتي امرأته أو جاريتها فبواقعتها ١٠٢١/٢ (١٤٠٣)، وما بين قوسين زيادة من رواية أخرى له.

الفائدة الثالثة: كَانَ السَّلْفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى يُشَدِّدُونَ النِّكَاحَ عَلَى مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِأَبِي الزَّوَالِدِ: «مَا يَمْنَعُكَ عَنِ النِّكَاحِ إِلَّا عَجْزٌ أَوْ فُجُورٌ»^(١)، وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ الْعُزُوبَةُ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم تَزَوَّجَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَمَاتَ عَنْ تِسْعٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ بَشَرٌ بَنَ الْحَارِثِ تَزَوَّجَ كَانَ قَدْ تَمَّ أَمْرُهُ كُلُّهُ، لَوْ تَرَكَ النَّاسُ النِّكَاحَ لَمْ يَغْزُوا وَلَمْ يَحْجُوا، وَلَمْ يَكُنْ كَذَا وَلَمْ يَكُنْ كَذَا، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُصْبِحُ وَمَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ وَكَانَ يَحْتَارُ النِّكَاحَ وَيَحْتُ عَلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبْتُلِ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِ فِعْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَهُوَ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَيَعْقُوبُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي حُزْنِهِ قَد تَزَوَّجَ وَوُلِدَ لَهُ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءَ، قَالَ الْمَرْوُذِيُّ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ آدَهَمَ يُحْكِي عَنْهُ بِأَنَّهُ قَالَ: لَرُوعَةٌ صَاحِبِ عِيَالٍ.. فَمَا قَدَّرْتُ أَنْ أُتَمَّ الْحَدِيثَ حَتَّى صَاحَ بِي (الْإِمَامُ أَحْمَدُ)، وَقَالَ: وَقَعْنَا فِي بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ، أَنْظُرْ عَافَاكَ اللَّهُ مَا كَانَ عَلَيْهِ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: لُبَّكَاءُ الصَّيِّ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ يَطْلُبُ مِنْهُ حُبْرًا أَفْضَلَ مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَنْيَ يَلْحَقُ الْمُتَعَبَّدُ الْمُتَعَزِّبُ الْمُتَزَوِّجُ؟!^(٢)

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣٩/٣ - ٤٤٠ وانظر ترجمة أبي الزوائد في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧٤/٣.

(٢) كتاب الورع عن الإمام أحمد لأبي بكر المرؤذي ص ١١٨، وتلبس إبليس ص ٣٥٨، وذم الهوى ص ٢٨٢ كلاهما لابن الجوزي.

تحريم القول في الدين بغير علم

٤٥- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا مَ يَبْقَى عَالِمًا اخْتَدَّ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا؛ فَسُئِلُوا، فَأَقْتَوَا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: القول في الدين بغير علم ضلال في النفس وإضلال للخلق، فحرام على المسلم أن يقول في دين الله بغير علم، وعليه أن يسلك الأدب الشرعي في ذلك فيقول فيما لا يعلمه: (لا أدري)، ويربي نفسه على ذلك حتى يتعوده، وقد قال هذه الكلمة سيّد الناس ﷺ وسادات العلماء السابقين وهم قُدوثنا وسلفنا، فعن جبير بن مطعم ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: أي البلاد شر؟ قال النبي ﷺ: «لا أدري حتى أسأل» فسأل جبريل عليه السلام عن ذلك، فقال: «لا أدري حتى أسأل ربي» فانطلق فلبث ما شاء الله، ثم جاء، فقال: «إني سألت ربي عن ذلك فقال: شر البلاد الأسواق»، رواه أحمد وغيره (٢)، وحسنه ابن حجر، قال أبو عبد الله الحاكم رحمه الله في المستدرک على الصحيحين: هذا الحديث أصل في قول العالم: لا أدري.

الفائدة الثانية: لقد أوجب الله على الجاهلين أن يسألوا أهل العلم فقال تعالى: (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) (٣)، فلا يجوز للمسلم أن يسأل من لا علم عنده أو يأخذ بقوله، وذلك لما يسببه له من الضلال عن دين الله تعالى، يقول الإمام محمد بن سيرين رحمه الله تعالى مقررًا هذه المسألة: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم». (٤)

الفائدة الثالثة: إن من مداحل الشيطان على المسلم أن يقول في دين الله ما لا يعلم، حتى يوقعه في فتنة عظيمة وإثم كبير، قال تعالى: (إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ١/٥٠٠ (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٤/٢٠٥٨ (٢٦٧٣).

(٢) رواه أحمد ٤/٨١، والبخاري (كشف الأستار ٢/٨١)، والطبراني (١/٢٢٨)، والحاكم (١/٩٠، ٨٩)، وقال الحافظ ابن حجر: هذا حديث حسن. انظر كتابه (موافقة الحثر الخبر في تخريج أحاديث المختصر ١/١٠، ١١)، وقد ذكر في هذا الكتاب جملة من الآثار عن السلف في الموضوع، وانظر أيضاً: سنن الدارمي ١/٣٥-٥٦ باب الفتيا وما فيه من الشدة.

(٣) سورة النحل آية ٤٣، وسورة الأنبياء عليهم السلام آية ٧.

(٤) رواه مسلم في مقدمة الصحيح ١/١٤.

تَعْلَمُونَ^(١)، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٢))، فَحَرَامٌ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُهُ؛ فَيَقَعُ فِي إِثْمِ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

(١) سورة البقرة آية ١٦٩.

(٢) سورة الأعراف آية ٣٣.

تعاون الزوجين

٤٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيَّقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ». رواه أحمد وغيره بإسنادٍ صحيح، وفي رواية ابن ماجه: «رَشَّ» و«رَشَّتْ». (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: قال العلماء-رحمهم الله- (٢): دَلَّ الحديثُ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلرَّجُلِ إِذَا اسْتَيْقَظَ لِصَلَاةِ اللَّيْلِ أَنْ يُوقِظَ لَهَا امْرَأَتَهُ، وَيُسْتَحَبُّ لِلْمَرْأَةِ إِذَا اسْتَيْقَظَتْ لَهَا أَنْ تُوقِظَ زَوْجَهَا. وقد كان السلف-رحمهم الله- يحرصون على ذلك، قال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبعا، فكان هو وامرأته وحادمه يعتقبون الليل أثلاثا؛ يصلي هذا ثم يوقظ هذا. (٣) وقال عبد الرحمن بن زبيد بن الحارث اليماني: كان زبيد قد قسم علينا الليل أثلاثا؛ ثلثا عليه، وثلثا علي، وثلثا على أخي، فكان زبيد يقوم ثلثه ثم يضربني برجله، فإذا رأى مني كسلا قال: تم يا بُني فأنا أقوم عنك، ثم يجيء إلى أخي فيضربه برجله، فإذا رأى منه كسلا قال: تم يا بُني فأنا أقوم عنك، قال: فيقوم حتى يصبح. (٤)

الفائدة الثانية: يرشدنا رسول الله ﷺ أن لا نكتفي بالخير لأنفسنا، بل ينبغي لنا أن نتعاون ليت الخير للناس، وأخص الناس بالخير أهل الإنسان وقربته، ومنهم الزوجان فيما بينهما، فإذا كان المستيقظ الزوج؛ فلا يحرم زوجته من الخير الذي وفق له، فيستحب له أن يوقظ زوجته لئلا يشاركه ما هو فيه من الخير والمناجاة، وإن كان المستيقظ الزوجة فلا تحرم زوجها من الخير الذي وفق له،

(١) رواه أحمد ٢/٢٥٠، وأبو داود في أنساب قيس الليل، باب قيس الليل ٣٣/٢ (١٣٠٨)، والنسائي ٣/٢٠٥ (١٦١٠)، وابن ماجه ٤٢٤/١ (١٣٣٦)، وصححه ابن خزيمة ١٨٣/٢ (١١٤٨)، وابن حبان ٦/٦ (٢٥٦٧)، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١/٤٥٣: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال النووي (خلاصة الأحكام ١/٥٨٧، المجموع ٤/٤٩) والعراقي (المغني عن حمل الأسفار ٢/١١٨٩): إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤)، وصحيح أبي داود (١١٦٠).

(٢) المجموع للنووي ٤/٤٩.

(٣) صحيح البخاري ٥/٢٠٧٣ (٥١٢٥) في كتاب الأطعمة، باب الرطب بالقتاء في أول حديث.

(٤) صفة الصفوة ٣/٩٨.

فَيُسْتَحَبُّ لَهَا أَنْ تُوقِظَ زَوْجَهَا لِيُشَارِكَهَا مَا هِيَ فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْمُنَاجَاةِ، وَهَذَا مُصَدِّقٌ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُؤَادُوا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)^(١).

الفائدة الثالثة: إِنَّ لِتَعَاوُنِ الْأُسْرَةِ عَلَى الْخَيْرِ آثَارًا حَمِيدَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَيَكْفِي فِي آثَارِهِ الْحَمِيدَةِ أَنْ نَسْتَمِعَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فَمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى؟ وَمَاذَا أَعَدَّ لَهُمْ؟ اسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ هَذَا: (أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٢)، وَهَذَا يُطَابِقُ الْحَدِيثَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا .. وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً»، فَقَدْ تَطَابَقَتْ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ عَلَى حُصُولِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْأُسْرَةِ الْمُتَعَاوِنَةِ عَلَى الْخَيْرِ.

(١) سورة التحريم آية ٦ .

(٢) سورة التوبة آية ٧١ .

تحريم الغيبة

٤٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهتته». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الغيبة كلمة تدور كثيراً ولا بُدَّ من معرفة ضابطها حتى يمكن اجتنابها، وقد بيَّنه النبي ﷺ في هذا الحديث وهو: «ذكرك أخاك بما يكره»، ولا يوجد أحسن من هذا الضابط لتعريف الغيبة، فكلُّ أمرٍ يكرهه أخوك المسلم فلا تذكره في غيبته لأنه من الغيبة المحرمة، ومثال ذلك: أن تقول: هو أحمق أو أقرع أو قصير، أو تقول: هو خسيس أو زبال، أو سيء الخلق أو بخيل أو جبان عاجز ضعيف القلب أو متهور، أو تقول: هو كذاب أو حائن أو ظالم أو لا يحسن الركوع أو السجود، أو ليس باراً بوالديه، أو هو قليل الأدب أو كثير الكلام أو كثير الأكل أو كثير النوم أو وسخ الثياب، وغير ذلك مما يمكن أن يكرهه أخوك المسلم. (٢)

الفائدة الثانية: لا يجوز مشاركة المغتاب، بل يجب مناصحته ومنعه من الغيبة، فإن أبي وجب بجانبه مجلسه، قال مسلم البطين: كان سعيد بن جبير لا يدع أحداً يغتاب عنده (٣)، وكان ميمون بن سياه - أحد الصالحين - لا يغتاب، ولا يدع أحداً يغتاب عنده، ينهأه فإن انتهى وإلا قام عنه (٤)، وقال موسى بن إبراهيم: حضرت معروفاً الكرخي - أحد الصالحين - وعنده رجلٌ يذكر رجلاً، وجعل يغتابه، وجعل معروفٌ يقول له: «أذكر القطن إذا وضعه على عينيك» (٥) يذكره الموت، وقال سفيان بن حسين: كنت عند إياس بن معاوية المزي - الإمام القاضي الفقيه - وعنده رجلٌ تخوفت إن قمت من عنده أن يقع في، قال: فجلست حتى قام، فلما قام ذكرته لإياس (يعني بسوء)، قال: فجعل (إياس) ينظر في وجهي فلا يقول لي شيئاً حتى فرغت، فقال لي: أغزوت

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة ١/٤ (٢٥٨٩)، ومعنى «بهتته»: افتريت عليه وظلمته.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين ٣/٤٣-١٤٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٣٣٦.

(٤) حلية الأولياء ٣/١٠٧.

(٥) حلية الأولياء ٨/٣٦٤، وسير أعلام النبلاء ٩/٣٤١.

الدَّيْلِمُ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: غَزَوْتَ السَّنْدَ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: غَزَوْتَ الْهِنْدَ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: غَزَوْتَ
الرُّومَ؟ قُلْتُ: لا، قَالَ: فَسَلِمَ مِنْكَ الدَّيْلِمُ وَالسَّنْدُ وَالْهِنْدُ وَالرُّومُ، وَلَيْسَ يَسْلَمُ مِنْكَ أَحْوَكُ هَذَا؟
فَلَمْ يَعُدَّ سَفِيانٌ إِلَى ذَلِكَ.^(١)

الفائدة الثالثة: يجب على من يقع في الغيبة أن يتجنبها، ويُجاهد نفسه على تركها، ويتوب إلى الله
منها، ومن صور مجاهدة السلف أنفسهم على تركها ما قاله الإمام الفقيه المحدث عبد الله بن
وهب - رحمه الله -: نذرتُ أني كلما اغتبتُ إنساناً أن أصوم يوماً، فأجهدني، فكنْتُ أعتابُ وأصومُ،
فنويتُ أني كلما اغتبتُ إنساناً أن أتصدقَ بدرهم، فمِن حُبِّ الدَّراهِمِ تركْتُ الغيبةَ.^(٢)

(١) المعرفة والتاريخ ٥٧/٢-٥٨، وتاريخ مدينة دمشق ١٠/١٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٩/٢٢٨.

ظهور الفتن

٤٨- عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من أطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى؟»، قالوا: لا. قال: «فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقوع القطر». متفق عليه.^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لقد كان النبي ﷺ معلماً ومربياً؛ فيها هو يستغل كل فرصة للدعوة إلى الله تعالى، وتربية أمته على الخير، وتحذيرهم من كل شر، فهل بعد هذا البلاغ والبيان والتوضيح يغترُّ مغترُّ، أو يقول قائل: لم أعلم، أو لم يلعني؟! وإخبار النبي ﷺ عن وقوع الفتن يتضمن إشعاراً بخطورتها، وضرورة التوقي منها والبعد عنها؛ فليس هو خبراً مجرداً، إذ قد استقرَّ في عقول الصحابة ﷺ والأمة خطورة الوقوع في الفتنة، وضرورة التجافي عنها؛ لكثرة ما ورد في الكتاب والسنة من التحذير منها، قال الله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ)^(٢)، وقال تعالى: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^(٣).

الفائدة الثانية: إخبار النبي ﷺ عن رؤيته للفتن واقعة في نواحي المنازل وتشبيهه مواقع سقوطها بمواقع المطر مشعراً بكثرتها واتصافها بالعموم؛ حيث تصيب قطرات المطر عموم المنطقة التي تسقط عليها، فهذا كائن وواقع في تلك الأزمنة الموصوفة بالخيرية، وأما في هذه الأزمنة المتأخرة فقد أخبر النبي ﷺ عن شأنها بما هو أكبر وأكثر؛ ففي حديث آخر يُخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة فُشو الفتن وظهورها والإعلان بها؛ فهذا أبو هريرة ؓ يحدث أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن»^(٤)، قال العلماء رحمهم الله: المراد بظهور الفتن: كثرتها واشتهارها وعدم التكاثر بها، وتغلغلها في الأوساط الإسلامية^(٥).

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، ٦/٢٥٨٩ (٦٦٥١)، ومسلم في كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر ٤/٢٢١١ (٢٨٨٥)، وأطام المدينة: حصونها المرتفعة.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٧.

(٣) سورة الأنفال آية ٢٥.

(٤) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات ١/٣٥٠ (٩٨٩)، ومسلم في كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٤/٢٠٥٧ (١٥٧).

(٥) ينظر: فتح الباري ١٣/١٨، وعمدة القاري ٢٤/١٨٣، وكتاب: موقف المسلم من الفتن للشيخ حسين الحازمي ص ٨٣.

الفائدة الثالثة: الإخبارُ بكثرة وقوعِ الفتنِ يوجبُ على المسلمِ أمرين:

الأول: الحذرُ الشديدُ من الوقوعِ فيها؛ فهي فتنةٌ كثيرةٌ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وشماله؛ كما سبَّهها النبي ﷺ بقوله: «حِلاَلٌ بِيوتِكُمْ»؛ فلا تُقل: أنا بعيدٌ عن الفتنة، ولا تُقل: لم أفعُ فيها بعدُ، ولا تُقل: إنَّها لم تُعرضْ لي إلى الآن، ولربَّما كنتَ غارقًا فيها من أعلى رأسك إلى أخصِ قَدَميك، ولكنَّ بعضَ النَّاسِ إمَّا جاهلٌ أو متجاهلٌ معرورٌ بما لديه.

الثاني: عدمُ الاعتزازِ بكثرةِ الواقعين في الفتنِ؛ لأنَّ كثرتها وزيادتها تدلُّ على كثرةِ مَنْ يتقبَّلونها، ولا يستنكرونها، فالناجِي من الفتنةِ هم القليلُ الذين يُحافظون على أنفسهم ومن تحت أيديهم، ثمَّ الناسُ بعدَ ذلك في الفتنةِ بينَ مُستقبلٍ منها ومُستكثيرٍ.

أهمية الوقت

٤٩- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ». رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: العَبْرُ هو: النَّقْصُ وَالْحَسَارَةُ، ومعنى الحديث: أن كثيرًا من الناس خاسرون حيث إنهم لم يستفيدوا من هاتين النعمتين، وهما: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ، فهم يُضَيِّعُونَ أوقَاتَهُمْ أَيَّامَ صِحَّتِهِمْ، وَيُضَيِّعُونَ وَقْتِ فَرَاغِهِمْ، فلا هم استفادوا منه في أمر دينهم وهو الأهم، ولا في أمر دنيائهم، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **إِنِّي لِأَمَقْتُ الرَّجُلَ أَنْ أَرَاهُ فَارِعًا؛ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا، وَلَا عَمَلِ الآخِرَةِ.** (٢)

الفائدة الثانية: سَبَبُ الاهتمام بالوقت أَنَّهُ الزَّمَنُ الذي تَقَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ، وهذه الأعمال (خيرها وشرها) هي التي يُقَدِّمُهَا البَشَرُ لِنِئَالِهَا بِمَا جَزَاءُ الخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، وفي حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبَدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ» رواه الترمذي وصحَّحه (٣)، وإذا عرفنا هذا تبين لنا أهمية الوقت، فهو في الحقيقة حياتنا على هذه الأرض؛ لكي نُقَدِّمَ فِيهَا مَا يُوصِلُنَا إِلَى الغَايَةِ الَّتِي لِأَجْلِهَا خُلِقْنَا، فالوقت هو الحَيَاةُ.

الفائدة الثالثة: من النماذج الحسنة في استثمار الوقت تلك الكلمة التي قالها شيخ الحنابلة في وقته أبو الوفاء علي بن عقیل - رحمه الله - لتكون نبراسًا لذوي الهِمَمِ العَالِيَةِ، وتقوية لعزيمة أصحاب الهِمَمِ القَاتِرَةِ؛ يقول مُخْبِرًا عن نفسه: **إِنِّي لَا يَجِلُّ لِي أَنْ أَضَيِّعَ سَاعَةً مِنْ عُمْرِي؛ حَتَّى إِذَا تَعَطَّلَ لِسَانِي عَنْ مُذَاكِرَةِ وَمُنَاطَرَةِ، وَبَصْرِي عَنْ مُطَالَعَةِ، أَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي حَالِ رَاحَتِي وَأَنَا مُنْطَرِحٌ، فَلَا أَهْضُ إِلَّا وَقَدْ خَطَرَ لِي مَا أُسْطَرُّهُ** (٤). اهـ ولذلك لَمَّا اخْتُصِرَ هذا الإمام بكى النساء فقال: قد

(١) رواه البخاري في كتاب البراق، باب ما جاء في الصحة والفرغ وأن لا يعيش إلا عيش الآخرة ٢٣٥٧/٥ (٦٠٤٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة ١٠٨/٧ (٣٤٥٦٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/١٣٠، والطبراني في المعجم الكبير ١٠٣/٩.

(٣) رواه الترمذي ٦١٢/٤ (٢٤١٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الجامع

(٧٣٠٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

(٤) شذرات الذهب ٣٧/٤.

وَقَعْتُ عَنْهُ خَمْسِينَ سَنَةً (يعني انه كان يعلم الناس دين الله، ويُفْتِيهِمْ فِيهِ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَيْهِ)، فَدَعَوَنِي
أَتَهَنُّأُ بِلِقَائِهِ. (١)

الحثُّ على ذكرِ الله

٥٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسيرُ في طريقِ مكة، فمرَّ على جبلٍ يُقالُ له: (جُمدانُ)، فقال: «سيرُوا هذا جُمدانُ، سبقَ المُفَرِّدونَ»، قالوا: وما المُفَرِّدونَ يا رسولَ الله؟ قال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ». رواه مسلم. ^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: ينبغي للمُسلم أن يكونَ مُرتبطًا بالله سبحانه وتعالى في جميع أحواله، ومن أعلى سُبُل الارتباطِ به وأهمها ذكرُه سبحانه وتعالى. والإكثارُ من ذكرِ الله تعالى عنوانُ المَحَبَّة؛ فإنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ. وذُكْرُ الله تعالى هو: ما يجري على اللسانِ والقلبِ مِنْ تَسْبِيحِ الله تعالى وَحَمْدِهِ وَالتَّنَائِي عَلَيْهِ وقراءة كتابه ودُعائه، والتفكيرُ في آلائِهِ ومخلوقاته، كما يدخلُ فيه: تنفيذُ أوامره مِنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والصِّيَامِ والحجِّ وبرِّ الوالدينِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ والدَّعْوَةِ إِلَى الله تعالى، يقولُ الإمامُ النَّوَوِيُّ -رحمه الله-: «إِغْلَمَ أَنْ فَضِيلَةَ الذِّكْرِ غَيْرَ مُنْخَصِرَةٍ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ وَنَحْوِهَا، بَلْ كُلُّ عَامِلٍ لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَةٍ فَهُوَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ تَعَالَى، كَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ» ^(٢).

الفائدة الثانية: ذُكْرُ الله تعالى مِنْ أعظمِ أسبابِ طُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ وانسراحِ الصدرِ، فَمِنْ رَحْمَةِ الله بعبادِهِ ولُطْفِهِ بِهِمْ أَنْ أَمَرَهُمْ بِالْإِكْتِثَارِ مِنْ ذِكْرِهِ لِيُنَالُوا هَذِهِ الْفَائِدَةَ الْعَظِيمَةَ؛ مَعَ غِنَاةِ سَبْحَانَهُ عَنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَهُوَ يَأْمُرُنَا بِذَلِكَ: لِمَحَبَّتِهِ لَهُ، وَلِيَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَطَائِهِ وَفَضْلِهِ، وَلِعَلِّمَهُ بِحَاجَتِنَا إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ لَا تَحْصُلُ لَهَا الطُّمَأْنِينَةُ الْكَامِلَةُ إِلَّا بِالْقُرْبِ مِنْ خَالِقِهَا وَالاتِّصَالِ بِهِ، وَهَذَا أَمْرُنَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الذَّاكِرِينَ لِلَّهِ تَعَالَى لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهَارًا، قَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) ^(٣)، وقال سبحانه: (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) ^(٤).

الفائدة الثالثة: يُخْبِرُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ الَّذِينَ يُكْثِرُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى هُمُ السَّابِقُونَ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى ٤/٢٠٦٢ (٢٦٧٦).

(٢) الأذكار للنووي ص ٩، وللزيادة ينظر: الوابل الصيب، لابن القيم ص ١٠٨-١١٠.

(٣) سورة الأحزاب الآيات ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الأعراف آية ٢٠٥.

السابقين بالثوابِ الجزيلِ والنعيمِ المُقيمِ، فقالَ تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)^(١)، وهذا يدعو المسلمَ الحريصَ إلى الإكثارِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تعالى بِجميعِ أنواعِهِ.

(١) سورة الواقعة الآيات ١٠-١٢.

الحُبُّ في الله

٥١- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرَصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرْتُبُهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لم يكن الناس في جاهليتهم يعرفون شيئاً اسمه (الحُبُّ في الله)، وكانت العلاقات التي تربط بعضهم ببعض علاقات منشؤها الأرض، أو النسب، أو المصالح الشخصية، ولأجلها يتابع بعضهم بعضاً في الرشد والغيواية، ويمثّل هذا شاعرُ هوازنَ وفارسها دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ حيثُ يقول:

فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى
غَوَايَتَهُمْ وَأَنِّي غَيْرُ مُهْتَدٍ
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ
غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدُ

فَجَاءَ اللَّهُ بنور الإسلام، وسما بتلك العلاقات، فَجَعَلَ علاقةَ الدينِ أرفعَهَا وأجلَّهَا، ورَتَّبَ عَلَى هذه العلاقةِ الأجرَ والثوابَ، والحُبَّ والبغضَ، فَنَشَأَ مَعَ الإسلامِ مُصْطَلَحُ: (الأخُوَّةُ في الله)، و(الحُبُّ في الله)، وهو يَعْنِي: مَحَبَّةَ المُسْلِمِ لِمَا فِيهِ مِنْ خِصَالِ الخَيْرِ والطاعةِ لِلَّهِ تَعَالَى، فليستْ لِأَجْلِ المَالِ، وَلَا النَّسَبِ، وَلَا الوَطَنِ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ، فَاسْمَى العلاقاتِ والصَّدَاقَاتِ مَا كَانَتْ بِسَبَبِ الدِّينِ ولأجلِهِ.

الفائدة الثانية: في الحديثِ إثباتُ أعظمِ فضيلةٍ للحُبِّ في الله تَعَالَى، وهي: مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، وفي الحديثِ القُدْسِيِّ: «وَجِبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ». رواه مالك (٢)، ومن فضائلها أيضاً: أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِ

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله ١٩٨٨/٤ (٢٥٦٧)، و«الدرجة»: الطريق، و«ترتُّها»: تحفظها وتراعيتها.

(٢) رواه مالك في الموطأ، كتاب الشعر، باب ما جاء في المتحابين في الله ٩٥٣/٢، ٩٥٤.

اللهِ تَعَالَى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». رواه مسلم. (١)

الفائدة الثالثة: عَلَى الْمُسْلِمِ الْحَرِيصِ عَلَى دِينِهِ أَنْ يَجْعَلَ عِلَاقَاتِهِ بِإِخْوَانِهِ قَائِمَةً عَلَى الْحُبِّ فِي اللَّهِ، فَلَا يُصَاحِبُ إِلَّا مَنْ يُقَرِّبُهُ مِنَ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، وَيُحَذِّرُ مِنْ صُحْبَةِ مَنْ يُقَرِّبُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالنَّارِ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا». رواه أبو داود (٢)، وَصُحْبَةُ رَفِيقِ السُّوءِ تُضَعِفُ الْإِيمَانَ وَتُؤَدِّي بِالشَّخْصِ لِلْوُقُوعِ فِي الْمَآثِمِ مِنْ شُرْبِ الْمُسْكِرَاتِ وَتَعَاطِي الْمُخَدَّرَاتِ وَالْوُقُوعِ فِي السَّرْفَةِ وَالزَّنَا؛ بَلْ قَدْ تُوصِلُهُ إِلَى الْقَتْلِ، وَقَدْ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى صُحْبَةِ الصَّادِقِينَ؛ فَقَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (٣)، وَأُخْبِرَ أَنَّ الصَّدَاقَاتِ كُلَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بُغْضٍ وَعَدَاوَةٍ وَاسْتِثْنَى مِنْ ذَلِكَ صَدَاقَةَ أَهْلِ التَّقْوَى، فَقَالَ تَعَالَى: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) (٤).

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله ٤/١٩٨٨ (٢٥٦٦).

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس ٥/١٦٧ (٤٨٣٢)، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن ٤/٦٠٠.

(٣) وقال: حديث حسن.

(٤) سورة التوبة آية ١١٩.

(٥) سورة الزحرف آية ٦٧.

الأمر بالسكون في الصلاة

٥٢- عن جابر بن سمرة السوائي^(١) رضي الله عنهما قال: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَامٌ تُؤْمِنُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَدْنَابُ خَيْلٍ شَمْسٍ، إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى أَحِيهِ مِنْ عَلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ». رواه مسلم^(٢)، وفي لفظٍ له: «إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ فَلْيَلْتَفِتْ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا يُؤْمِئْ بِيَدِهِ»، وفي لفظٍ له: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ هُمْ: «أُسْكِنُوا فِي الصَّلَاةِ»^(٣). يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: ينهى النبي ﷺ أصحابه عن الحركة في الصلاة من غير حاجة، إذ الأصل في الصلاة الخشوع والسكون، فلذلك ينبغي للمصلي أن يدع الحركة في الصلاة إلا من حاجة، فالحركة في الصلاة من غير حاجة مكروهة، وهي خلاف الخشوع الذي وصف الله به عباده المصلين، حيث قال تعالى: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)^(٤)، وهذا يعمُّ خشوع القلب، وخشوع الجوارح.

الفائدة الثانية: يُقسّم العلماء -رحمهم الله- الحركة في الصلاة إلى خمسة أقسام، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى ما ملخصه: الحركة في الصلاة خمسة أقسام: القسم الأول: حركة واجبة، وهي التي تتوقف عليها صحة الصلاة، مثل: أن يرى في غترته نجاسة، فيجب عليه أن يتحرك لإزالتها ويخلع غترته، ومثل أن يجزئه أحد - في سفر ونحوه^(٥) - بأنه يصلي إلى غير القبلة، فيجب عليه أن يتحرك إلى القبلة.

القسم الثاني: حركة محرمة، وهي الحركة الكثيرة المتوالية لغير ضرورة؛ لأن هذه الحركة تبطل الصلاة، وما يبطل الصلاة فإنه لا يحل فعله؛ لأنه من باب اتخاذ آيات الله هزواً.

(١) جابر بن سمرة بن جندب السوائي، هو وأبوه صحابيَان رضي الله عنهما، مات بالكوفة سنة (٥٧٠هـ). (التقريب ص ١٣٦).

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب الأمر بالسكون في الصلاة، والتَّهْمِي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام ١/٣٢٢ (٤٣١).

(٣) رواه مسلم في الموضع السابق رقم: (٤٣٠).

(٤) سورة المؤمنون الآيات ١-٢.

(٥) أما في الحضر في بلاد المسلمين فإذا علم أنه لغير القبلة لزمه استئناف الصلاة من أولها؛ لأن هذا ليس موضع اجتهاد.

القسم الثالث: حركة مُسْتَحَبَّةٌ، وهي الحركة لِفِعْلِ مُسْتَحَبِّ فِي الصَّلَاةِ، كَمَا لَوْ تَحَرَّكَ مِنْ أَجْلِ اسْتِوَاءِ الصَّفِّ أَوْ لِسَدِّ الْحَلَلِ، أَوْ رَأَى فُرْجَةً أَمَامَهُ فِي الصَّفِّ فَتَقَدَّمَ نَحْوَهَا.

القسم الرابع: حركة مُبَاحَةٌ، وهي اليَسِيرَةُ لِحَاجَةٍ، مِثْلُ: أَنْ تَشْغَلَ الْإِنْسَانَ حِكَّةٌ^(١) فَيَحْكُمُهَا، أَوْ تَنْزِلَ غُتْرُهُ عَلَى عَيْنِهِ فَيَرْفَعُهَا، أَوْ يَسْتَأْذِنُهُ إِنْسَانٌ فَيَرْفَعُ يَدَهُ وَيَأْذَنَ لَهُ، أَوْ الْكثِيرَةُ لِلضَّرُورَةِ: كَالْمَشْيِ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ.

القسم الخامس: حركة مَكْرُوهَةٌ، وهي الحركة الَّتِي لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا، وَهُوَ الْأَصْلُ فِي الْحَرَكَةِ فِي الصَّلَاةِ، مِثْلُ: الْعَبَثِ بِالسَّاعَةِ، أَوْ الْقَلَمِ، أَوِ الْعُتْرَةِ، أَوِ الْأَنْفِ، أَوِ اللَّحْيَةِ، أَوِ الْعِقَالِ، أَوِ الْمِشْلِحِ بِدُونِ حَاجَةٍ. اهـ^(٢)

الفائدة الثالثة: مِنَ الْحَرَكَاتِ الْمَكْرُوهَةِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ عِنْدَ السَّلَامِ مِنْ تَحْرِيكِ يَدِهِ الْيُمْنَى إِلَى الْيَمِينِ عِنْدَ السَّلَامِ الْأَوَّلِ، وَتَحْرِيكِ يَدِهِ الْيُسْرَى إِلَى الْيَسَارِ عِنْدَ السَّلَامِ الثَّانِي، وَهَذَا مَا نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَشَبَّهَ فَاعِلَهُ عِنْدَمَا يُحْرِكُ يَدَهُ بِأَذْنَابِ الْخَيْلِ الشَّمُوسِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَكَادُ يَسْتَقِرُّ.

(١) قال في القاموس ص ٩٣٧: الحِكَّةُ بالكسر.

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٣/١٣-٣٠٦-٣١٤ ملخص من عدة فتاوى.

الصبر على تعليم الجاهل ودعوته

٥٣- عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وانكسر أميأه، ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتموني لكي سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؛ إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: كان سيد الخلق صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وبخاصة مع الجاهلين الذين يريدون تعلم الإسلام وتطبيقه ولكنهم يجهلون ذلك إما لقلّة علمهم، أو لخباء طباعهم، أو لغير ذلك، فكان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم يعلمهم برفق حتى يتقبلوا هذا الدين ويتأثروا به، وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه». رواه مسلم. (٢)

الفائدة الثانية: الكلام في الصلاة بغير ما هو منها لا يجوز، ومن تكلم في الصلاة جاهلاً فلا شيء عليه وصلاته صحيحة، وفي حكمه من تكلم في صلاته ساهياً، فصلاته صحيحة ولا شيء عليه.

الفائدة الثالثة: إنّ من الناس من هم منقرون عن الإسلام والدين؛ فأين هم من هذه الأخلاق الكريمة لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، لقد تأثر الرجل بهذا الخلق الكريم، وازدادت محبته لهذا النبي العظيم، فبدأ يسأله السؤال تلو السؤال وهذا من علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ودينه، فماذا قال له؟ قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام؛ وإنّ منّا رجالاً يأتون الكهّان، قال: «فلا تأتهم»، قال: ومنّا رجال يتطيرون، قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدّتهم»، قال: قلت: ومنّا رجال يخطون، قال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمّن وافق خطّه فذاك». ثم بعد

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة وتسخير ما كان من إباحة ٣٨١/١ (٥٣٧)، ومعنى ما كهرني: ما انتهرني.

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ٤/٢٠٠٤ (٢٥٩٤).

هذا يأتي للنبي ﷺ ليسأله عن مشكلة اجتماعية مرّت به يريد أن يهتدي بهديه فيها ويعلم بمَ يوجّههُ، وذلك لأنه لأنه انشرح صدره لتعامله ﷺ فانشرح صدره لدينه وتعاليمه. قال معاوية بن الحكم ﷺ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أُحُدٍ وَالْجَوَانِيَةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ؛ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمْ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتَفُهَا؟ قَالَ: «أَتْنِي بِهَا»، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْتَفُهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رواه مسلم. (١)

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ٣٨١/١ (٥٣٧).

وجوب أمر الأولاد بالصلاة

٥٤- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع». رواه أحمد وأبو داود وهو صحيح.^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يأمر النبي ﷺ الآباء أن يأمرُوا أولادهم بالصلاة ويحثوهم على فعلها، ويرثوهم على المحافظة على أدائها، وذلك لأنهم هم المسؤولون عنهم ماداموا تحت أيديهم، فأمرهم هذا واجب بسبب ولايتهم عليهم، وقد قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)^(٢)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه^(٣)، والأُمُّ أيضا داخلة في هذا الأمر في الجملة بحكم رعايتها لأولادها، ففي حديث ابن عمر السابق: «وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، ... وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».

الفائدة الثانية: يشمل الحديث الأمر بجميع الصلوات المفروضة بما فيها صلاة الفجر، ومثله قول الله تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة)^(٤)، فهذا دين الله وشرعه في كتابه وسنة رسوله ﷺ يأمرُك أن تُوقظهم صغارا وكبارا لصلاة الفجر، وبعض الناس يُخَيِّلُ إليه أن تركهم نياماً من رحمتهم، ألا فليرحمهم من عذاب الله، بل ليُرحم نفسه من سخط الله عليه يوم يلقاه وقد ضيع الأمانة. فالواجب على الأولياء أن يتقذوا أنفسهم من مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، ثم يتقذوا من

(١) رواه أحمد ١٨٠/٢، ١٨٧، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/١٣٣ (٤٩٥) وهذا لفظه، وصححه الحاكم في المستدرک ١/١٩٧، وحسن إسناده النووي في رياض الصالحين ص ٩٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١/٢٦٦ (٢٤٧) وصحیح أبي داود (٤٦٦)، ورواه بنحوه الترمذی فی أبواب الصلاة، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة ٢/٢٥٩ (٤٠٧)، والدارمی ١/٣٩٣ (١٤٣١) من حديث سيرة بن مقبل الجهنبي رحمه الله وقال الترمذی: حديث حسن صحيح، ورواه البيهقي في الخلافيات من حديث سيرة وقال: إسناده صحيح (تخریج الأحاديث والآثار في تفسير الكشاف للزيلعي ١/٢٨٣).

(٢) سورة التحريم آية ٦.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ١/٣٠٤ (٨٥٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرقي بالرعية والتبهي عن إدخال المشقة عليهم ٣/١٤٥٩ (١٨٢٩).

(٤) سورة طه آية ١٣٢.

تحت أيديهم بتعليمهم الخير وهدايتهم طريق الله تعالى، ومنه الحث والتربية على أداء الصلوات كلها، ومنها صلاة الفجر. وعلى الآباء أن يبينوا لأولادهم أهمية الصلاة وفائدتها، وأنها من أعظم حق الله علينا، وهي الركن الثاني من أركان هذا الدين العظيم، وأنها من أعظم ما نشكر الله به على ما أولانا من النعم العظيمة؛ وذلك حتى يعظّموا هذه الشعيرة، ويعظّموا الأمر بها، ويحرصوا عليها، ولا يكن الأمر أمرًا مجرّدًا، بل مع الترغيب تارة، والترهيب أخرى بحسب الحاجة، وإذا عظّمنا نحن الصلاة وأشعرناهم بأهميتها تربّوا على تعظيمها، قال تعالى: (ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمِ اللَّهَ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (١).

الفائدة الثالثة: قوله ﷺ: «أولادكم» يعم الذكر والأنثى، فإن الولد في لغة القرآن الكريم يشمل الذكر والأنثى؛ كما قال تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) (٢)، وعليه: فيجب على الأب أن يحرص أيضًا على أمر بناته بالصلاة كحرصه على أمر أبنائه الذكور، ويجب عليه وعلى الأم أيضًا إيقاظهن لصلاة الفجر منذ سن السابعة حتى يتعوّدن ويتربّين عليها، وهما في ذلك محتاجان إلى التحلي بالصبر؛ فإن الصلاة محتاجة إلى الصبر في فعلها، وفي الأمر بها، وبخاصة الأمر المستمّر للأولاد، ولهذا قال تعالى: (وامرأهك بالصلاة واصطبر عليها) (٣)، حيث أخبرك الله تعالى أنه لا بدّ للمحافظة على الصلاة من الاضطبار، وهو أجل وأرفع من مجرّد الصبر، فكما يقول أهل البيان: (الزيادة في مبنى الكلمة يدل على زيادة في معناها)، قال القشيري رحمه الله: الاضطبار: نهاية الصبر (٤)، وقال ابن عطاء رحمه الله: أشد أنواع الصبر الاضطبار (٥)، وقال ابن القيم رحمه الله ما ملخصه: الاضطبار افتعال من الصبر، وهو مشعر بزيادة المعنى على الصبر، كأنه صار سجيّة وملكة، وهو أبلغ من الصبر وأقوى. (٦)

(١) سورة الحج الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء الآية ١١.

(٣) سورة طه الآية ١٣٢.

(٤) عن تفسير الثعالبي ١٥/٣.

(٥) تفسير السلمي ٤٥٤/١.

(٦) مجموع من كتابيه: طريق المحرّتين ٤٠٧/١، وعدة الصابرين ص ١٣ باختصار وتصرف يسير، وانظر أيضا: البرهان في علوم القرآن للسخاوي

٣/٤، الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ٢٣٧/٢.

حُسْنُ الْخُلُقِ

٥٥- عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: الْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الصَّلَاةِ، وَبِمَعْنَى اللَّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ، وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ بِجَمَاعٍ حُسْنُ الْخُلُقِ (٢)، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى -: مَعْنَى حُسْنِ الْخُلُقِ: بَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَطَلَاقَةُ الْوَجْهِ، وَالتَّوَاضُعُ. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -: حُسْنُ الْخُلُقِ هُوَ: مُحَاظَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرِ، وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ، وَالْإِشْفَاقُ، وَالْحِلْمُ عَنْهُمْ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُ الْكِبْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ، وَمُجَانَبَةُ الْغِلَظَةِ وَالْعَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ (٣).

الفائدة الثانية: قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَةٌ أَجْمَعَ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (٤)، قِيلَ فِي مَعْنَاهَا: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ (٥).

الفائدة الثالثة: مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ: الْبِشَاشَةُ عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَتَرْكُ الْعُبُوسِ، رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ» (٦)، وَسُئِلَ سَلَامٌ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ عَنْ حُسْنِ الْخُلُقِ: فَأَنْشَدَ شِعْرًا، فَقَالَ: (٧)

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً
كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ
جَادَ بِهَا فَلَيْتَيْقٍ اللَّهُ سَائِلُهُ
هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ
فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ

(١) رواه مسلم في كتاب البر والآداب والصلة، باب تفسير البر والإثم ٤/١٩٨٠ (٢٥٥٣).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/١١١.

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/٧٨، وفيض القدير ١/١٧٤.

(٤) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٥) فيض القدير ٣/٤٨٩.

(٦) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ٤/٢٠٢٦ (٢٦٢٦).

(٧) جامع العلوم والحكم ١/١٨٢.

وقال الشافعي:

فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيًّا
كَعُودِ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيًّا

يُحَاطِبُنِي السَّفِيهُ بِكُلِّ فُبْحٍ
يَزِيدُ سَفَاهَةً فَأَزِيدُ جِلْمًا

الضَّرَرُ مَنْفِيٌّ فِي الشَّرِيعَةِ

٥٦- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا ضَرَرَ، وَلَا ضِرَارَ». رواه الحاكم والبيهقي والدارقطني، وحسنه النووي وابن الصَّلاح. ^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الضَّرَرُ: حُصُولُ الضَّرِّ ^(٢)، وهو خلاف النَّفْعِ، والشريعة المُطَهَّرَةُ الْمُنَزَّلَةُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَنْفِي الضَّرَرَ وَالْإِفْسَادَ؛ وَذَلِكَ بِمَنْعِ وُجُودِهِ أَصْلًا، وَبِرَفْعِهِ وَإِزَالَتِهِ بَعْدَ وُجُودِهِ، وَالضَّرَرُ الْمَنْفِيُّ فِي الشَّرِيعَةِ نَوْعَانِ: **النوع الأول:** فِي التَّشْرِيعَاتِ، فَلَا تَجِدُ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَا يُؤَدِّي إِلَى الضَّرَرِ، فَالضَّرَرُ مَنْفِيٌّ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ نَفْسِهَا، وَ**النوع الثاني:** الضَّرَرُ الْعَارِضُ؛ فَإِذَا عَرَضَ لِلْإِنْسَانِ ضَرَرٌ مِنْ عَمَلٍ، أَوْ شَخْصٍ، أَوْ حَيَوَانٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَضْرَارِ بِأَيِّ طَرِيقٍ كَانَ فَالشَّرِيعَةُ لَا تُقَرُّهُ، وَتَأْمُرُ بِإِزَالَتِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ الْحَدِيثِ.

الفائدة الثانية: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُضَارَّ إِخْوَانَهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؛ إِذَا الْإِضْرَارُ بِهِمْ مُحَرَّمٌ شَرْعًا؛ وَقَدْ نَبَّهَ الشَّرْعُ إِلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الضَّرَرِ فَهِيَ عَنْهَا، فَمِنْ ذَلِكَ: الْإِضْرَارُ فِي الْوَصِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: (مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةً يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ) ^(٣)، وَمِنْهُ: الْإِضْرَارُ بِالزَّوْجَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوهُنَّ) ^(٤)، وَقَالَ تَعَالَى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) ^(٥)، وَمِنْهُ: الْإِضْرَارُ بِأَحَدِ الْوَالِدَيْنِ بِسَبَبِ الْوَالِدِ، فَقَالَ تَعَالَى: (لَا

(١) أخرجه مالك في الموطأ ١١٥/٢ عن عمرو بن يحيى عن أبيه مرسلًا، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٥٨/٢، والبيهقي ٦٩/٦، والدارقطني ٧٧/٢ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه أحمد ٣١٣/١، وابن ماجه ٧٨٤/٢ (٢٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه أيضا أحمد ٣٢٦/٥، وابن ماجه ٧٨٤/٢ (٢٣٤٠) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، كما جاء من حديث غيرهم رضي الله عنهم، وله طرق يتقوى بها، ولذلك قال النووي في الحديث الثاني والثلاثين من الأربعين: حديث حسن له طرق يقوي بعضها بعضا، وحسنه ابن الصلاح (خلاصة البدر المنير ٤٣٨/٢)، جامع العلوم والحكم ٣٠٤/١، وقال العلائي: للحديث شواهد تنتهي مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به (فيض القدير للمناوي ٤٣٢/٦)، وقال الحاكم في المستدرک ٦٦/٢: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٨٨٨)، والسلسلة الصحيحة (٢٥٠).

(٢) يراد بالضرر اصطلاحا: الإخلال بمصلحة مشروعة للنفس أو الآخرين، تعديًا أو إهمالا (ينظر: الضرر في الفقه الإسلامي للدكتور أحمد موفائي ٩٧/١).

(٣) سورة النساء آية ١٢.

(٤) سورة البقرة آية ٢٣١.

(٥) سورة الطلاق آية ٦.

تُضَارَّرُ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ^(١)، ومنه: الإضرارُ بالشهود، قال تعالى: (وَلَا يُضَارَّرُ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ).^(٢)

الفائدة الثالثة: أمرت الشريعة بإزالة الضرر الذي قد يقع على الإنسان، وهذا الضرر يُدفعُ بكامله ما أمكن ذلك، ودون أن يترتب على دفعه مفسدة، فإن لم يمكن إلا دفع بعضه، أو دفعه مع وجود مفسدة مرجوحة فُعل من ذلك ما يمكن، ومن ذلك: جواز قطع اليد أو الرجل التي أصابتها الأكلة؛ لأمن سرائتها إلى بقية البدن.

(١) سورة البقرة آية ٢٣٣.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢.

معركة مع الشيطان

٥٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةُ كُلِّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَيُحَاوِلُ إِضْلَالَهُ وَإِغْوَاءَهُ عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَبَيِّنُ أَنَّ الْاسْتِيقَاطَ لِقِيَامِ اللَّيْلِ أَوْ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ أَمْرٌ لَا يُجْبَهُ الشَّيْطَانُ، فَلذَلِكَ يَعْقُدُ عَلَى النَّائِمِ ثَلَاثَ عُقَدٍ، وَبُيِّنَ بِأَنَّ أَمَامَهُ لَيْلًا طَوِيلًا فَلْيَرْقُدْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَالاسْتِيقَاطُ إِلَى الصَّلَاةِ فِي الْحَقِيقَةِ مَعْرَكَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ اللَّدُودِ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَبَيِّنُ لَنَا السَّلَاحَ الَّذِي بِهِ نَنْتَصِرُ عَلَى الشَّيْطَانِ، إِنَّهُ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَوَّلَ مَا نَسْتَيْقِظُ، ثُمَّ الْمُبَادَرَةُ بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَبِهَذَا تَنْتَصِرُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْيَوْمِيَّةِ عَلَى أَشْرَسِ الْأَعْدَاءِ، وَإِلَّا تَرَكْتَهُ يَفْرَحُ بِالنَّصْرِ عَلَيْكَ، وَيَضْحَكُ مِنْكَ، بَلْ وَيَبُولُ فِي أُذُنَيْكَ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ نَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ»، أَوْ قَالَ: «فِي أُذُنَيْهِ». متفق عليه. (١)

الفائدة الثانية: إِنَّ مِمَّا يُعَالِجُ بِهِ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ لِقِيَامِ صَلَاةِ اللَّيْلِ أَوْ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ أَنْ يَغْسِلَ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ إِذَا تَنَاقَلَ عَنِ النَّهْوِضِ، وَلذَلِكَ مَنْ كَانَ يَعْتَادُ النَّوْمَ بَعْدَ الْاسْتِيقَاطِ فَحَسَنٌ أَنْ يَجْعَلَ بِجَانِبِ فِرَاشِهِ مَاءً لِيَغْسِلَ بِهِ وَجْهَهُ، أَوْ يَفْعَلَ بِهِ ذَلِكَ مَنْ يُوقِظُهُ لِلصَّلَاةِ وَلَكِنْ بَرَفِقٍ حَتَّى لَا يُوْذِيهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيَّقَظَتْ زَوْجَهَا

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ١١٩٣/٣ (٣٠٩٦)، وفي أبواب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل ٣٨٣/١ (١٠٩١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ٥٣٨/١ (٧٧٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ١١٩٣/٣ (٣٠٩٧)، وفي أبواب التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه ٣٨٤/١ (١٠٩٣)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ٥٣٧/١ (٧٧٤).

فَصَلَّى، فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ». رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح، وفي رواية ابن ماجه: «رَشَّ» و«رَشَّتْ». (١)

الفائدة الثالثة: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَذِّرُ أَصْحَابَهُ وَالْمُسْلِمِينَ مِنَ النَّوْمِ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، فَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْتَرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَيَقْضُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْضَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ عَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرَ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَنْلَعُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهَّدُهُ الْحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ مَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا هَذَا؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَاَنْطَلَقْنَا...»، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: «قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ؟ قَالَ: قَالَا لِي: أَمَّا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُنْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ؛ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ». رواه البخاري (٢)، هذا عذابٌ مَنْ يَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فِي الْحَيَاةِ الْبَرَزَخِيَّةِ، فَهَلْ نَحْتَمِلُ مِثْلَ هَذَا الْعَذَابِ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كُنَّا إِذَا فَقَدْنَا الْإِنْسَانَ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ وَالصُّبْحِ أَسْأَلْنَا بِهِ الظَّنَّ. (٣)

(١) رواه أحمد ٢/٢٥٠، وأبو داود في أَسْوَابِ قِيَامِ اللَّيْلِ، بَابِ قِيَامِ اللَّيْلِ ٣٣٣/٢ (١٣٠٨)، والنسائي ٣/٢٠٥ (١٦١٠)، وابن ماجه ١/٤٢٤ (١٣٣٦)، وصححه ابن خزيمة ١٨٣/٢ (١١٤٨)، وابن حبان ٦/٣٠٦ (٢٥٦٧)، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١/٤٥٣: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال النووي (خلاصة الأحكام ١/٥٨٧، المجموع ٤/٤٩) والعراقي (المغني عن حمل الأسفار ٢/١١٨٩): إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤)، وصحيح أبي داود (١١٦٠).
(٢) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ٦/٢٥٨٣ (٦٦٤٠).
(٣) رواه الحاكم ١/٣٣٠: وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الحسابُ يوم القيامة

٥٨- عن أبي برزة نضلة بن عبید الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدمًا عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن [أربع]: عُمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق، وعن جسّمه فيم أبلاه». رواه الترمذي وهو صحيح.^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: حساب يوم القيامة يدعوننا لمُحاسبة أنفسنا للإجابة على هذه الأسئلة؛ فإنه من حاسب نفسه اليوم هان عليه الحساب غدًا، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُوا نَفْسًا مَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)^(٢)، قال ابن كثير رحمه الله: في تفسيرها: أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم. اهـ.^(٣) وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تُحاسبوا أنفسكم، وتزيّنوا للعرض الأكبر: (يومئذ تُعرضون لا تخفي منكم خافية)^(٤)»، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «إن المؤمن قوام على نفسه، يُحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير مُحاسبة»^(٥).

الفائدة الثانية: كان السلف رحمهم الله من أحرص الناس على مُحاسبة أنفسهم مع ما هم عليه من التقوى والعمل الصالح، روى أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ٦١٢/٤ (٢٤١٧)، والدارمي في المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة ١٤٤/١، وأبو يعلى ٤٢٨/١٣ (٧٤٣٤)، والثورياني في مسنده ٣٣٧/٢ (١٣١٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢٣٢/١٠، وزيادة (أربع) لهما، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٦)، وصحيح الجامع (٧٣٠٠)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٢٦).

(٢) سورة الحشر آية ١٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٤.

(٤) سورة الحاقة آية ١٨.

(٥) رواه أحمد في الزهد ص ١٢٠، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس رقم (٢٢) و (١٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥٢/١، وابن أبي شيبه ٩٦/٧ (٣٤٤٥٩)، وابن المبارك في الزهد ص ١٠٣، وعلقه الترمذي فقال: يروى عن عمر ٦٣٨/٤.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد ص ١٠٣، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس ص ١٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٥٧/٢.

دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وهو يَجِدُ لِسَانَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَهْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ هَذَا أُوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ. رواه مالك^(١)، وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ وهو يقول -ويبني وبنيته جدار- وهو في جَوْفِ الْحَائِطِ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ! بَخِ بَخِ، وَاللَّهِ (بُنَى الْخَطَّابِ) لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهَ أَوْ لِيُعَذِّبَنَّكَ. رواه مالك^(٢).

الفائدة الثالثة: دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ هِيَ الْعَمَلُ بِهِ، لِذَا رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى دَرَجَةَ الْعُلَمَاءِ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)^(٣)، وَهُمْ أَهْلُ الْحُسْنَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)^(٤)، أَمَّا تَعَلُّمُهُ لِيُغَيِّرَ هَذَا الْعَرَضِ فَإِنَّهُ فَإِنَّهُ يَصِيرُ وَبِالْأَعْلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَعَلَّمُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ؛ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أحمد^(٥).

(١) رواه مالك في الموطأ ٩٨٨/٢ (١٧٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣٢/٧ (٣٧٠٤٧)، وابن أبي عاصم في الزهد ٢٥/١ (٢٢).

(٢) رواه مالك في الموطأ ٩٩٢/٢ (١٨٠٠)، ومن طريقه رواه أحمد في الزهد ص ١١٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٢٩٢/٣، وابن أبي الدنيا في المحاسبة رقم (٣).

(٣) سورة المجادلة آية ١١.

(٤) سورة فاطر آية ٢٨.

(٥) رواه أحمد ٣٣٨/٢، وأبو داود في كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله ٣٢٣/٣ (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به ٩٢/١ (٢٥٢)، وصححه ابن حبان ٢٧٩/١ (٧٨)، وقال الحاكم في المستدرک علی الصحیحین ١/١٦٠: هذا حديث صحيح سنده ثقات رواه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣١٤: إسناده صحيح.

مواضع رفع اليدين في الصلاة وصفته

٥٩- عن نافع - مولى ابن عمر - أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كان إذا دخل في الصلاة كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكَعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَرَفَعَ ذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ. رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: دلَّ الحديث على أن المصلي يستنُّ له أن يرفع يديه في أربعة مواضع، أولها: عند تكبيرة الإحرام، والثاني: عند الركوع، والثالث: عند الرفع من الركوع، والرابع: عند القيام إلى الركعة الثالثة، وإذا كان المأموم مسبوفاً بركعة أو ركعتين فإنه لا يرفع مع الإمام، وإنما يرفع يديه إذا قام إلى ثالثته هو؛ وإن لم يجلس للتشهد كما لو كان مسبوفاً بركعة، وقد ذكر فيه الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى - احتمالين في أواخر كتابه في القواعد الفقهية (٢) هذا هو أصحُّهما؛ لأن السنة إنما جاءت بالرفع عند القيام إلى الثالثة، وهذه ثالثته، وإنما ترك الجلوس للتشهد لأجل متابعة الإمام، فلا يترك ما هو قادر عليه من غير مخالفة لإمامه، والله أعلم.

الفائدة الثانية: دلَّ هذا الحديث على عدم مشروعية رفع اليدين في غير هذه المواضع الأربع، وقد جاء التصريح بنفي رفع النبي ﷺ يديه في غيرها في رواية أخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ «كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ، وَإِذَا كَبَّرَ لِلرُّكُوعِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ رَفَعَهُمَا كَذَلِكَ أَيْضًا، وَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وَكَانَ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ» (٣)، وأما أحاديث الرفع في كل خفض ورفع فالمحققون من العلماء لا يصححونها. (٤)

الفائدة الثالثة: رفع اليدين يكون إلى حد المنكبين، وقد جاء التصريح بذلك كما في الحديث السابق عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ «كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ إِذَا افْتَتَحَ

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب رفع اليدين إذا قام من الركعتين ١/٢٥٨ (٧٠٦).

(٢) ينظر: القواعد الفقهية لابن رجب الحنبلي ص ٣٧٠ في الفوائد الملحقه بالقواعد، والتي ختم بها كتابه (الفائدة الأولى).

(٣) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب رفع اليدين في التكبيرة الأولى مع الافتتاح سواء ١/٢٥٧ (٧٠٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام والركوع وفي الرفع من الركوع وأنه لا يفعله إذا رفع من السجود ١/٢٩٢ (٣٩٠).

(٤) ينظر: زاد المعاد ١/٢٢٢-٢٢٣.

الصَّلَاةَ...»، وقد جاءَ في حديثِ مالكِ بنِ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «كَانَ إِذَا كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِي بِهَيْمًا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِي بِهَيْمًا أُذُنَيْهِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَعَلَّ مِثْلَ ذَلِكَ». رواه مسلم^(١)، فَالسُّنَّةُ رَفْعُهُمَا إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ أحيانًا، وَإِلَى الْأُذُنَيْنِ أحيانًا أُخْرَى، لِيَكُونَ الْمُصَلِّيَ عَامِلًا بِكُلِّ مَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَأَمَّا مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ مَسِّ شَحْمَتِي الْأُذُنَيْنِ عِنْدِ رَفْعِ الْيَدَيْنِ؛ فَهُوَ بَدْعَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا^(٢)، قَالَ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: وَأَمَّا مَسُّ شَحْمَتِي الْأُذُنَيْنِ بِإِهْمَامِيهِ، فَلَا أَصْلَ لَهُ فِي السُّنَّةِ، بَلْ هُوَ عِنْدِي مِنْ دَوَاعِي الْوَسْوَسَةِ. اهـ^(٣) وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّادُودُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُ: لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ، السُّنَّةُ أَنْ يَرْفَعَ يَدَيْهِ إِلَى حِذَاءِ أُذُنَيْهِ أَوْ مَنْكِبَيْهِ. اهـ^(٤)، وَقَالَ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَاصِرِ الْبِرَّاكِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُ: لَا أَصْلَ لَهُ، وَالظَّاهِرُ أَنََّّهُ مِنَ الْوَسْوَسَةِ. اهـ^(٥)

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام والركوع وفي الرفع من الركوع، وأنه لا يفعله إذا رفع من السجود ٢٩٣/١ (٣٩١).

(٢) وإنما ذهب إليها بعض المتأخرين من الفقهاء، وهم بذلك يخالفون الإجماع المتقدم على عدم مشروعية ذلك، ويمكنك مراجعة الكلام على المسألة في كتابنا: حكم مس شحمتي الأذنين عند رفع اليدين مع تكبيرة الإحرام-دراسة فقهية حديثة-نشر دار أشبيلية.

(٣) هامش تلخيص صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٣.

(٤) جواب سؤال كتبه من لفظه.

(٥) جواب سؤال كتبه من لفظه.

الاهتمامُ بصلاح القلب

٦٠- عن التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: صلاح العمل مرتبطُ بصلاح القلب، وفسادهُ مرتبطُ بفساده، يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: القومُ إذا صَلَحَتْ قُلُوبُهُمْ فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا إِرَادَةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَحَتْ جَوَارِحُهُمْ فَلَمْ تَتَحَرَّكَ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا فِيهِ رِضَاءٌ. اهـ، ويقول أيضاً: ويلزمُ من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح. اهـ (٢)، وبعضُ من نقصَ علمه قد يظنُّ أنَّ هناك انفصالاً بين صلاح القلب وصلاح العمل الظاهر، وقد يستدلُّ بقول النَّبِيِّ ﷺ: «التَّقْوَى هَا هُنَا» ويشيرُ إلى صدره، ثلاثَ مرَّاتٍ (٣)، وهذا فهمٌ خاطئٌ للشريعة، وإِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الْجَهْلُ، وَإِمَّا الْهُوَى، وَالوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَأَنَّ صَلَاحَ الْبَاطِنِ يُؤَثِّرُ فِي صَلَاحِ الظَّاهِرِ، وَكُلَّمَا أَزْدَادَ صَلَاحَ الْبَاطِنِ كَانَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي صَلَاحِ الظَّاهِرِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى هَذَا التَّرَابُطِ أَيْضًا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». رواه مسلم. (٤)

الفائدة الثانية: يجبُ على المسلم أن يَهْتَمَّ بِصَلَاحِ قَلْبِهِ، فَيَتَّقِدَهُ دَائِمًا، وَيَتَجَنَّبَ مَا قَدْ يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ سِوَاهُ أَكَاثِرٍ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَمْ مِنَ الشَّهَوَاتِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا صَلَحَ الْقَلْبُ تَبِعَتْهُ جَمِيعُ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ، كَمَا يَنْبَغِي عَلَى الدُّعَاةِ وَالْمُعَلِّمِينَ أَنْ يَهْتَمُّوا بِإِصْلَاحِ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَإِنَّهَا إِذَا صَلَحَتْ اسْتَجَابَ النَّاسُ لِشَرِيعَةِ اللَّهِ، وَرَغِبُوا فِيهَا عِنْدَهُ.

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبشر بالدينه ٢٨٨/١ (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وتترك الشبهات ١٢١٩/٣ (١٥٩٩).

(٢) جامع العلوم والحكم، آخر شرح الحديث رقم (٦) بتصرف يسر.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم ٩٨٧/٤ (٢٥٦٤).

(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخلقه واحتقاره ودميه وعرضه وماله ٩٨٧/٤ (٢٥٦٤).

الفائدة الثالثة: مِمَّا يُعِينُ عَلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ: التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاللُّجُوءُ إِلَيْهِ، وَكَثْرَةُ الدُّعَاءِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى - مُخْبِرًا عَنْ دُعَاءِ عِبَادِهِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ - : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)^(١)، وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢)، وَكَانَ ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ ﷺ أَنْ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ... قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا». رَوَاهُ أَحْمَدُ^(٣).

(١) سورة آل عمران آية ٨.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْقَدْرِ، بَابِ تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ ٤/٢٠٤٥ (٢٦٥٤).

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ ٤/١٢٣، ١٢٥، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابِ مِنْهُ (٢٣) ٥/٤٧٦ (٣٤٠٧)، وَالنَّسَائِيُّ فِي كِتَابِ السُّهُوِّ، بَابِ (٦١) نَوْعُ آخِرُ

مِنَ الدُّعَاءِ ٣/٥٤ (١٣٠٤) بَلْفِظٍ: كَانَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَانَ ٥/٣١٠ (١٩٧٤).

مشروعية صلاة الضحى كل يوم

٦١- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه رأى قوماً يصلون من الضحى فقال: أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال». رواه مسلم.^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: صلاة الضحى من النفل المطلق الذي يصلى في أول النهار وقت الضحى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بها أصحابه رضي الله عنهم ويحثهم عليها، ويوصيهم بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام. متفق عليه^(٢)، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أوصاني حبيبي صلى الله عليه وسلم بثلاث لئن أدعتهن ما عشت: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر. رواه مسلم^(٣)، وهذه الأحاديث تدل على استحباب صلاة الضحى كل يوم، وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم رحمهم الله تعالى.

الفائدة الثانية: وقت صلاة الضحى من ارتفاع الشمس قيد رمح، يعني: بعد الشروق برُبْع ساعة تقريباً، إلى قبيل الزوال، يعني: قبل وقت الظهر بعشر دقائق تقريباً، ولا تجوز صلاحها في وقت النهي عند شروق الشمس، وتُصلى في أي وقت من الضحى، وتأخيرها إلى وقت اشتداد الحر أفضل لمن لم يخش تركها، وذلك قبل الظهر بساعة ونحوها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال»، ومعنى «حين ترمض الفصال»: حين تحترق أخفاف الفصال وهي الصغار من أولاد الإبل من شدة حر الرمل، ومن خشية تركها فليصلها قبل الخروج من بيته، أو أول ما يذكرها في صباحه.

الفائدة الثالثة: ثبت في فضل صلاة الضحى حديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامِي مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ٥١٥/١ (٧٤٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم باب صيام أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ٦٩٩/٢ (١٨٨٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى ٤٩٩/١ (٧٢١).

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى ٤٩٩/١ (٧٢٢).

رُكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى». رواه مسلم^(١)، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ: إِنَّمَا كَانَتْ صَلَاةُ الضُّحَى بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهَا فِي وَقْتِ انْشِعَالِ النَّاسِ. أِهْدِ فَلَذَلِكَ لَا يَحْتَجُّ شَخْصٌ بِتَرْكِهَا لِأَجْلِ الشُّغْلِ؛ لِأَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ بِهَذَا الْفَضْلِ لِأَجْلِ أَنَّهَا فِي وَقْتِ انْشِعَالِ النَّاسِ، فَمَنْ تَرَكَ أَعْمَالَهُ وَانْشَغَلَ بِهَذِهِ الصَّلَاةِ فَهَذَا دَلِيلٌ أَهْتِمَامِهِ وَحِرْصِهِ، فَيَكُونُ لَهُ هَذَا الثَّوَابُ الْعَظِيمُ.

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان ٤٩٨/١ (٧٢٠).

الرَّفْقُ بِالْمَدْعُوبِينَ

٦٢- عن أبي رِفَاعَةَ الْعَدَوِيِّ رضي الله عنه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَخْطُبُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَن دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيِّ حَسِبْتُ فَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا. رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لقد امتنَّ اللهُ تعالى على عباده المؤمنين بأعظم منَّة؛ حيث بعث فيهم رسولاً عظيماً معلِّماً ومُرَبِّياً ليهديهم إلى صراطِهِ الْمُسْتَقِيمِ؛ وليتعلَّموا منه ويأْتَسُوا بِهِ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِمْ؛ فقال تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٢)، فالنبي صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا لِأَنَّنا بِحَاجَةٍ إِلَى التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَهَكَذَا كَانَ فَقَدْ عَلَّمَ صلى الله عليه وسلم وَرَبَّنِي، وَمِمَّا عَلَّمَنَا: مَنْهَجَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، الْقَائِمَ عَلَى الرَّفْقِ بِالْجَاهِلِينَ، مَعَ الْحَرَصِ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ مَا يَصِلُونَ بِهِ إِلَى رَهْمِ جَلِّ وَعَلَا، وَمَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا هُوَ إِلَّا مَوْقِفٌ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ لِسَيِّدِ الْخَلْقِ صلى الله عليه وسلم.

الفائدة الثانية: لقد كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَرْفَقَ النَّاسِ، وَكَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم بِالرَّفْقِ وَيَحْتَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُطَبِّقُهُ بِنَفْسِهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ سَائِرِ النَّاسِ حَتَّى لَوْ أَخْطَأُوا فِي حَقِّهِ وَأَسَاؤا إِلَيْهِ، وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِلِينِ الْجَانِبِ فَقَالَ تَعَالَى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (٣)، وَأَعْطَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي الرَّفْقِ قَاعِدَةً عَامَّةً بَيَّنَّ فِيهَا أَنَّ الرَّفْقَ مَشْرُوعٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ؛ فَعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا رَأْنَةً، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَةٌ». رواه مسلم. (٤)

الفائدة الثالثة: لقد جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم الْقُدْوَةَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ؛ فَقَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٥)؛ فَمَا مِنْ مُسْلِمٍ إِلَّا

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة، باب حديث التَّعْلِيمِ فِي الْخُطْبَةِ ٥٩٧/٢ (٨٧٦).

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٤.

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق ٤/٢٠٠٤ (٢٥٩٤).

(٥) سورة الأحزاب آية ٢١.

وَيَجِدُ لَهُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأُسْوَةَ فِي الْمَجَالِ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ، وَأَعْظَمُ مَجَالَاتِ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ ﷺ هُوَ مَجَالُ الدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، فَهِيَ مُهِمَّةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْأَسَاسِيَّةُ، وَالْمُسْلِمُ يَجِدُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ مَجَالًا رَحْبًا لِلْاِقْتِدَاءِ بِهِ فِي ذَلِكَ، وَهَذَا الْمَجَالُ لَيْسَ حَكْرًا عَلَى فِتَّةٍ مِنَ النَّاسِ بَلْ كُلُّ مُسْلِمٍ لَهُ مِنْهُ نَصِيبٌ، فَكُلُّ مُسْلِمٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُعَلِّمًا وَمُرْتَبًّا لِأَوْلَادِهِ وَإِخْوَانِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالْمُسْلِمِينَ الْجُدُدِ، وَغَيْرِهِمْ؛ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالبَصِيرَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١)، حَيْثُ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ وَسَبِيلَ جَمِيعِ أَتْبَاعِهِ، وَاشْتَرَطَ فِي ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَهِيَ الْعِلْمُ، فَكُلُّ مُسْلِمٍ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى مَا لَا يَعْلَمُهُ.

(١) سورة يوسف عليه السلام آية ١٠٨.

الشرك أعظم الذنوب

٦٣- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خالقك»، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني حليلاً جارك». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الند هو الشبيه والشريك والمثيل، ومعنى الحديث: النهي عن جعل شريك لله تعالى في العبادة، كما قال تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٢)، والشرك: صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى، مثل: دعاء غير الله، أو الاستغاثة بغير الله، أو الذبح لغير الله، أو النذر لغير الله من الأولياء وأصحاب الأضرحة والقبور، أو السجود لغير الله تعظيماً له، وكل هذا شرك أكبر، مُخْرَجٌ مِنَ الدِّينِ، وصاحبه مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ.

الفائدة الثانية: الشرك أعظم الذنوب وأشدها، وهو الذنب الوحيد الذي لا يغفره الله تعالى، فالواجب على كل مسلم اجتناب الشرك كبيره وصغيره، والحذر من الوقوع فيه، والتحذير منه، والبعد عن جميع الأسباب المفضية إليه من البدع والوسائل الشركية بأنواعها؛ كالبناء على القبور، واتخاذ الأضرحة، وبناء المساجد على القبور، وغير ذلك، ولقد كان إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء عليهم السلام وسيّد الحنفاء يخاف الشرك على نفسه وذريته، ويدعو ربه قائلاً: (وَاجْنُبْنِي وَنَجِّنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (٣)؛ فكيف بمن سواه؟

الفائدة الثالثة: من جهل الشرك ولم يخف منه أو شك أن يقع فيه، كما وقع فيه كثير من المسلمين اليوم ومنذ أرمنة بعيدة، والشيطان حريص على إيقاع الناس في هذا الذنب العظيم، وذلك منتهى غايته ومطلوبه؛ ليخرج الناس من دين الله تعالى ويلبسهم عليهم، كما قال تعالى: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) (٤)، والشيطان يُزَيِّنُ

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، باب قوله تعالى: (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ٤/١٦٦٦ (٤٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أفتح الذنوب وبيان أعظمها بعدة ١/٩٠ (٨٦).

(٢) سورة البقرة آية ٢٢.

(٣) سورة إبراهيم عليه السلام آية ٣٥.

(٤) سورة الحشر آية ١٦.

الشَّرْكَ فِي الْقُلُوبِ بِحَيْلٍ شَتَّى مِنْهَا: إِيْعَاظُهُ بِأَنَّ هَذَا مِنْ حُبِّ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أَوْ أَنْ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِمْ لَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ اتِّخَاذِهِمْ وَسِيلَةً عِنْدَ اللَّهِ لِصَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنْهُ، وَهَذَا هُوَ عَيْنُ شِرْكَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (١).

(١) سورة الزمر آية ٣.

الإحسان والمراقبة

٦٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ فقال: ما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: مراقبة الله تعالى أعظم منازل العبادة وأعلى مقامات الدين، وقد عرفها النبي ﷺ بهذا التعريف الدقيق: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، فمن عبد الله كما تما يراه واستشعر ذلك بقلبه كانت حركاته وسكناته كلها موافقة لمرضات الله تعالى، ومن استشعر مراقبة الله تعالى له حملته ذلك على إحسان العبادة وإتمامها، والإخلاص فيها، وترك مراقبة الناس وعدم المبالاة بهم.

الفائدة الثانية: لقد أحبر الله جل وعلا عباده بأنه رقيب على أعمالهم، عالم بما في نفوسهم لا تخفى عليه منهم خافية، فالسر عنده علانية، وذلك لكي يخافوه ويراقبوه، في أعمالهم الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٣)، وقد أعد الله لمن راقبه وحشيته بالغيب أجراً عظيماً فقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١) هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) من حشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴿٤﴾.

الفائدة الثالثة: كان السلف رحمهم الله يُربون الناس على مراقبة الله تعالى، فعن عبد الله بن دينار قال: خرجت مع ابن عمر إلى مكة فعرّسنا، فأنحدر علينا راع من جبل، فقال له ابن عمر: أراع؟ قال: نعم. قال: بعني شاة من الغنم. قال: إني مملوك، قال: قل لسيدك: أكلها الذئب! قال: فأين الله عز وجل؟! قال ابن عمر: فأين الله؟! ثم بكى، ثم اشتراه بعد فأعتقه، واشترى له الغنم. (٥)

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ٢٧/١ (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٣٩/١ (٩).

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٥.

(٣) سورة النساء آية ١.

(٤) سورة ق الآيات ٣١-٣٥.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣/٢١٦.

وجاء رجلٌ إلى بعضِ الصالحينِ رحمه الله فقال: أوصني، فقال له: أنظرْ إلى السَّماءِ! فنظرَ صاحبهُ إلى السَّماءِ، فقال له: أتدري مَنْ خَلَقَ هذا؟ قال: اللهُ، فقال له: إنَّ مَنْ خَلَقَهَا لمُطَّلِعٌ عَلَيْكَ حَيْثُ كُنْتَ، فأخذه^(١). وقال سُفيانُ الثَّوريُّ رحمه الله يوماً لأصحابه وهو يُعلِّمُهُم مُراقِبَةَ اللهِ عزَّ وجلَّ: لَوْ كَانَ مَعَكُمْ مَنْ يَرْفَعُ حَدِيثَكُمْ إِلَى السُّلْطَانِ أَكُنْتُمْ تَتَكَلَّمُونَ بِشَيْءٍ؟ قالوا: لا. قال: فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ يَرْفَعُ الْحَدِيثَ^(٢). وقال حاتمُ الأصمُّ رحمه الله وهو يعلمُ ويذكرُ بِمِراقِبَةِ اللهِ تعالى: لو أنَّ صاحِبَ خَبَرٍ جَلَسَ إِلَيْكَ لَكُنْتَ تَتَحَرَّرُ مِنْهُ، وكلامُكَ يُعْرَضُ عَلَى اللهِ فلا تَحْتَرِزُ!^(٣). وقال الرَّجلُ لُوْهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ رحمه الله: عِظْنِي. قال: اتَّقِ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ^(٤). وقال الإمامُ العابدُ الحافظُ الفقيهُ مُفْتِي دِمَشْقِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ رحمه الله: عَلامَةُ الْحُبِّ لِلَّهِ الْمُرَاقِبَةُ لِلْمَحْبُوبِ، وَالتَّحَرِّيُّ لِمَرْضَاتِهِ.^(٥)

(١) حلية الأولياء ٣٥/١٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٦٨/٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١١.

(٤) حلية الأولياء ١٤٢/٨.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٩١/١٠.

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

٦٥- عن تميم الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: النصيحة كلمة جامعة، معناها: حيازَةُ الحُظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وإرادةُ صلاحِ حالِهِ وتخليصِهِ مِنَ الخَلَلِ، وَتَصْفِيَتِهِ مِنَ العِشِّ، وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ إِرَادَةَ الخَيْرِ لَهُ، وَتَرْكَ غِشِّهِ وَخِيَانَتِهِ فِي أهْلِهِ وَمَالِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالأَهْمِيَّةُ النَّصِيحَةُ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُبَايِعُ عَلَيْهَا أَصْحَابَهُ رضي الله عنهم، قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ». متفق عليه. (٢)

الفائدة الثانية: مِنْ أَهْمِّ آدَابِ النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ سِرًّا، وَكَانَ السَّلْفُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- إِذَا أَرَادُوا نَصِيحَةَ أَحَدٍ وَعَظُوهُ سِرًّا حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّمَا وَجَّهَهُ. وَقَالَ المُضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: المُؤْمِنُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالفَاجِرُ يَهْتِكُ وَيُعَيِّرُ (٣). وَقَالَ مِسْعَرُ بْنُ كِدَامٍ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي فِي سِتْرِ بَيْتِي وَبَيْنَتِهِ، فَإِنَّ النَّصِيحَةَ فِي المَلَا تَقْرِيعُ (٤). وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارِيُّ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ فَإِنَّمَا يُرِيدُ الشُّنْعَةَ (٥).

تَعَمَّ دِينِي بِنُصْحِكَ بِأَنْفِرَادٍ وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ
مَنْ التَّوْبِيخَ لَا أَرْضَى اسْتِمَاعَهُ

وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَثِيرًا مَا يَقُولُ فِي مَوَاعِظِهِ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ» (٦)، قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ: مَا حَالُهُمْ، وَأَبْهَمَ ذَلِكَ لِغَلَا يَنْكَسِرُ خَاطِرُ المَنْصُوحِ؛ لِأَنَّ النَّصِيحَةَ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ فَضِيحَةٌ (٧).

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ٧٤/١ (٥٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَالأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» ٣١/١ (٥٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ ٧٥/١ (٥٦).

(٣) جامع العلوم والحكم ٨٢/١.

(٤) بهجة المجالس ٤٧/١.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ١٨/٦، قال في القاموس: الشناعة الفظاعة شنع ككفر فهو شنيع وشنع وأشنع، ويوم أشنع كريبه، والاسم الشنعة بالضم، ونحوه في مختار الصحاح قال: الشنعة بالضم (ش.ن.ع).

(٦) ينظر على سبيل المثال: حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري كتاب الأدب، باب من لم يُؤَاجِزِ النَّاسَ بِالعُيُوبِ ٢٢٦٣/٥ (٥٧٥٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب عَلِمُوا بِاللهِ تَعَالَى وَشَدُّوا حَبْسِيَّتَهُ ١٨٢٩/٤ (٢٣٥٦).

الفائدة الثالثة: بالتناصح يتكامل المؤمنون، ويسدّد بعضهم بعضاً، ويترقّون في درجات الكمال، ولهذا تَبَوَّأت النَّصِيحَةُ هذه المَكَانَةَ العَظِيمَةَ في الدِّينِ، يُروى عن سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رضي الله عنه أنه قال: مَثَلُ المُسْلِمِ وَأَخِيهِ كَمَثَلِ الكَفَّيْنِ تُنْقِي إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى^(١). وقال أبو نَصْرِ العِيَاضِيُّ -رحمه الله-: تَرَكُ النَّصِيحَةَ يورثُ الفَضيحَةَ^(٢)، وعن أبي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه». متفق عليه^(٣)، وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ». رواه أبو داود^(٤)، وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم إذ تضمّن توجية النَّاصِحِ لِلنَّصِيحِ، وتوجية المَنصُوحِ لِقبول النَّصِيحَةِ؛ وتوجيههُمَا معاً لِأَدبِ النَّصِيحَةِ، وَوَجْهَهُ ذَلِكَ: أَنَّ المِرآةَ لا تُخْفِي عَيْبَ النَّاطِرِ فِيهَا بَلْ تُبَيِّنُهُ لَهُ، فَالنَّاصِحُ مِثْلُهَا، وَهِيَ تَبَيِّنُ العَيْبَ كَمَا هُوَ بِهَدْوِهِ وَبَعِيرٌ تَضْحِيْمٌ لَهُ، وَالَّذِي يَرَى عَيْبَ وَجْهِهِ فِي المِرآةِ لا يُكذِّبُهَا أَوْ يَشْتُمُهَا بَلْ يُبَادِرُ لِإِصْلَاحِ العَيْبِ.

(١) ينظر: إعانة الطالبين ١/١٩١.

(٢) ينظر: الجامع في الحديث لابن وهب ١/٢٩٨، وتاريخ مدينة دمشق ٢١/٤٤٤، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين للحداد ٣/١١٠٥ (١٦٠٢).

(٣) طبقات الحنفية ١/٧٠.

(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمن ببعضهم بعضاً ٥/٢٢٤٢ (٥٦٨٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/١٩٩٩ (٢٥٨٥).

(٥) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النَّصِيحَةِ وَالْحَيَاةِ ٤/٢٨٠ (٤٩١٨)، والبخاري في الأدب المفرد ص ٩٣، قال العراقي (المعني عن حمل الأسفار ١/٤٧٩)، والحافظ ابن حجر (بلوغ المرام ص ٣٤٤)، وابن مفلح في الآداب الشرعية ١/٣٠٧: إسناده حسن، وبنحوه رواه الترمذي ٤/٣٢٥ (١٩٢٩).

المؤمن القوي

٦٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ   قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، إِحْرَاصٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتِعْنِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: في كل مؤمنٍ خيرٌ بإيمانه بالله تعالى، ولكن أهل الإيمان يتفاوتون في منازلهم، فكلما كان المؤمن أقوى في إيمانه وعمله الصالح كان أحب إلى الله تعالى، فمن أزداد زيادة المحبة له من الله تعالى وزيادة القرى والصلة بالله؛ فليكن حريصاً على تقوية إيمانه، وليزدد من الله قرباً.

الفائدة الثانية: ينبغي أن يكون المؤمن قوياً في كل شيء، ذا هممة عالية في أمر دينه ودنياه، لأن عموم الحديث يشمل ذلك كله؛ فالمؤمن قوي في توحيدهِ، فيجتنب الشرك صغيرة وكبيرة، ويتوكل على الله تعالى في أموره كلها، ويدعو إلى التوحيد وينشره، قوي في صلاته فلا يفرط فيها أبداً، يحرص على أدائها في بيوت الله تعالى، ويحرص على إتمامها بالنوافل التي تكمل ما قد ينقص منها، قوي في أداء ما أوجب الله عليه من الزكاة؛ فلا ينقص منها شيئاً، ولا يؤخرها عن وقتها، ويؤدبها إلى مستحقيها، ويكمل ذلك بالصدقة المستحبة، وهكذا في صيامه وحجّه وبرّه بالديه، وغير ذلك، كما ينبغي أن يكون قوياً في عمله في دنياه، ومعنى ذلك: أن يحسن فيه نيته لربه جلّ وعلا، فينوي كسب الرزق الحلال، ونفع إخوانه المسلمين، ومساعدة المحتاجين، ويؤدي عمله بأمانة وصدق، ويثقنه على الغاية التي يستطيعها، وبما تقدم كله يكون المؤمن قوياً فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس، فيتحقق فيه وصف المؤمن القوي من جميع جوانبه.

الفائدة الثالثة: لقد جاءت الأوامر الشرعية بالحث على الاستمسك بدين الله تعالى بقوة وعزم، مع دَمِّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ عَلَى فُتُورٍ وَضَعْفٍ، فَقَالَ تَعَالَى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١)، والمعنى: إنك على صراطٍ مستقيم لا عوج فيه فتمسك به، وقال تعالى:

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله ٢٠٥٢/٤ (٢٦٦٤).

(٢) سورة الزحرف آية ٤٣.

(يا يحيى خذ الكتاب بقوة)^(١)، يعني: خُذْ هَذَا الدِّينَ بِحِدِّ وَعَزِيمَةٍ مِنْ غَيْرِ تَوَانٍ وَلَا تَكَاسُلٍ، وَهُوَ أَمْرٌ لِدَوِي الْهَيْمَمِ الْعَالِيَةِ بِالْإِسْتِمْسَاكِ بِالْكِتَابِ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَفِي حَدِيثِ الْعَرِيضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَيِّدِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٢)، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى غَايَةِ الْإِسْتِمْسَاكِ وَقُوَّتِهِ، وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)^(٣)، فَهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا مُجَرَّدًا أَنْ يَكُونُوا مُتَّقِينَ بَلْ أَيْمَةً لِلْمُتَّقِينَ، وَفِي الْمُقَابِلِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)^(٤)، قَالَ جَاهِدٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَغَيْرُهُ: (عَلَى حَرْفٍ) يَعْنِي: عَلَى شَكٍّ، قَالَ الطَّبْرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْمًا يَعْبُدُونَهُ عَلَى حَرْفٍ، وَأَنْتَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ بِالَّذِينَ إِنْ أَصَابُوا خَيْرًا فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَأَنْتَهُمْ يَزْتَدُونَ عَنْ دِينِهِمْ لِشِدَّةِ تُصَيُّبِهِمْ فِيهِ.^(٥)

(١) سورة مريم آية ١٢.

(٢) رواه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة ٢٠٠/٤ (٤٦٠٧) وهذا لفظه، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٤٤/٥ (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه ابن حبان ١/١٧٨ (٥) والحاكم في المستدرک ١/١٧٤، والألباني في الإرواء (٢٤٥٥)، وصحيح سنن ابن ماجه (٤٢).

(٣) سورة الفرقان آية ٧٤.

(٤) سورة الحج آية ١١.

(٥) تفسير الطبري ١٧/١٢٨ بتصريف يسير.

تربية الأولاد على أحكام الإسلام

٦٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَمْرَةً مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَخِ كَخِ، إِرْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ». متفق عليه. ^(١)
يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: إن تربية الأولاد من أعظم الواجبات التي جاء الشرع بالحث عليها، فقال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) ^(٢)، وإنما تكون وقايتهم من النار بتعليمهم وتأديبهم وتربيتهم على العمل بأحكام الشريعة فعلاً وتركاً، والنبي ﷺ في هذا الحديث كان حريصاً على تربية ولده على ترك الحرام منذ الصغر، فينهاه عن الأكل من ثمر الصدقة، مبيناً له حكمه، وأنه لا يجوز للنبي ﷺ وآله الأكل من الصدقات، ويأمره أن يرمي بالتمر من فيه، وهذا من أحسن التربية، حيث لم يقل: قد جعلها في فيه فترك، أو يقل: هو صغير غير مكلف، بل أدبه ورباه لينشأ على العمل الصالح، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في تربية أولادنا على أحكام الإسلام منذ الصغر.

الفائدة الثانية: تربية الأولاد تحتاج من الولي أن يكون رحيماً بهم رقيقاً عليهم، يربّيهم على الخير برفق، مستصحباً معه حسن الخلق في تعامله معهم، فهذا رسول الله ﷺ يربي ولده برفق فلا يسبه ولا يشتمه ولا يؤذيه بالصراخ ورفع الصوت، وهكذا كان النبي ﷺ مع الأطفال، يلاطفهم ويؤانسهم حتى يتعلموا حبب، فيتمتعوا بالتعليم فناعة في قلوبهم وعقولهم بالاستمرار على الخير الذي تعلموه، قال جابر بن سمرة رضي الله عنهما: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى (يعني الظهر)، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي، قال: فوجدت ليدته برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار. رواه مسلم ^(٣)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في الحسن والحسين رضي الله

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ٥٤٢/٢ (١٤٢٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون غيرهم ٧٥١/٢ (١٠٦٩)، وهذا لفظه، وقوله: «كخ»، بفتح الكاف وكسرهما، والثانية مؤكدة للأولى تأكيداً لفظياً، يقال عند زجر الصبي عن تناول شيء، وعند التقدير من شيء (تاج العروس ٣٢٨/٧).

(٢) سورة النحر آية ٦.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه ١٨١٤/٤ (٢٣٢٩)، قال في هدي الساري مقدمة فتح الباري ١٠٠/١: جؤنة عطار بضم أوله مهموز، ويسهل هي: الوعاء.

عنهما: «هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا». رواه البخاري،^(١) والمعنى: أَنَّهُمَا مِمَّا أَكْرَمَنِي اللَّهُ وَحَبَابِي بِهِ؛ لِأَنَّ
الأولادَ يُشْمُونَ وَيُقَبَّلُونَ؛ فَكَأَنَّهُمْ مِنْ جُمْلَةِ الرِّيحَانِينَ.^(٢)

الفائدة الثالثة: مِمَّا يُؤْتَرُ فِي تَرْبِيَةِ الصِّغَارِ مُخَاطَبَتُهُمْ بِالْكَلَامِ الْوَاضِحِ الْقَرِيبِ إِلَى مَدَارِكِهِمْ وَإِنْ لَمْ
يَفْهَمُوهُ بَادِئَ الأَمْرِ، وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيْنَ مُخَاطَبَتِهِمْ بِمَا يُنَاسِبُ سِنِّيهِمْ، وَبَيْنَ
مُخَاطَبَتِهِمْ بِمَا يَنْهَضُ بِعُقُولِهِمْ وَيَجْعَلُهُمْ فِي مَصَافِّ الكِبَارِ، فَقَالَ ﷺ: «كَخُ كَخُ»، وَهَذَا يُنَاسِبُ
الصَّغِيرَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَرَمَ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»، وَهَذَا يُعْطِي الصَّغِيرَ احْتِرَامًا وَقُدْرَةً
لِلْفَهْمِ وَتَوْسُّعًا فِي الإِدْرَاكِ بِالتَّرَقِّي فِي التَّعْبِيرِ مَعَهُ حَتَّى يَتَمَرَّنَ عَلَى كَلَامِ الكِبَارِ، وَيَتَمَكَّنَ مِنَ
التَّحَدُّثِ فِيمَا بَعْدَ، وَفِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا،
وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فَرَأَهُ قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ» [لِطَائِرٍ كَانَ مَعَهُ]، قَالَ: فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ. متفق عليه.^(٣)

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ٣/١٣٧١ (٣٥٤٣)، وفي كتاب الأدب، باب رحمة
الولد وتقيله ومعانفته ٥/٢٢٣٤ (٥٦٤٨).

(٢) ينظر: فتح الباري ١٠/٤٢٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس ٥/٢٢٧٠ (٥٧٧٨)، ومسلم في كتاب الآداب، باب استئجاب تخنيك المؤلف عند
ولادته ٣/١٦٩٢ (٢١٥٠)، واللفظ له.

مشروعية تحية المسجد أثناء خطبة الجمعة

٦٨- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ - أَوْ قَدْ خَرَجَ - فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ»، متفق عليه^(١)، وفي لفظٍ لمسلمٍ: «فَلْيَرْكَعِ رَكَعَتَيْنِ، وَلْيَتَحَوَّزَ فِيهِمَا»^(٢).

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: تحية المسجد سنة مؤكدة، فلا ينبغي لمن دخل المسجد أن يجلس قبل أن يصلي رَكَعَتَيْنِ، حتى في يوم الجمعة والإمام يخطب، والسنة لمن صلى ركعتي التحية أثناء خطبة الإمام أن يُحَفِّفَهُمَا، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «وَلْيَتَحَوَّزْ فِيهِمَا» يعني: يُحَفِّفُهُمَا، وفي هذا مراعاة للخطبة؛ فحصل الجمع بين مصلحتين: أداء حق بيت الله تعالى، وعدم التفريط في خطبة الجمعة إلا بالقدر الذي لا بُدَّ منه لأداء تحية المسجد.

الفائدة الثانية: كان النبي ﷺ يأمر من دخل المسجد في أثناء الخطبة ولم يصل التحية أن يصلها، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: دَخَلَ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «قُمْ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ». متفق عليه^(٣)، وفي رواية لمسلمٍ: قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جَاءَ سُلَيْكُ الْعَطْفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ: يَا سُلَيْكُ، قُمْ فَارْكَعْ رَكَعَتَيْنِ، وَتَحَوَّزْ فِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعِ رَكَعَتَيْنِ، وَلْيَتَحَوَّزْ فِيهِمَا^(٤)، ففيه أنه أمره بما بعد أن جلس، وهذا أبلغ في بيان مشروعيتهما وإن كان أثناء خطبة الجمعة، بل حتى لو جلس الرجل جاهلاً أو ناسياً فإنه يُشْرَعُ لَهُ أَنْ يَقُومَ فَيُصَلِّيَهُمَا.

الفائدة الثالثة: قوله ﷺ: «وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ - أَوْ قَدْ خَرَجَ -»، يعلم ما إذا دخل الشخص وقد خرج الإمام ولم يبدأ في الخطبة وإنما قد شرع المؤذن في الأذان، فإنه يستحب له أن يصلي تحية المسجد

(١) رواه البخاري أبواب التطوع، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ٣٩٢/١ (١١١٣)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب ٥٩٦/٢ (٨٧٥).

(٢) رواه مسلم في الموضوع السابق ٥٩٧/٢ (٨٧٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب إذا رأى الإمام رجلاً جاء وهو يخطب أمره أن يصلي رَكَعَتَيْنِ ٣١٥/١ (٨٨٨)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب ٥٩٦/٢ (٨٧٥).

(٤) رواه مسلم في الموضوع السابق ٥٩٧/٢ (٨٧٥).

وإن كان أثناء الأذان، ولْيَتَحَوَّزَ فِيهِمَا أَيْضًا؛ حَتَّى يَتِمَّكَنَ مِنَ الاسْتِمَاعِ إِلَى الحُطْبَةِ مِنْ أَوَّلِهَا، وَهَذَا أَوْلَى مِنَ الْإِنْتِظَارِ حَتَّى يَتِمَّ الأَذَانُ، وَقَدْ نَبَّهَ بَعْضُ الْمُفَهِّمِائِ رَحِمَهُمُ اللهُ إِلَى هَذَا، فَقَالَ العَلَامَةُ ابْنُ مَفْلُحٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ الفُرُوعِ: وَلَا يَرْكَعُ دَاخِلُ المَسْجِدِ التَّحِيَّةَ قَبْلَ فَرَاغِهِ (يعني المؤذن) .. (قال): وَلَعَلَّ المُرَادَ غَيْرُ أَذَانِ الجُمُعَةِ لِأَنَّ سَمَاعَ الحُطْبَةِ أَهَمُّ^(١). اهـ وَنَقَلَهُ عَنْهُ صَاحِبُ الإِنصَافِ وَكشَافِ القِنَاعِ وَغَيْرُهُم، وَقَالَ العَلَامَةُ ابْنُ عَثِيمِينِ رَحِمَهُ اللهُ: اسْتَنَى بَعْضُ العُلَمَاءِ مَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ وَالمُؤذِنُ يُوذِنُ يَوْمَ الجُمُعَةِ الأَذَانَ الثَّانِي؛ فَإِنَّهُ يُصَلِّي تَحِيَّةَ المَسْجِدِ لِأَجْلِ أَنْ يَسْتَمِعَ الحُطْبَةَ، وَعَلَّلُوا ذَلِكَ بِأَنَّ اسْتِمَاعَ الحُطْبَةِ وَاجِبٌ وَإِجَابَةُ المُؤذِنِ لَيْسَتْ وَاجِبَةً، وَالمُحَافَظَةُ عَلَى الوَاجِبِ أَوْلَى مِنَ المُحَافَظَةِ عَلَى غَيْرِ الوَاجِبِ. اهـ^(٢)

(١) الفروع ١/٢٨٤، ومع حاشية ابن قنلس بتحقيق الشيخ د. عبد الله بن عيد المحسن التركي ٢/٣٠، ونقله المرذوي في الإنصاف ١/٤٢٧.

والشيخ منصور في كشف القناع ١/٢٤٦-٢٤٧.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١٢/١٩٣.

آدابُ الطَّعامِ

٦٩- عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطْيِشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»، فَمَا زِلْتُ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: تُسَنُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الطَّعَامِ، وَهَذَا مَوْضِعُ اتِّفَاقِ بَيْنِ الْعُلَمَاءِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -، وَاخْتَلَفُوا فِي وَجُوبِهَا عَلَى قَوْلَيْنِ، فَذَهَبَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ (٢) إِلَى عَدَمِ وَجُوبِهَا وَإِنَّمَا هِيَ سُنَّةٌ مُتَأَكَّدَةٌ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى وَجُوبِهَا لِلأَمْرِ بِهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ الْحَنَابِلَةِ كَابْنِ أَبِي مُوسَى، وَنَقَلَهُ ابْنُ الْبَنَّا وَابْنُ الْقَيْمِ عَنْ بَعْضِ الْأَصْحَابِ، وَمِنَ الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِي (٣)، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ الظَّاهِرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: وَتَسْمِيَةُ اللَّهِ تَعَالَى فَرَضٌ عَلَى كُلِّ آكِلٍ عِنْدَ ابْتِدَاءِ أَكْلِهِ (٤). اهـ وَاخْتَارَهُ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَقَالَ: وَالصَّحِيحُ وَجُوبُ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَهُوَ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَأَحَادِيثُ الْأَمْرِ بِهَا صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ، وَلَا مُعَارِضَ لَهَا وَلَا إِجْمَاعَ يُسَوِّغُ مَخَالَفَتَهَا وَيُخْرِجُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، وَتَارِكُهَا شَرِيكُهُ الشَّيْطَانُ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ. اهـ (٥)، وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ الْحِرْصُ عَلَيْهَا وَعَدَمُ تَرْكِهَا لِلنَّصُوصِ الْأَمْرَةِ بِهَا، وَلَطَرْدِ الشَّيْطَانِ عَنْ مُشَارَكَتِهِ فِي طَعَامِهِ.

الفائدة الثانية: السُّنَّةُ أَنْ يَأْكُلَ الْمُسْلِمُ بِيَمِينِهِ، هَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ﷺ، وَبِهَذَا أَمَرَ أُمَّتَهُ، وَهَذَا هُوَ هَدْيُهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَمَا زَالَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى غَزَاهُمْ الْعَرَبُ الْكَافِرُ بِعَادَاتِهِ الْفَاسِدَةِ؛ فَصَارَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْهَزِمِينَ يُقَلِّدُونَهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي طَرِيقَةِ الْأَكْلِ

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب التَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ وَالْأَكْلِ بِالْيَمِينِ ٥٦٦/٥ (٥٠٦١)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آدابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا ٣/١٥٩٩ (٢٠٢٢).

(٢) ينظر: الإنصاف ٣٢٦/٨، والمعني ٣٤٣/٩، والمبدع ١٨٩/٧، وكشاف القناع ١٧٣/٥، وروضة الطالبين ٣٤١/٧، ومغني المحتاج ٢٥٠/٣، وإعانة الطالبين ٣٦٧/٣، وفتاوى الشَّعْبَانِي ص ٢٤٣، والفواكه الدواني ٣١٦/٢، وحاشية العدوي ٦٠٢/٢، والاستذكار ٣٨٧/٨.

(٣) ينظر: الإنصاف ٣٢٦/٨، وزاد المعاد ٣٩٧/٢-٣٩٨، ومسند أبي عَوَانَةَ ١٦٠/٥، قال في أول كتاب الأطعمة: وجوب التسمية عند حضور الطعام، وحضور الشيطان إذا تركت التسمية.

(٤) الخليلي ٤٢٤/٧.

(٥) زاد المعاد ٣٩٧/٢-٣٩٨.

والشُّرْبِ، وقد اتَّفَقَ العُلَمَاءُ على أنه لا ينبغي الأكل باليسار، ثمَّ اختلفوا في تحريمه على قولين، والصحيح أنه حرامٌ إلا من عُذِرَ لأدلةٍ عديدة، منها: حديثُ جابرٍ رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تأكلوا بالشِّمالِ، فإنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ». رواه مسلم^(١)، وحديثُ عبدِاللهِ بنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أكل أحدكم فليأكلْ بيمينه، وإذا شرب فليشربْ بيمينه، فإنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ». رواه مسلم^(٢)، وفي لفظٍ له قال صلى الله عليه وسلم: «لا يأكلَنَّ أحدٌ منكم بِشِمَالِهِ، ولا يشربَنَّ بها، فإنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا، ولا يُعْطِي بِهَا»، وحديثُ سلمةَ بنِ الأكوعِ رضي الله عنه أن رجلاً أكلَ عندَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بِشِمَالِهِ، فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قال: لا أستطيعُ، قال: «لا استطعتُ، ما منعهُ إلا الكِبَرُ» قال: فَمَا رَفَعَهَا إلى فِيهِ. رواه مسلم^(٣)، قال ابنُ القيم -رحمه الله تعالى-: وكان صلى الله عليه وسلم يأمرُ بالأكلِ باليمينِ، وينهى عن الأكلِ بالشِّمالِ، ويقول: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»، ومقتضى هذا تحريمُ الأكلِ بها، وهو الصحيحُ، فإنَّ الأكلَ بها إمَّا شيطانٌ، وإمَّا مشبهُ به، وصحَّ عنه أنه قال لرجلٍ أكلَ عندهُ فأكلَ بِشِمَالِهِ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قال: لا أستطيعُ، قال: «لا استطعتُ»، فَمَا رَفَعَ يَدَهُ إلى فِيهِ بعدها، فلو كان ذلكَ جائزًا لَمَا دَعَا عَلَيْهِ بِفِعْلِهِ، وإنَّ كانَ كِبَرُهُ حَمَلَهُ عَلَى تَرْكِ امْتِثَالِ الأَمْرِ؛ فَذَلِكَ أْبْلَغُ فِي العِصْيَانِ وَاسْتِحْقَاقِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ. اهـ^(٤)

الفائدة الثالثة: في الحديثِ مَشْرُوعِيَّةُ تَرْبِيَةِ الصِّغَارِ عَلَى الآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وَأَنَّ الصَّغِيرَ يَتَأَثَّرُ بِذَلِكَ، وَيَنْطَبِعُ هَذَا فِي ذَهْنِهِ، وَأَنَّهُ يَسْهَلُ عَلَيْهِ تَعْوِيدُ نَفْسِهِ عَلَى الخَيْرِ إِذَا عُوِّدَ عَلَيْهِ مِنَ الصِّغَرِ، فَهَذَا رَاوِي الحَدِيثِ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَقُولُ بَعْدَ أَنْ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم هَذَا الأَدَبَ: فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ.

(١) رواه مسلم في كتاب الأُشْرِيَّةِ، باب آدابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا ٣/١٥٩٨ (٢٠١٩).

(٢) رواه مسلم في المَوْضِعِ السَّابِقِ رَقْمَ (٢٠٢٠).

(٣) رواه مسلم في المَوْضِعِ السَّابِقِ ٣/١٥٩٩ (٢٠٢١).

(٤) زاد المعاد ٢/٤٠٥.

صفة التسمية على الأكل والشرب

٧٠- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، والنسائي في الكبرى والحاكم، وهو صحيح. ولفظ الترمذي والحاكم: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ»، ولفظ آخره عند الترمذي وابن ماجه والحاكم: «فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ»، ولفظ النسائي: «فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَفِي آخِرِهِ». (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: دلّ الحديث على مشروعية التسمية عند بداية الأكل، وأن ذلك هو الأصل فيها، كما دلّ على أن من نسي التسمية في أول الطعام والشراب أنه يُشرع له استدراك ذلك، وهذا الاستدراك له صفة خاصة وهي أن يقول: «بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ»، فمن قال ذلك كان مُستدركًا لما فاتهُ من التسمية في أول الطعام، وقد ورد في حديث أمية بن محشي رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْكُلُ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ، فَلَمَّ يُسَمِّ حَتَّى كَانَ فِي آخِرِ طَعَامِهِ لُفْمَةً فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حَتَّى سَمَّى، فَلَمْ يَبْقَ فِي بَطْنِهِ شَيْءٌ إِلَّا قَاءَهُ»». رواه أحمد وأبو داود، وإسناده ضعيف (٢).

الفائدة الثانية: بيّن الحديث صفة التسمية المشروعة عند الأكل والشرب، وأنها على وجهين:

الوجه الأول: التسمية في ابتداء الطعام، ووصفتها أن يقول: «بِسْمِ اللَّهِ»، ولا حاجة هنا لزيادة: «الرحمن الرحيم»، لعدم ورودها، ولتصريح هذا الحديث وغيره بالاكتمال بقول: «بِسْمِ اللَّهِ»، وخيرُ الهدى هدي محمد ﷺ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: المراد بالتسمية على الطعام قول: «بِسْمِ اللَّهِ» في ابتداء الأكل، وأما قول النووي في أدب الأكل من الأذكار: والأفضل أن يقول:

(١) رواه أبو داود في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام ٣/٣٤٧ (٣٧٦٧)، والترمذي في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام ٤/٢٨٨ (١٨٥٨)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب التسمية عند الطعام ٢/١٠٨٦ (٣٢٦٤)، والنسائي في السنن الكبرى ٦/٧٨ (١٠١٢)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٤/١٢١ (٧٠٨٧)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه ابن حبان ١٣/١٢ (٥٢١٤)، وقال ابن القيم (زاد المعاد ٢/٣٩٧): حديث صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٧/٢٤ (١٩٦٥) والسلسلة الصحيحة ١/٣٨٢ (١٩٨).

(٢) رواه أحمد ٤/٣٣٦، وأبو داود في كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام ٣/٣٤٧ (٣٧٦٨)، والنسائي في الكبرى ٤/١٧٤ (٦٧٥٨)، وإسناده ضعيف، فيه: المثنى بن عبد الرحمن الخراعي، قال علي بن المديني: مجهول، وقال الذهبي: لا يعرف. تهذيب التهذيب ١٠/٣٤، وقال في التقريب ص ٥١٩: مستور.

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فَإِنْ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ» كَفَاهُ وَحَصَلَتْ السُّنَّةُ، فَلَمْ أَرْ لِمَا ادَّعَاهُ مِنْ الْأَفْضَلِيَّةِ دَلِيلًا خَاصًّا. اهـ^(١).

والوجه الثاني: التَّسْمِيَةُ أَثْنَاءَ الطَّعَامِ لِمَنْ تَرَكَهَا نَسِيَانًا أَوْ تَعَمُّدًا، وَصِفْتُهَا أَنْ يَقُولَ: «بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ».

الفائدة الثالثة: لِلتَّسْمِيَةِ عَلَى الطَّعَامِ فَوَائِدٌ عَدِيدَةٌ، مِنْهَا: حُلُولُ الْبَرَكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَمِنْهَا: مَنَعُ مُشَارَكَةِ الشَّيْطَانِ لِلْعَبْدِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، وَمِنْهَا: تَذَكُّرُ الْعَبْدِ ارْتِبَاطَهُ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَمُورِهِ، فَهُوَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، كَمَا يَذْكُرُهُ عِنْدَ دُخُولِ بَيْتِهِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ، وَعِنْدَ نَوْمِهِ وَاسْتِيقَاضِهِ، وَعِنْدَ دُخُولِ الخَلَاءِ وَالخُرُوجِ مِنْهُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ بِذَلِكَ يُحَقِّقُ انْدِرَاجَهُ فِيمَا حَتَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْإِكْتَارِ مِنْ ذِكْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)^(٢)، وَهَذَا يَحُورُ عَلَى الْفَضْلِ الْعَظِيمِ لِلَّذِينَ يُكْثِرُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).^(٣)

(١) فتح الباري ٥٢١/٩.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤١.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٥.

مشروعية إبرار المُقسِم

٧١- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «أمرنا النبي ﷺ بإبرار المُقسِم». متفق عليه.^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: معنى «إبرار المُقسِم»: فعل ما أَرَادَهُ الْحَالِفُ مِنْكَ؛ لِتَجْعَلَهُ بِذَلِكَ بَارًا بِيَمِينِهِ غَيْرَ حَانِثٍ فِيهَا، وَإِبْرَارُ الْمُقْسِمِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِثْمٌ أَوْ ضَرَرٌ أَوْ مَشَقَّةٌ عَلَى الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِبْرَارُ الْقَسَمِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ مُتَأَكَّدَةٌ. اهـ.^(٢) فَمَنْ حَلَفَ عَلَى شَخْصٍ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ إِثْمٌ، فَيُسْتَحَبُّ لِلْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ إِبْرَارُ قَسَمِ أَخِيهِ؛ كَمَنْ حَلَفَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَنْ يَقْبَلَ أُعْطِيَتَهُ، أَوْ يَتَعَشَّى عِنْدَهُ، أَوْ يَصْحَبَهُ فِي زِيَارَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَيُسْتَحَبُّ إِبْرَارُ قَسَمِهِ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ مَشَقَّةٌ؛ لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ بِذَلِكَ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا يُدْبِتُ إِلَى إِبْرَارِ الْقَسَمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَفْسَدَةٌ أَوْ خَوْفٌ ضَرَرٍ (أَوْ مَشَقَّةٌ ظَاهِرَةٌ) أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَبْرَرْ قَسَمَهُ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا عَبَّرَ الرَّؤْيَا بِحَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا، وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا»، فَقَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِتُخْبِرَنِي، فَقَالَ: «لَا تُقْسِمُ»، وَلَمْ يُخْبِرْهُ.^(٣) اهـ.^(٤)

الفائدة الثانية: مع مشروعية إبرار المُقسِم إلا إنه ينبغي ترك الإقسام على الناس وبخاصة في الأمور التي لا قيمة لها، أو التي يُعْلَمُ مَشَقَّتُهَا عَلَى الشَّخْصِ وَعَدَمُ رَغْبَتِهِ فِيهَا، أَوْ فِيهَا إِحْرَاجٌ لِأَخِيهِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَعُودُ إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا إِبْرَارُ الْمُقْسِمِ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ وَالْمَشَقَّةِ عَلَى الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ، أَوْ الْاسْتِهَانَةُ بِالْيَمِينِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا يُخَالِفُ تَعْظِيمَهَا الْمَأْمُورَ بِهِ شَرْعًا، وَهَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي حِفْظِ الْيَمِينِ الْمَأْمُورِ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ).^(٥)

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والتأويل، باب قول الله تعالى: (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) ٢٤٥١/٦ (٦٢٧٨)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحلير على الرجل وإناجيه للنساء ١٦٣٥/٣ (٢٠٦٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٢/١٤.

(٣) الحديث متفق عليه، رواه البخاري في كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عاير إذا لم يصب ٢٥٨٢/٦ (٦٦٣٩)، ومسلم في كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا ١٧٧٧/٤ (٢٢٦٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٢/١٤، وما بين قوسين هو من كلامه في موضع آخر (شرح النووي على صحيح مسلم ٢٩/١٥).

(٥) سورة المائدة آية ٨٩.

الفائدة الثالثة: مما ينبغي اجتنابه أيضاً ما شاع عند كثير من المسلمين مما يدخل في حكم اليمين، وهو نوعان:

النوع الأول: الحلف بالطلاق، كقوله: عليّ الطلاق أن تتعدى معنأ، فهذا خطأ وينبغي اجتنابه، وأقلُّ أحواله أن يكون مكرهًا، وأكثر العلماء على وقوع الطلاق إذا لم يحصل ما طلق عليه، والقول الآخر: أنه يُنظر في قصده، فإن قصد الطلاق وقعت طلاقاً واحدة، وإن لم يقصد الطلاق وإنما قصد المنع أو الحث فحكمه حكم اليمين، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية واللجنة الدائمة للإفتاء^(١).

والنوع الثاني: تحريم الحلال كقوله: حرام عليّ دخول بيت فلان، أو يحرم عليّ أن أكلم فلاناً، وهذا لا يجوز فيجب اجتنابه، جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: تحريم الحلال لا يجوز. اهـ^(٢) ومن فعله تاب واستغفر وكفر كفارة يمين إذا أراد الحث فيه؛ لأن له حكم اليمين، والدليل على تحريمه وأنه في حكم اليمين: قول الله تعالى: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحلَّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيمٌ. قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم).^(٣)

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٢٠/١٢٣-١٣١.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ٢٠/٣١٤.

(٣) سورة النحر الآيات ٢-١.

تحريم الحلف بغير الله

٧٢- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَخْلِفُ بِأَيْمِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ». قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا. متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الحلف بغير الله حرام، وهو من الشرك الأصغر، كالحلف بالنبي ﷺ، أو بالكعبة أو بالآباء، أو بالأولياء، وغير ذلك، والواجب على من حلف بغير الله تعالى التوبة الصادقة، وتحديد التوحيد بقول: «لا إله إلا الله»، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى؛ فَلْيُتْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». متفق عليه. (٢)

الفائدة الثانية: من الأيمان المحرمة: الحلف بالأمانة والذمة والصلاة ونحو ذلك، جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: لا يجوز الحلف بالأمانة؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا» (٣)، (٤) وفي سؤال وجهه لشيخنا الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: هل يجوز التذميم بقوله لأخيه: بذمتك أو بصلاتك، أو بقوله أنت بخرج إن فعلت كذا؟ فأجاب -رحمه الله-: لا يجوز الحلف لا بالصلاة ولا بالذمة ولا بالخرج ولا بغير ذلك من المخلوقات، فالحلف يكون بالله وحده. فلا يقول: بذمتي ما فعلت كذا، ولا بذمة فلان، ولا ب حياة فلان، ولا بصلاتي، ولا أطالبه فأقول: قل بذمتي، ولا بصلاتي، وبزكاتي، كل هذا لا أصل له؛ لأن الصلاة فعل العباد، والزكاة فعل العباد، وأفعال العباد لا يحلف بها. (٥)

(١) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم ٢٤٤٩/٦ (٦٢٧٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب التهي عن الحلف بغير الله تعالى ١٢٦٦/٣-١٢٦٧ (١٦٤٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت ٢٤٥٠/٦ (٦٢٧٤)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله ١٢٦٧/٣ (١٦٤٧).

(٣) رواه أحمد ٣٥٢/٥، وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالأمانة ٢٢٣/٣ (٣٢٥٣)، وهذا لفظه، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٣٣١/٤ وقال: صحيح الإسناد، وصححه ابن حبان ٢٠٥/١٠ (٤٣٦٣)، وقال النووي في رياض الصالحين ص ٣١٣، والأذكار ص ٢٩٣: إنسانه صحيح.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٥٧/٢٣.

(٥) مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ٢٣ / ١٠٦-١٠٨.

الفائدة الثالثة: لقد أمر الله تعالى بحفظ اليمين فقال: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)^(١)، وذلك لعظم شأنها، وحفظها يدخل فيه أمور عديدة منها: الحلف بأسماء الله وصفاته، وتجنب الحلف بغير الله، ومنها: الإقلال من الأيمان، وتجنب الإكثار منها، جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: الإكثار من الحلف في الأمور الدنيوية بلا حاجة مكروه؛ لعموم قول الله تعالى: (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ)^(٢). اهـ ومن حفظ اليمين: أن يفعل ما حلف على فعله، ويتترك ما حلف على تركه؛ ما لم يكن في ذلك إثم، أو في حال يكون الحنث في اليمين أولى من حفظها.^(٣)

(١) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٥٥/٢٣ .

(٣) مثل: أن يحلف على قطيعة رحمه، فالواجب عليه أن يحنث في يمينه، أو يحلف أن لا يدخل بيت أخيه فالأولى له أن يدخله ما لم يكن حلفه بسبب إثم في بيت أخيه، وتقدم ذلك في الحديث رقم (٣٩) .

كفارة اليمين

٧٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَاللَّهِ لَأَنْ يَلِجَ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ، أَوْ تَمَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: كفارة اليمين التي افترضها الله تعالى هي: إطعام عشرة مساكين من أوسط الطعام، ويجزئ لكل مسكين كيلو ونصف من الأرز، أو كسوتهم لكل واحد لباس يسئ عورته في الصلاة، أو تحرير رقبة، فمن عجز عن هذه الثلاث، صام ثلاثة أيام، والأفضل في صيام هذه الأيام أن تكون متتابة، ولا يجب التتابع على الصحيح من قولي أهل العلم، وهو اختيار اللجنة الدائمة للإفتاء (٢)، والدليل على الكفارة قوله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) (٣)، ولا يجوز تقديم الصيام مع القدرة على الإطعام أو الكسوة، فما يفعله كثير من الناس من الابتداء بالصيام مع القدرة على الإطعام أو الكسوة لا يجزئ عن الكفارة، ومن فعل ذلك وحب عليه دفع الكفارة، وكان صيامه تطوعاً.

الفائدة الثانية: من شروط لزوم اليمين والكفارة عند الحنث فيه: أن يتكلم الإنسان باليمين، وسواء في ذلك أسمع الآخرون أم لم يسمعه فإنه يلزمه حكم اليمين، وأما من حلف في نفسه أو نذر في نفسه ولم يتكلم به فلا شيء عليه، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسَّوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا؛ مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ». رواه البخاري (٤).

(١) قال الحافظ: يلج بكسر اللام ويجوز فتحها، من اللجاج وهو أن يتصادى في الأمر ولو تبين له خطؤه (فتح الباري ١١/٥١٩)، وتقدم معنى الحديث في الحديث رقم (٣٩)، وإنما سقته هنا لأجل ذكر الكفارة.

(٢) رواه البخاري في أول كتاب الأيمان والنذور ٦/٢٤٤٤ (٦٢٥٠)، ومسلم في كتاب الأيمان، تاب النهي عن الإصرار على اليمين فيما يتأذى به أهل الخلف بما ليس بحرام ٣/١٢٧٦ (١٦٥٥).

(٣) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٢٣/٢٢، ٢٣، ٦١، ٣١، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٢٥٥.

(٤) سورة المائدة آية ٨٩.

(٥) رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، تاب إذا حنث ناسياً في الأيمان ٦/٢٤٥٤ (٦٢٨٧).

الفائدة الثالثة: مَنْ اسْتَشَى فِي يَمِينِهِ فَحَنَثَ فِيهَا فَلَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ، وَالِاسْتِثْنَاءُ فِي الْيَمِينِ هُوَ: أَنْ يَقُولَ: سَأَفْعَلُ كَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَوْ لَنْ أَفْعَلَ كَذَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، فَمَنْ اسْتَشَى فِي يَمِينِهِ لَمْ تَلْزَمُهُ الْيَمِينُ وَلَا كَفَّارَتُهَا، وَالِدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) ^(١)، فَهَاتَانِ الْآيَتَانِ تَدُلَّانِ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الْاسْتِثْنَاءِ فِي الْيَمِينِ لِمَنْ حَلَفَ عَلَى أَمْرٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ عَدَمِ الْاسْتِثْنَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي الْاسْتِثْنَاءِ تَعْلِيْقًا لِلأَمْرِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاعْتِمَادًا عَلَيْهِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ.

(١) سورة الكهف الآيات ٢٣-٢٤.

اتقاء النار بالعمل الصالح ولو كان قليلا

٧٤- عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اتقوا النار»، ثم أعرض وأشاح، ثم قال: «اتقوا النار»، ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمره، فمن لم يجد فيكلمة طيبة». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يأمر النبي ﷺ جميع المسلمين باتقاء النار، ولا يكون ذلك إلا بعمل الصالحات واجتناب المنهيات، كما ينبه ﷺ إلى أن هذا الاتقاء لا يُحتقر فيه شيء يسير يُعمل من الصالحات، ولا شيء يسير يُجتنب من السيئات، فليحرص المسلم على التقوى في جليل الأمر ويسيره، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا، (قال أبو شهاب): بيده فوق أنفه. رواه البخاري (٢)، وقال أنس رضي الله عنه: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر؛ إن كنا لنعدّها على عهد النبي ﷺ من الموبقات. رواه البخاري (٣)، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنٍ وَاذِ فَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بَعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْرَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذَ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهَا». رواه أحمد (٤)، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، إياك ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا طَالِبًا» (٥)، وقيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب رضي الله عنه عن التقوى؟ فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك؟ قال: بلى. قال: فما عملت؟ قال: ستمرت واجتهدت، قال: فذلك التقوى (٦)، قال ابن المعتز:

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب ٢٣٩٥/٥ (٦١٧٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمره أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار ٧٠٣/٢ - ٧٠٤ (١٠١٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب التوبة ٢٣٢٤/٥ (٥٩٤٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يتقى من محقرات الذنوب ٢٣٨١/٥ ضمن الحديث رقم (٥٩٤٩).

(٤) رواه أحمد ٣٣١/٥، والرؤياني في مسنده ٢١٦/٢ (١٠٦٥)، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٥/٦، والأوسط ٢١٩/٧ (٧٣٢٣)، والصغير ١٢٩/٢ (٩٠٤)، وقال الحافظ (فتح الباري ١١/٣٢٩): أخرجه أحمد بسند حسن.

(٥) رواه أحمد ٧٠/٦، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب ١٤١٧/٢ (٤٢٤٣)، و الدراري ٣٩٢/٢ (٢٧٢٦)، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ١١٣/١: أخرجه أحمد وابن ماجه وسنده حسن، وقال البوصيري في مصباح الزجاجية ٤/٢٤٥: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٦) تفسير ابن كثير ٤/١١.

خَلَّ الذُّنُوبَ صَـغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّهُـمَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْ ضِ الشُّؤْمِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَـغِيرَةً إِنَّ الْجِيَالَ مِنَ الْحَصَى

الفائدة الثانية: لا ينبغي أن يحتقر المسلم شيئاً من المعروف يُقدِّمه لنفسه ولو كان صغيراً، فلربما كان فيه نجاة من النار، قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تحقرن من المعروف شيئاً؛ ولو أن تلقى أخاك بوجه طلقٍ». رواه مسلم^(١)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله، والنار مثل ذلك». رواه البخاري^(٢)، قال ابن بطال - رحمه الله تعالى -: فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة، وأن المعصية مفرقة إلى النار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون في أيس الأشياء. اهـ وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمها الله بها، ولا السيئة التي يسنخط عليه بها. اهـ^(٣)

الفائدة الثالثة: هذا الحديث موافق لقول الله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)^(٤)، وقد فقه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة هذه النصوص فعملوا بها، قال مالك - رحمه الله -: بلغني أن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب؟! كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟! وجاء سائل إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وبين يديه طبق عليه عنب فأعطاه عنباً، فقيل له: أين تقع هذه منه؟! قال: فيها مثاقيل ذر كثيرة، وجاء سائل إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وبين يديه طبق عليه تمر فأعطاه تمره، فقبض يده، فقال سعد: إن الله يقبل منها مثقال الذرة والحزلة، وكم في هذه من مثاقيل الذرة؟!^(٥)

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ٤/٢٠٦٦ (٢٦٢٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك ٥/٢٣٨٠ (٦١٢٣).

(٣) فتح الباري ١١/٣٢١ وكلام ابن بطال منه أيضاً.

(٤) سورة الزلزلة آية ٧.

(٥) ذكر هذه الآثار ابن عبد البر في الاستئثار ٨/٦٠٢ - ٦٠٣.

جُودُ النَّبِيِّ ﷺ وَكِرْمُهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

٧٥- عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ حَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ. قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسَلِّمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يُبَيِّنُ الْحَدِيثُ قَاعِدَةً مِنْ أَعْظَمِ قَوَاعِدِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنْ أَنْفَعِهَا فِي التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ قَاعِدَةٌ: (الِإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ)، وَالِإِحْسَانُ لَهُ أَوْجُهُ كَثِيرَةٌ؛ فَمِنْهُ: الْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ بِالْمَالِ، وَمِنْهُ: بِالْجُهْدِ وَالْوَقْتِ فِي حَلِّ مُشْكَلاتِهِمْ وَالنَّظَرِ فِي قَضَائِيَّاتِهِمْ، وَمِنْهُ: يَبْدُلُ الْوَجْهَ لِلشَّقَاعَةِ لَهُمْ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبْدُلُ لِلنَّاسِ الْإِحْسَانَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى النَّاسِ وَيَحْرِصُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ مَشْرُوعٍ، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه: «مَا سئِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ». رواه مسلم (٢)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: «مَا سئِلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لَا». متفق عليه (٣).

الفائدة الثانية: الْإِحْسَانُ وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ مِنْ أَرْفَعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ حُسْنِ الْخُلُقِ: «هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَدَلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى» (٤)، وَلَقَدْ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا» (٥)، وَقَدْ زَكَّى اللَّهُ تَعَالَى أَخْلَاقَ رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٦)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا لَهٗ بِمَجَامِعِ الْأَخْلَاقِ: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه ١٨٠٥/٤ (٢٣١٢).

(٢) رواه مسلم في الموضوع السابق ١٨٠٥/٤ (٢٣١٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب لحسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ٢٢٤٤/٥ (٥٦٨٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه ١٨٠٥/٤ (٢٣١١)، وهذا لفظه.

(٤) رواه الترمذي ٣٦٣/٤ (٢٠٠٥)، ونقل النووي وغيره عن الحسن البصري نحوه (شرح النووي على صحيح مسلم ٧٨/١٥، والآداب الشرعية ١٩٧/٢).

(٥) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب الكنية للصبي وقيل أن يؤلّد للرجل ٢٢٩١/٥ (٥٨٥٠)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب باب جواز الجماعة في التأفلة والصلاة على خصير .. ٤٥٧/١ (٦٥٩)، وفي كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا ١٨٠٥/٤ (٢٣١٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) سورة القلم آية ٤.

عن الجاهلين^(١)، قيل: معناها: أن تصل من قطعك، وتُعطي من حرملك، وتغفو عن ظلمك، وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها^(٢).

الفائدة الثالثة: تأليف الناس على الإسلام وعلى الخير بالوسائل المشروعة والمباحة من أحسن ما ينبغي أن يستمسك به المسلمون عامةً، وأهل العلم والدعاة منهم خاصةً، وبمثل هذا يمكن استمالة الناس إلى الخير والمعروف، لا بالغلظة والجفاء وعبوس الوجه والشتم، وباستمالتهم تكون استمالة من وراءهم، إذ كل شخص يمكن أن يكون سفيراً لمن وراءه من أهله وأولاده وأصحابه، فلربما كان صلاح شخص بكلمة طيبة أو هدية أو مساعدة مادية أو معنوية، ثم كانت هداية أمة وراءه تأثروا بذلك، فحري بالدعاة إلى الله تعالى بذل ما يمكنهم لاستمالة الناس إلى الخير الذي ينعمون به، وأسوتهم في ذلك رسول الله ﷺ.

(١) سورة الأعراف آية ١٩٩.

(٢) ينظر: فتح الباري ٣٠٦/٨، وفيض القدير ٣ / ٤٨٩، ومدارج السالكين ٣٠٤/٢.

مشروعية دعاء الاستفتاح

٧٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ سَكَتَ هُنَيْئَةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ»، فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأبي أنت وأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قال: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقِّي الثَّوْبَ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنَ خَطَايَايَ بِالتَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرْدِ». متفق عليه. ^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: السنة في الركعة الأولى أن يقرأ المصلي دعاء الاستفتاح سواء أكان إماماً أو مأموماً أو منفرداً، وفي الحديث بيان لأحد أنواع أدعية الاستفتاح، وهو أصحها، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: حديث أبي هريرة أصح ما ورد في ذلك. اهـ ^(١)، وقال ابن الهمام رحمه الله تعالى: وهو أصح من الكل لأنه متفق عليه ومع هذا لم يقل بسنيته عيناً أحد من الأربعة. اهـ ^(٢)، ومن استفتح بغيره مما ورد فلا بأس بذلك، ومن حفظ أكثر من دعاء الاستفتاح فالأفضل أن ينوع بينها فيقول هذا في صلاة وذلك في صلاة، ولا يجمع بينها، ومن نسي الاستفتاح أو تركه عمداً فصلاؤه صحيحة.

الفائدة الثانية: إذا أتى المسبوق والإمام راعع أو قائم بعد الركوع، أو ساجد أو جالس فلا يشرع له دعاء الاستفتاح في هذه المواضع، لأنها ليست موضعاً للاستفتاح، قال شيخنا العلامة ابن باز - رحمه الله تعالى -: إذا دخل المسلم المسجد والإمام راعع؛ فإنه يشرع له الدخول معه في ذلك مكبراً تكبيرتين، التكبير الأولى للإحرام وهو واقف، والثانية للركوع عند انحائه للركوع، ولا يشرع في هذه الحالة دعاء الاستفتاح ولا قراءة الفاتحة من أجل ضيق الوقت. اهـ ^(٣)، وإذا دخل المسبوق والإمام يقرأ الفاتحة فإنه ينصت لقراءة الإمام، وإذا كانت الصلاة سرية فإن خشي ركوع الإمام قبل أن يقرأ الفاتحة لم يستفتح، بل يقرأ الفاتحة لأنها أهم، وسئل شيخنا العلامة ابن باز رحمه الله

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب ما يقول بعد التكبير ١/٢٥٩ (٧١١)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة ١/٤١٩ (٥٩٨)، وهذا لفظه.

(٢) فتح الباري ٢/٢٣٠.

(٣) فتح القدير ١/٢٨٩.

(٤) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز ١١/١٣٥.

تعالى: إذا دَخَلْتُ فِي الصَّلَاةِ قُبَيْلَ الرُّكُوعِ بِقَلِيلٍ، فَهَلْ أَسْرَعُ فِي قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ أَوْ أَقْرَأُ دُعَاءَ
الاسْتِفْتَاخِ؟ وإذا رَكَعَ الإمامُ قَبْلَ إِمْتَامِ الْفَاتِحَةِ فَمَاذَا أَفْعَلُ؟ فأجاب-رحمه الله-: قراءةُ الاستفتاحِ سُنَّةٌ
وقراءةُ الفاتحةِ فَرَضٌ عَلَى الْمَأْمُومِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِذَا خَشِيتُ أَنْ تَفُوتَ
الْفَاتِحَةَ فَايْتَمِرْ بِهَا، وَمَتَى رَكَعَ الْإِمَامُ قَبْلَ أَنْ تُكْمِلَهَا فَارْكَعْ مَعَهُ وَيَسْقُطُ عَنْكَ بِاقِيهَا؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
«إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا» الحديثُ متفقٌ
عليه. اهـ^(١)

الفائدة الثالثة: الاستفتاحُ سُنَّةٌ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ وَالنَّافِلَةِ، وَصَلَاةِ الْعِيدِ وَالاسْتِسْقَاءِ
وَالكُسُوفِ وَغَيْرِهَا، حَتَّى فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَالتَّرَاوِيحِ يُسَنُّ لَهُ أَنْ يَسْتَفْتِحَ فِي كُلِّ تَسْلِيمَةٍ، وَيُسْتَتْنِي مِنْ
ذَلِكَ صَلَاةُ الْجِنَازَةِ؛ فَالْأَوْلَى فِيهَا عَدَمُ الاسْتِفْتَاخِ، قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
صِفَةِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ: أَمَّا الاسْتِفْتَاخُ فَلَا بَأْسَ بِفِعْلِهِ وَلَا بَأْسَ بِتَرْكِهِ، وَتَرْكُهُ أَفْضَلُ أَخْذًا مِنْ قَوْلِ
النَّبِيِّ ﷺ: «أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ» الحديثُ. اهـ^(٢)

(١) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز ١١/١٣٦.

(٢) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز ١٣/٦٨، وقال النووي في المجموع شرح المهذب ٣/٢٦٤: فيه وجهان: أحدهما عند الأصحاب لا يشرع
فيها دعاء الاستفتاح لأنها مبنية على الاختصار. اهـ ملخصاً.

رَجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ

٧٧- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنَ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَخْرُجْنَ مِنْهَا، وَإِنْ رِيحٌ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحٌ لِيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الرجال الذين في أيديهم سيئات كأذنان البقر هم من يتولى ضرب الناس بغير حق من أعوان الظلمة وغيرهم، قال النووي رحمه الله تعالى: هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان، وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين (٢). اهـ والمقصود من ذكرهم في هذا الحديث: التحذير من ظلم الناس بضرهم بغير حق.

الفائدة الثانية: معنى: «ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات»: قال بعض العلماء -رحمهم الله تعالى-: كاسيات من نعم الله عاريات من شكرها، لم يقمن بطاعة الله، ولم يتزككن المعاصي والسيئات مع إنعام الله عليهن بالمال وغيره، وقال بعض العلماء -رحمهم الله تعالى-: كاسيات كسوة لا تسترهن إمارتتها أو لقصرها، فلا يحصل بها المقصود، ولهذا قال: «عاريات»، لأن الكسوة التي عليهن لم تستر عوراتهن. و«مائلات» يعني: عن العقبة والاستقامة، أي: عندهن معاصي وسيئات كاللأبي يتعاطين الفاحشة، أو يقصرن في أداء الفرائض من الصلوات وغيرها. و«مميلات» يعني: مميلات لغيرهن، أي: يدعين إلى الشر والفساد، فهن بأفعالهن وأقوالهن يملن غيرهن إلى الفساد والمعاصي، ويتعاطين الفواحش لضعف إيمانهن، وقيل: مائلات في مشيتهن، يتبخترن بقصد الفتنة والإغراء، مميلات لقلوب الرجال، والمقصود من هذا الحديث: التحذير من أنواع الفساد من الرجال والنساء. (٣)

الفائدة الثالثة: معنى قوله ﷺ: «رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة»: أنهن يعظمن رؤوسهن بما يجعلن عليها من شعر ولقائف وغير ذلك، حتى تكون مثل أسنمة البخت المائلة، والبخت نوع

(١) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ٣/١٦٨٠ (٢١٢٨).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١١٠.

(٣) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/١١٠، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز ٦/٣٧٩-٣٨٠.

مِنَ الْإِبِلِ لَهَا سَنَامَانِ، بَيْنَهُمَا شَيْءٌ مِنَ الْأُنْحَافِ وَالْمِيلَانِ، هَذَا مَائِلٌ إِلَى جِهَةٍ وَهَذَا مَائِلٌ إِلَى جِهَةٍ، فَهَوْلَاءِ النَّسْوَةِ لَمَّا عَظَّمْنَ رُءُوسَهُنَّ بِمَا جَعَلْنَ عَلَيْهَا أَشْبَهْنَ هَذِهِ الْأَسِنَّةَ، وَهَذَا الْفِعْلُ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِنَّ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّهْدِيدِ بِأَنَّهُنَّ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّحْنَةِ الدَّائِمَةِ: جَمْعُ الْمَرْأَةِ شَعْرَهَا فِي أَعْلَى رَأْسِهَا لَا يَجُوزُ. اهـ وفيها أيضًا: وكذا جَمْعُ الْمَرْأَةِ شَعْرَهَا أَوْ لُقْمُهُ حَوْلَ رَأْسِهَا حَتَّى يَصِيرَ كَعِمَامَةِ الرَّجُلِ؛ لَا يَجُوزُ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّشْبُهِ بِالرِّجَالِ. اهـ^(١) وقوله ﷺ في حَقِّهِنَّ: «لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا» وَعِيدٌ شَدِيدٌ يُوجِبُ تَحْرِيمَ هَذَا الْفِعْلِ وَالتَّحذِيرَ مِنْهُ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ كُفْرُهُنَّ وَلَا خُلُودُهُنَّ فِي النَّارِ كَسَائِرِ الْمَعَاصِي - إِذَا مِتْنَ عَلَى الْإِسْلَامِ - بَلْ هُنَّ وَغَيْرُهُنَّ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي كُلُّهُمُ مُتَوَعَّدُونَ بِالنَّارِ عَلَى مَعَاصِيهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، إِنْ شَاءَ سُبْحَانَهُ عَفَا عَنْهُمْ وَعَفَرَ لَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ.^(٢)

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٧/ ١٥٣.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ١١٠، ومجموع فتاوى ومقالات ابن باز ٦/ ٣٨٠-٣٨١.

صِفَةُ الوُضُوءِ

٧٨- عن حُمُرَانَ مولى عُمَرَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، أَنَّهُ رَأَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه دَعَا بِوُضُوءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِيَّائِهِ فَعَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدَخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوُضُوءِ، ثُمَّ تَمَضَّمَصَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْشَرَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: مِنْ فُرُوضِ الْوُضُوءِ الَّتِي لَا يَصِحُّ الْوُضُوءُ بِدُونِهَا: غَسْلُ الْوَجْهِ كَامِلًا مِنْ مَنَابِتِ شَعْرِ الرَّأْسِ الْمُعْتَادِ إِلَى مَا انْحَدَرَ مِنَ اللَّحْيَيْنِ طَوْلًا، وَمِنَ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ عَرْضًا، وَلَا بُدَّ مِنْ اسْتِيعَابِ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمِنْهُ الْمَضْمَضَةُ وَالاسْتِنْشَاقُ، فَلَا يَجُوزُ تَرْكُ بَعْضِ الْوَجْهِ، مِثْلُ: مَا بَيْنَ اللَّحْيَةِ إِلَى الْأُذُنِ، أَوْ تَرْكُ الْاسْتِنْشَاقِ وَالْاِكْتِفَاءِ بِمَجَرَّدِ وَضْعِ الْمَاءِ عَلَى الْأَنْفِ دُونَ اسْتِنْشَاقِهِ بِالنَّفْسِ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي حَدِّ الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِغَسْلِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) (٢).

الفائدة الثانية: غَسْلُ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مِنْ فُرُوضِ الْوُضُوءِ الَّتِي لَا يَصِحُّ الْوُضُوءُ بِدُونِهَا، وَالْوَاجِبُ اسْتِيعَابُ غَسْلِهِمَا مِنْ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ إِلَى نِهَآيَةِ الْمِرْفَقِ، فَالْمِرْفَقُ دَاخِلٌ فِي الْغَسْلِ، وَجِبُّ الْحَذَرِ مِنْ تَرْكِ غَسْلِهِ؛ لِأَنَّ الْوُضُوءَ لَا يَصِحُّ بِدُونِهِ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَسْتَوْعِبُ غَسْلَهُ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَعَنْ نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُجَمِرِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَتَوَضَّأُ، فَعَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَعَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَتَوَضَّأُ. رواه مسلم. (٣)

(١) روا البخاري في كتاب الوضوء، باب المضمضة في الوضوء ١/٧٢ (١٦٢)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله ١/٢٠٤ (٢٢٦).

(٢) سورة المائدة آية ٦.

(٣) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ١/٢١٦ (٢٤٦).

الفائدة الثالثة: قوله في وصف الوضوء: **ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ**، فيه دلالة على أن الرأس يُمسح مرة واحدة، وهذا هو الصحيح من قولي أهل العلم -رحمهم الله تعالى-، وهو قول الجمهور، قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: **وجمهور العلماء يقول بمسح الرأس مسحة واحدة موعبة كاملة لا يزيد عليها إلا الشافعي فإنه قال: من توضأ ثلاثاً مسح رأسه ثلاثاً. اهـ^(١)**، وظاهر عامة أحاديث صفة الوضوء المسح مرة واحدة، وما ورد أنه ﷺ مسح رأسه ثلاثاً فعير صحيح، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: **والصحيح أنه ﷺ لم يكرر مسح رأسه، بل كان إذا كثر غسل الأعضاء أفرد مسح الرأس، هكذا جاء عنه صريحاً، ولم يصح عنه ﷺ بخلافه ألبتة، بل ما عدا هذا إما صحيح غير صريح، وإما صريح غير صحيح. اهـ^(٢)**

(١) الاستذكار ١/١٢٩، وانظر قول الشافعي في الأم ١/٢٦.

(٢) زاد المعاد ١/١٩٣.

مشروعية السَّوَاكِ

٧٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ عَلَى النَّاسِ- لِأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ». متفق عليه، ولفظ مسلم: «عند كل صلاة»^(١).
يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: السَّوَاكُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، وقد حثَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة، حتى إنَّه قال يوماً لأصحابه رضي الله عنهم: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السَّوَاكِ». رواه البخاري^(٢)، وذلك لِشِدَّةِ اهْتِمَامِهِ بِهِ صلى الله عليه وسلم، فَالسَّوَاكُ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَيَزِدَادُ تَأَكُّدُهُ فِي مَوَاضِعٍ مِنْهَا^(٣): مَا نَبَّهَ إِلَيْهِ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «عند كل صلاة»، ويدخل في هذا كُلُّ صَلَاةٍ فَرِيضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ صَلَاةً ذَاتَ تَسْلِيمَاتٍ، كَالرَّائِحِ وَالضُّحَى وَأَرْبَعِ رَكَعَاتِ سُنَّةِ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ وَالتَّهَجُّدِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ اسْتَحَبَّ أَنْ يَسْتَاكَ لِكُلِّ رَكْعَتَيْنِ، لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»، أَوْ «مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ». اهـ^(٤)

الفائدة الثانية: مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَزِدَادُ فِيهَا تَأَكُّدُ مَشْرُوعِيَّةِ السَّوَاكِ: عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ». رواه الشافعي وأحمد^(٥)، وَمَعَ هَذَا الْحَدِيثِ فَأَكْثَرَ النَّاسِ يَتْرُكُ السَّوَاكَ عِنْدَ الْوُضُوءِ، وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- فِي مَحَلِّ السَّوَاكِ عِنْدَ الْوُضُوءِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عِنْدَ الْمَضْمَضَةِ، وَقَالَ آخَرُونَ: قَبْلَ بَدَايَةِ الْوُضُوءِ، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى السُّنَّةِ؛ لِمَا ثَبَّتَ مِنْ تَسْوِكِهِ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ ابْتِدَاءِ الْوُضُوءِ فِي أَكْثَرِ مِنْ حَدِيثٍ مِنْهَا: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم «قَامَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَتَسَوَّكَ، وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى». متفق عليه، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ مُخْتَصِراً، وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ

(١) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة ٣٠٣/١ (٨٤٧)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب السواك ٢٢٠/١ (٢٥٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة ٣٠٣/١ (٨٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) وبعض الفقهاء يقول: السواك سنة، ويتأكد في مواضع، والصحيح ما ذكرته؛ لكثرة الأحاديث الآمرة به على الإطلاق، والله أعلم.

(٤) المجموع ٣٣٩/١.

(٥) رواه الشافعي في الأم ٢٣/١، وأحمد ٤٦٠/٢، وعلقه البخاري مجزوماً به في كتاب الصوم، باب السواك الرطب واليابس للصائم ٦٨٢/٢ قيل الحديث رقم (١٨٣٢)، والنسائي في الكبرى ١٩٦/٢ - ١٩٨ (٣٠٣٢) وما بعده، وابن الجارود في المنتقى ٢٧/١ (٦٣)، وصححه ابن خزيمة ٧٣/١ (١٤٠)، وابن حبان ٣٩٩/٤ (١٥٣١)، قال السيوطي في الدر المنثور ٢٧٧/١: إسناده حسن اهـ وله طرق وألفاظ، وصححه ابن الصلاح وابن دقيق العيد وابن الملقن (البدر المنير ٦٩٩/١ - ٧١٦ - ٧٢٠)، والنووي في المجموع ٣٣٨/١.

وَاسْتَنَّ». وعند أحمد: «ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ، وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى»، وعند أبي داود: «فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ أَتَى طَهُورَهُ، فَأَخَذَ سِوَاكَهُ فَاسْتَاكَ .. ثُمَّ تَوَضَّأَ، فَأَتَى مُصَلَّاهُ فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ»، وعند الحاكم: «ثُمَّ اسْتَنَّ بِسِوَاكِهِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ دَخَلَ مُصَلَّاهُ»^(١).

الفائدة الثالثة: الصلاة بسواك أفضل من الصلاة بغير سواك؛ وذلك لأمر النبي ﷺ به عند كل صلاة، فدل على أفضلية الصلاة به، وأما الحديث المروي عن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «فَضْلُ الصَّلَاةِ بِالسُّوَاكِ عَلَى الصَّلَاةِ بِغَيْرِ سِوَاكِ سَبْعِينَ ضِعْفًا». فرواه أحمد وغيره^(٢)، وهو حديث ضعيف. ولكن لا ينبغي للمصلي أن يتأخر عن تكبيرة الإحرام عقب الإمام بحجة التسوك؛ لأمر النبي ﷺ بالتكبير عقب تكبير الإمام؛ كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ؛ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا»^(٣)، كما أنه لا يجوز له أن يرمي ما يتفقت من سواكه في بيت الله تعالى.

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران، باب (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار) ٤/١٦٦٥ (٤٢٩٣)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب السواك ١/٢٢١ (٢٥٦)، وأحمد ١/٢٧٥، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب السواك لمن قام من الليل ١/١٥٨ (٥٨)، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٣/٦١٧.

(٢) رواه أحمد ٦/٢٧٢، ومن طريقه: الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١/٢٤٤، والبيهقي ١/٣٨، ورواه ابن خزيمة ١/٧١ (١٣٧) وقال: إن صح الخبر، وهو حديث ضعيف، ضعفه البيهقي والنووي (خلاصة الأحكام ١/٨٨ (١٠٢))، وابن القيم (المنار المنيف ص ١٩ وما بعدها)، والألباني في السلسلة الضعيفة (٣-١٥٠)، وغيرهم، انظر: البدر المنير ٢/١٣ وما بعدها.

(٣) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب إيجاب التكبير وافتتاح الصلاة ١/٢٥٧ (٧٠٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب اتمام المأموم بالإمام ١/٣٠٨ (٤١١).

المسح على الجوربين

٨٠- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأهويت لأنزع خفيته فقال: «دعهما، فإني أدخلتُهُما طاهرتين»، فمسح عليهما. متفق عليه. ^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: المسح على الخفين وفي حكمهما الجوربين رخصة أباحها الله تعالى تيسيراً على عباده المؤمنين، ولا يختص بوقت، فيجوز شتاءً وصيفاً، وحضراً وسفراً، وللمريض والصحيح، وقد دل على إباحته أحاديث كثيرة، قال الإمام أحمد - رحمه الله -: ليس في قلبي من المسح شيء، وفيه أربعون حديثاً عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وما وقفوا ^(٢). اهـ ولم ينكر المسح عليهما إلا بعض أهل البدع كالروافض والخوارج ^(٣). والأفضل لمن كان لا يسا للخفين أو الجوربين المسح عليهما على الصحيح من أقوال أهل العلم - رحمهم الله تعالى -، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: وهل المسح أفضل أم غسل الرجلين أم هما سواء؟ ثلاث روايات عن أحمد، والأفضل في حق كل واحد بحسب قدمه، فلأيس الخف أن يمسح عليه ولا ينزع خفيه اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولمن قدماه مكشوفتان الغسل ولا يتحرى لبسه ليمسح عليه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل قدميه إذا كانتا مكشوفتين، ويمسح إذا كان لابس الخفين. اهـ ^(٤).

الفائدة الثانية: يشترط لجواز المسح على الخفين أو الجوربين أن يلبسهما بعد كمال الطهارة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث: «دعهما فإني أدخلتُهُما طاهرتين»، فمن لبسهما على غير طهارة فمسح عليهما لم يصح وضوؤه، ويجب عليه إعادته إذا طال الفصل، وإن ذكر قريباً خلع الجوربين، وغسل القدمين، وإن صلى بذلك المسح لم تصح صلاته، ووجب عليه إعادتها، قال شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: من لبس الخفين أو الجوربين - وهما الشرايب - على غير

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب إذا أدخل رجله ونها طاهرتان ٨/١ (٢٠٣)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب المسح على الخفين ٢٣٠/١ (٢٧٤).

(٢) المغني ١/١٧٤، وتنقيح تحقيق أحاديث التعليق ١/١٨٤، والمبدع ١/١٣٥، ومراده: الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والآثار الموقوفة على الصحابة رضي الله عنهم من قولهم أو فعلهم.

(٣) ينظر: فتح الباري ١/٣٠٥ - ٣٠٦، وعمدة القاري ٣/٩٧ - ٩٨، وذكر عن بعض العلماء خلاف أكثره لا يثبت.

(٤) الاختيارات الفقهية ص ١٣، والفتاوى الكبرى ٤/٣٩٠، وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -: والمسح على الخفين إذا كان الإنسان قد لبسهما على طهارة أفضل من خلعهما وغسل الرجل. اهـ (مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ١١/١١٢).

طَهَارَةٍ فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا وَصَلَّى نَاسِيًا فَصَلَاتُهُ بَاطِلَةٌ، وَعَلَيْهِ إِعَادَةُ جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي صَلَّى بِهَا بِهَذَا الْمَسْحِ؛ لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ صِحَّةِ الْمَسْحِ عَلَيْهِمَا: لُبْسُهُمَا عَلَى طَهَارَةٍ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَنْ لَبَسَهُمَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا فُحْكِمُهُ حُكْمُ مَنْ صَلَّى عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ. اهـ^(١)

الفائدة الثالثة: الواجب مسحُ أعلى الخُفَّينِ والجُورَبَينِ؛ لحديثِ عليٍّ رضي الله عنه قال: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلَ الخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفِّهِ. رواه أحمد وأبو داود^(٢)، ولم يُبَيِّنْ صِفَةَ الْمَسْحِ عَلَى الخُفَّينِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَقَالَ الْفُقَهَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: يَمْسَحُ أَكْثَرَ ظَاهِرِ قَدَمِ الخُفِّ والجُورَبِ^(٣)، وَالسُّنَّةُ الْبَدِئَةُ بِالْيَمَنِ ثُمَّ الْيُسْرَى لِعُمُومِ الْأَدِلَّةِ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ التِّيَامُنِ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ صلى الله عليه وسلم مَسَحَهُمَا مَعًا^(٤)، قَالَ شَيْخُنَا الْإِمَامُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَسْحِ عَلَى الجُورَبَينِ: السُّنَّةُ أَنْ يَبْدَأَ بِالرَّجْلِ الْيُمْنَى قَبْلَ الْيُسْرَى، كَالغَسْلِ... فَإِذَا مَسَحَ الرَّجْلَ الْيُمْنَى بِالْيَدِ الْيُمْنَى، وَالرَّجْلَ الْيُسْرَى بِالْيَدِ الْيُسْرَى فَلَا بَأْسَ إِذَا بَدَأَ بِالْيُمْنَى، وَإِنْ مَسَحَهُمَا جَمِيعًا بِالْيَدِ الْيُمْنَى أَوْ بِالْيُسْرَى فَلَا حَرَجَ. اهـ^(٥)

(١) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز ٧٤/١٠.

(٢) رواه أحمد ١/٩٥، ١١٤، ١١٦، ١٢٤، ١٤٨، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب كيف المسح ٤٢/١ (١٦٢)، وهذا لفظه، قال ابن حجر في بلوغ المرام ص ٢٤: إسناده حسن، وقال في التلخيص الحبير ١/١٦٠: إسناده صحيح.

(٣) ينظر: الروض المربع (مع حاشية ابن قاسم) ٢٣٤/١.

(٤) روي في هذا حديث عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال، ثم جاء حتى توضأ ومسح على خفيه، ووضع يده اليمنى على خفه الأيمن، ويده اليسرى على خفه الأيسر، ثم مسح أعلاهما مسحة واحدة حتى كأنني أنظر إلى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخفين»، وبه استدلال فقهاؤنا الحنابلة رحمهم الله تعالى على استحباب مسحهما معًا، واختاره العلامة ابن عثيمين-رحمه الله-، ولكنه حديث ضعيف، رواه ابن أبي شيبه في مصنفه ١/١٧٠ (١٩٥٧)، والبيهقي ١/٢٩٢، قال ابن حجر (التلخيص الحبير ١/١٦١، الدراية في تحريج أحاديث الهداية ١/٧٩) والبوصيري (مختصر إتحاف السادة المهرة ١/٢٦٦ (٧٩٧)): إسناده منقطع.

(٥) مجموع فتاوى و مقالات ابن باز ٦٧/١٠ - ٦٨.

الشك في الحدث، وتجنب الوسوسة

٨١- عن عبد الله بن زيد بن عاصم المازني رضي الله عنه أنه شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يُحِيلُ إليه أنه يجد الشيء في الصلاة، قال: «لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً». متفق عليه. ^(١)
يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: إذا كان المسلم في صلاته وشك: هل أحدث أو لم يحدث؟ فإنه لا يلتفت إلى هذا الشك، وإنما العبرة باليقين، والذي من علاماته: سماع صوت خروج الريح، أو شم رائحة ذلك، وهكذا إذا كان على طهارة في غير صلاة وشك في الحدث، فالأصل بقاء الطهارة، فلا يلتفت المسلم للشك الطارئ، وإنما العبرة باليقين، ويؤيد هذا أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا؟ فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً». رواه مسلم. ^(١)

الفائدة الثانية: استنبط العلماء رحمهم الله تعالى من هذا الحديث وأمثاله قاعدة فقهية كبرى، وهي: «اليقين لا يزول بالشك»، ويتفرع عنها مسائل كثيرة لا تنحصر، فمن أمثلتها: من كان محدثاً وشك في الطهارة، فإنه يبقى على حكم الحدث، ومنها: من رأى في سراويله مينا ولا يذكر احتلاماً، وجب عليه إعادة الصلوات من آخر نومة نامها؛ إضافة للاحتلام الحادث إلى أقرب أوقاته؛ لأن الأصل عدمه قبل ذلك الوقت، ومنها: من رأى في يده شيئاً يمنع وصول الماء إلى البشرة، مثل: الصبغ، أو الطامس أو الصمغ، وجب عليه الوضوء بعد إزالته ^(٢)، وإعادة الصلوات من أقرب وقت استعمل فيه هذه الأشياء؛ حيث يُقدَّر وجود هذا الحائل في أقرب زمن ممكن؛ لأن الأصل عدمه قبل ذلك الزمن، ومنها: من شك في إحدى الصلوات: هل صلاها أو لا؟ وجب عليه أن يصليها؛ لأن الصلاة مشكوك في فعلها، والأصل أنه لم يصل، فلا تبراؤ ذمته منها حتى يعلم أنه صلاها، ومنها: من شك في طلاق زوجته لم يعتبر بذلك، والتكاح باقٍ على أصله،

(١) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب لا يتوضأ من الشك حتى يستيقن ١/٦٤ (١٣٧)، ومسلم في كتاب الحيض، باب الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك ١/٢٧٦ (٣٦١).

(٢) رواه مسلم في كتاب الحيض، باب الدليل على أن من تيقن الطهارة ثم شك في الحدث فله أن يصلي بطهارته تلك ١/٢٧٦ (٣٦٢).

(٣) هذا إذا كانت الأعضاء قد جفت، أو مضى زمن طويل عرفا على الوضوء، أما إذا لم تجف الأعضاء أو لم يمض زمن طويل عرفا؛ فإنه يزيل الحائل ويغسل موضعه من العضو الذي كان عليه، ثم يتم الوضوء بغسل ما بعده إلى آخر الوضوء.

ومنها: مَنْ شَكَّ فِي عَدَدِ الطَّلَقَاتِ ثِنْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا بَنَى عَلَى الْيَقِينِ وَهُوَ الْأَقْلُ؛ لِأَنَّ الزَّائِدَ مَشْكُوكٌ فِيهِ، وَالْأَصْلُ عَدَمُ الزِّيَادَةِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ.

القائدة الثالثة: هذا الحديث يَقْطَعُ عَلَى الْمُسْلِمِ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُسْلِمِ الْحَذَرُ مِنْ وَسَاوِسِهِ فِي الطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّ مَنْ انْسَبَقَ وَرَاءَ وَسَاوِسِهِ قَادَهُ إِلَى هَاوِيَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَنْ يَكْتَفِ مِنْهُ بِمُحَرِّدِ الْوَسْوَسَةِ فِي بَعْضِ الْعِبَادَاتِ حَتَّى يَقُودَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَلَا يَتْرُكُهُ حَتَّى يُحَاوِلَ فِيهِ أَنْ يُجْرِجَهُ مِنْ دِينِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)^(١)، وَقَالَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)^(٢)، وَقَالَ: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)^(٣).

(١) سورة البقرة آية ١٦٨.

(٢) سورة النور آية ٢١.

(٣) سورة الحشر آية ١٦.

ما يجزئ عن شكر كل يوم

٨٢- عن أبي ذر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فُكُلٌ تَسْبِيحَةٌ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَجُزْئٌ مِنْ ذَلِكَ رُكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الصُّحَى». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ عَنْ كُلِّ مَفْصِلٍ (٢) مِنْ مَفَاصِلِهِ صَدَقَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ شُكْرًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَثَبَّتْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ سِتِّينَ وَثَلَاثَ مِئَةِ مَفْصِلٍ، وَأَنَّهُ إِذَا أَدَّى شُكْرَهَا يَوْمِيًّا رَحَّزَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ النَّارِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثَ مِئَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمَدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً، أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ؛ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِئَةِ السُّلَامَى؛ فَإِنَّهُ يَمْشِي (وَفِي رِوَايَةٍ: يُمْسِي) يَوْمِيًّا وَقَدْ رَحَّزَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ». رواه مسلم. (٣)

الفائدة الثانية: بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ سَعَةَ مَفْهُومِ الصَّدَقَةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهَا لَا تَقْتَصِرُ عَلَى مُجَرَّدِ دَفْعِ أَلْمَالِ لِلْمُحْتَاجِينَ؛ بَلْ إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، وَكُلَّ مَعْرُوفٍ تَعْمَلُهُ لِنَفْسِكَ، أَوْ تُقَدِّمُهُ لِلنَّاسِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ، وَقَدْ جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِدَّةُ أَحَادِيثٍ تُؤَكِّدُ هَذَا الْمَفْهُومَ الشَّرْعِيَّ، مِنْهَا: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى ذَاتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَدَى

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان ٤٩٨/١ (٧٢٠)، و«السُّلَامَى» بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المَفْصِلُ.

(٢) مَفْصِلٌ بفتح الميم وكسر الصاد على وزن مَسْجِدٍ وَمَجْلِسٍ (المصباح المنير ص ١٨١، ومختار الصحاح ص ٢١١)، قَالَ فِي الْقَامُوسِ (فصل): هُوَ كُلُّ مَلْتَقَى عَظْمَيْنِ مِنَ الْجَسَدِ. هـ، وَأَمَّا الْمَفْصَلُ بِكسر الميم وفتح الصاد فَمَقَالٌ فِي الْمَصْبُوحِ وَالْمَخْتَارِ: الْمَوْفَصَلُ وَزَانٌ مَقُودٌ (وَفِي الْمَخْتَارِ: بِوزن مبضع): اللسان.

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة، تَابِ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ ٦٩٨/٢ (١٠٠٧).

عن الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». متفق عليه^(١)، بَلَّ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ مَا هُوَ أَبْلَعُ مِنْ هَذَا، ففي حديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ». متفق عليه^(٢)، وَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي عِبَارَةٍ جَامِعَةٍ فَقَالَ ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ». رواه البخاري ومسلم.^(٣)

الفائدة الثالثة: صلاة الضُّحَى ركعتان، وهي سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ تَبَّتِ الْأَحَادِيثُ بِمَشْرُوعِيَّتِهَا وَفَضْلِهَا، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ ﷺ بِهَا وَيُحْتَنِمُ عَلَيْهَا، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلَاثٍ: صِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرُكْعَتِي الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنْتَمَّ. متفق عليه^(٤)، وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثٍ لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عَشْتُ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَأَنْ لَا أَنْتَمَّ حَتَّى أُوتِرَ. رواه مسلم^(٥)، وَصَلَاةِ الضُّحَى بُحْرَةٌ عَنْ شُكْرِ كُلِّ يَوْمٍ إِذَا هِيَ صَلُّيتُ فِيهِ، فَلذَلِكَ حَرِيٌّ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ، وَيُحَافِظَ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى كُلِّ يَوْمٍ؛ لِيَكُونَ بِذَلِكَ مُؤَدِّيًا لَشُكْرِ يَوْمِهِ.

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالزَّكَاةِ وَتَحَوَّه ١٠٩٠/٣ (٢٨٢٧)، ومسلم في كتاب الزَّكَاةِ، باب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ ٦٩٩/٢ (١٠٠٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب كُلِّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ٢٢٤١/٥ (٥٦٧٦)، ومسلم في كتاب الزَّكَاةِ، باب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ ٦٩٩/٢ (١٠٠٨).

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب كُلِّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ٢٢٤١/٥ (٥٦٧٥) من حديث جابر ﷺ، ومسلم في كتاب الزَّكَاةِ، باب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ ٦٩٧/٢ (١٠٠٥) من حديث حذيفة ﷺ.

(٤) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب صِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ ٦٩٩/٢ (١٨٨٠)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضُّحَى ٤٩٩/١ (٧٢١).

(٥) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضُّحَى ٤٩٩/١ (٧٢٢).

حكم الطلاق، والفرق بين طلاق السنة والبدعة

٨٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ [تطبيقاً واحدة]، فسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن ذلك، (فتعيط رسول الله ﷺ ثم) قال رسول الله ﷺ: «مُرُهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أُمْسِكَ بَعْدُ، وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ، فِتْلِكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ». متفق عليه^(١)، وفي رواية لمسلم: قال ابن عمر: وَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ)^(٢)، وفي لفظ لمسلم: «مُرُهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا أَوْ حَامِلًا»^(٣).
يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الطلاق من غير سبب وجيه مكروه شرعاً، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فيقول: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فيقول: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قال: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدَهُمْ فيقول: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قال: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ». رواه مسلم^(٤)، وإذا كان الشيطان يفرح بالتفريق بين الزوجين فإن الطلاق من غير سبب داخل في اتباع خطوات الشيطان المنهي عنها، وذلك لما ينتج من مفاسد عديدة على كل واحد من الزوجين والأسرتين والأولاد، قال ابن القيم رحمه الله: الشيطان وحزبه قد أغروا بإيقاع الطلاق، والتفريق بين المرء وزوجه^(٥). وقال: أَحَبُّ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الشَّيْطَانِ أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ حَبِيبِهِ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى تَعْوِضِ كُلِّ مِنْهُمَا عَنِ

(١) رواه البخاري في أول كتاب الطلاق وقول الله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ) (٢٠١١/٥) (٤٩٥٣)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ١٠٩٣/٢ (١٤٧١)، والزيادة الأولى بين قوسين من رواية لهما: البخاري في كتاب الطلاق، باب ويُعَوِّدُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي الْعِدَّةِ ٢٠٤١/٥ (٥٠٢٢)، ومسلم في الموضوع السابق ١٠٩٣/٢، والزيادة الثانية: (فَتَعَيَّطَ) من رواية لمسلم في الموضوع السابق ١٠٩٥/٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها ١٠٩٨/٢ (١٤٧١)، وقوله: (في قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ)، هذه قراءة ثابتة عن النبي ﷺ، ونقلت عن جماعة من الصحابة منهم: أَبِي بَنِي كَعْبٍ وَعُثْمَانُ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرٌ وَعَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ (فتح الباري ٣٤٦/٩)، ولكنها ليست في المصحف الإمام، فهي من القراءات التي تركها الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا المصحف الإمام، قال ابن عبد البر (الاستنكار ٢٠٤/٦): وأما قراءة ابن مسعود والجمهور فعلى ما في مصحف عثمان، وقال النووي (شرح صحيح مسلم ٦٩/١٠): وهي شاذة لا تثبت قرآناً بالإجماع.

(٣) رواه مسلم في الموضوع السابق ١٠٩٥/٢ (١٤٧١).

(٤) رواه مسلم في كتاب صفة المنافقين، باب تحريش الشيطان وتغيبه سراياه ليفتنه الناس وأن مع كل إنسان قريناً ٢١٦٧/٤ (٢٨١٣)، قال النووي: قوله: «نَعَمْ أَنْتَ» هو بكسر النون وإسكان العين، وهي: «نَعَمْ» الموضوع للمدح، فيمدحه لإعجاب به بصنعه، وبلوغه الغاية التي أرادها.

(٥) إغاثة اللهفان ٢٨١/١.

صَاحِبِهِ بِالْحَرَامِ ... فهذا الوصالُ لَمَّا كَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ كَانَ أَبْغَضَ شَيْءٍ إِلَى عَدُوِّ اللَّهِ. اهـ^(١)

الفائدة الثانية: الطلاقُ هو الحُلُّ النَّهَائِيُّ إِذَا اسْتَعَصَى عَلَى الرَّوْجَيْنِ حَلُّ الْمَشْكَلاتِ الْأَسْرِيَّةِ، وَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي عَلَى الرَّوْجِ التَّعَجُّلُ بِإِقَاعِهِ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ إِنْسَانٍ إِلَّا وَلَهُ مَحَاسِنٌ وَمَعَايِبٌ، وَالرَّوْجَةُ إِنْ وُجِدَتْ فِيهَا بَعْضُ الْعُيُوبِ فَلَهَا مَحَاسِنٌ كَثِيرَةٌ يَنْبَغِي النَّظْرُ فِيهَا قَبْلَ التَّعَجُّلِ بِإِقَاعِ الطَّلَاقِ، وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ الرِّجَالَ إِلَى ذَلِكَ لِكَيْ يَمْلِكُوا أَنْفُسَهُمْ فَلَا يَتَعَجَّلُوا فِي أَمْرِ لَهْمٌ فِيهِ أَنَاةٌ وَسَعَةٌ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»، أَوْ قَالَ: «غَيْرُهُ». رواه مسلم^(٢)، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقَرْكَ: الْبُغْضُ، وَهَذَا نَهْيٌ، أَيُّ: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُبْغِضَهَا لِأَنَّهُ إِنْ وَجِدَ فِيهَا خُلُقًا يُكْرَهُ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا مَرْضِيًّا؛ بَأَنَّ تَكُونَ شَرِيسَةً الْخُلُقِ لِكِنَّهَا دَيْئَةً، أَوْ جَمِيلَةً، أَوْ عَفِيفَةً، أَوْ رَفِيقَةً بِهِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.^(٣)

الفائدة الثالثة: تَعَيَّضَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ عُمَرَ لَمَّا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَهِيَ حَائِضٌ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ طَّلَاقِ الْمَرْأَةِ حَالَ حَيْضِهَا، وَهَذَا مَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ: (الطَّلَاقُ الْبِدْعِيُّ)، ثُمَّ بَيَّنَّ النَّبِيُّ ﷺ الْحَالَ الَّتِي يَجُوزُ فِيهَا الطَّلَاقُ، وَهِيَ: أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ طَاهِرًا غَيْرَ حَائِضٍ، وَأَنْ لَا يَكُونَ قَدْ جَامَعَهَا فِي هَذَا الطُّهْرِ، وَهَذَا قَالَ ﷺ: «قَبْلَ أَنْ يَمَسَّ» يَعْنِي: قَبْلَ الْجَمَاعِ، كَمَا هُوَ مُصْرَحٌ بِهِ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى فِي الصَّحِيحِينَ: «مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجَامِعَهَا»^(٤)، كَمَا بَيَّنَّ أَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِي تَحْرِيمِ طَّلَاقِ الْمَرْأَةِ حَالَ حَيْضِهَا، أَوْ فِي طَهْرِ جَامِعَهَا فِيهِ فَوَائِدٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: أَنْ تَسْتَقْبِلَ الْمَرْأَةُ عِدَّتَهَا فَلَا تَطُولُ عَلَيْهَا، وَتَضْيِيقُ الْوَقْتِ الَّذِي يَجُوزُ فِيهِ الطَّلَاقُ لِيَتَرْتَّبَ الرَّوْجُ قَبْلَ إِقَاعِهِ.

(١) روضة المحبين ص ٢١٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء ١٠٩١/٢ (١٤٦٩).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٨/١٠ الحديث رقم: (١٤٦٩) بتصريف يسير.

(٤) رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب ويُغولُهنَّ أحنقُ بردهنَّ في العدة ٢٠٤١/٥ (٥٠٢٢)، ومسلم في كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض يغير رضاهما ١٠٩٤/٢ (١٤٧١).

فضل قراءة القرآن الكريم

٨٤- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ [وَيَعْمَلُ بِهِ] كَمَثَلِ الْأُتْرَاجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ». متفق عليه. ^(١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: القرآن الكريم أعظم كتاب أنزله الله تعالى، وهو كلام الله تعالى الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، والمؤمن يعرف للقرآن الكريم منزلته العظيمة، فيحرص على تلاوته والعمل به، ويعظمه أشد التعظيم، ولا ينبغي للمؤمن أن يهجر كتاب الله تعالى فلا يقرؤه إلا سيراً، وقد وصف النبي ﷺ المؤمن الذي يقرأ القرآن الكريم ويعمل به بالأثرجة التي ريحها طيب وطعمها طيب، وذلك لأن القرآن الكريم به حياة القلوب، فمن قرأه وعمل به، طاب ظاهراً وباطناً، كان ابن مسعود رضي الله عنه يكثر من قراءة القرآن ويقل الصوم، فقيل له: إنك تُقل الصوم؟ قال: إني إذا صُمتُ ضعفتُ عن القرآن، وقراءة القرآن أحب إلي. ^(٢)

الفائدة الثانية: ينبغي للمسلم أن يكون له ورد يومي من كتاب الله تعالى، يُحافظ عليه، ويقضيه إذا فاتته، وإن تيسر له أن يحتم القرآن كل أسبوع أو كل شهر أو كل أربعين يوماً فهذا حسن، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «اقرأ القرآن في أربعين». رواه أبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني ^(٣)، قال إسحاق بن راهوية: ولا تحب

(١) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام ٢٠٧٠/٥ (٥١١١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن ٥٤٩/١ (٧٩٧)، والزيادة بين قوسين من رواية أخرى للبخاري في كتاب فضائل القرآن، باب إثم من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به ١٩٢٨/٤ (٤٧٧٢).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣٥٤/٢.

(٣) رواه أبو داود في أبواب قراءة القرآن، باب تحريم القرآن ٥٦/٢ (١٣٩٥)، والترمذي في كتاب القراءات عن رسول الله ﷺ، باب (١٣) ١٩٧/٥ (٢٩٤٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى (٨٠٦٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥١٢)، وصحيح الجامع (١١٥٤).

لِلرَّجُلِ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ وَمَنْ يَفْرَأَ الْقُرْآنَ لِهَذَا الْحَدِيثِ^(١)، يَعْنِي أَنَّ أَكْثَرَ مُدَّةٍ لِحُتْمِ الْقُرْآنِ عِنْدَ بَعْضِ السَّلَفِ هِيَ هَذِهِ الْمُدَّةُ.

الفائدة الثالثة: لقد اشتكى الرسول ﷺ مِنْ هَجْرِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ تَعَالَى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا)^(٢)، وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ-رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّ هَجْرَ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ خَمْسَةٌ: أَحَدُهَا: هَجْرُ قِرَائَتِهِ وَسَمَاعِهِ وَالْإِيمَانَ بِهِ وَالْإِصْغَاءَ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: هَجْرُ الْعَمَلِ بِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَإِنْ قَرَأَهُ وَأَمَّنَ بِهِ، وَالثَّالِثُ: هَجْرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ لَا يَفِيدُ فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَصْلُحُ فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ، وَالرَّابِعُ: هَجْرُ تَدْبِيرِهِ وَتَفْهِيمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ مِنْهُ، وَالخَامِسُ: هَجْرُ الاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ مِنْ جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ فَيَطْلُبُ شِفَاءَ دَائِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَهْجُرُ التَّدَاوِي بِهِ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ نَحْوًا مِنْ هَذَا: وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْمَهْجَرِ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ.^(٣)

(١) سنن الترمذي ١٩٧/٥، والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي ص ٨٤.

(٢) سورة الفرقان آية ٣٠.

(٣) الفوائد لابن القيم ص ٨٢ بتصرف يسير، وانظر: تفسير ابن كثير ٣/٣١٨ تفسير الآية ٣٠ من سورة الفرقان.

الآية الكبرى للرسول ﷺ

٨٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لَوْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقِيلَ لَهُ: لَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا رَأَهُ قَوْمُهُ فِي زَمَانِهِ فَأَمَّنَ مِنْ آمَنَ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ؛ مِثْلُ الْعَصَا وَغَيْرِهَا مِنَ الْمُعْجَزَاتِ، وَأُعْطِيَ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مُعْجَزَةً إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ. وَلَكِنْ لَوْ قِيلَ الْيَوْمَ لِلنَّصْرَانِيِّ أَوْ الْيَهُودِيِّ: أَيْنَ مُعْجَزَةُ نَبِيِّكُمْ؟ نَرِيدُ أَنْ نَرَاهَا! لَكَانَ جَوَابُهُمْ: لَيْسَ لَكُمْ إِلَّا السَّمَاعُ بِهَا وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَرَوْهَا، لَقَدْ انْتَهَتْ الْمُعْجَزَةُ مِنْذُ آلَافِ السِّنِينَ، وَلَكِنْ لَوْ سُئِلَ الْمُسْلِمُ الْيَوْمَ عَنْ مُعْجَزَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ الْكُبْرَى، لِأَمْكَنَهُ أَنْ يَقُولَ: هَذِهِ هِيَ مُعْجَزَتُهُ، وَهَذِهِ هِيَ آيَتُهُ الْكُبْرَى، إِنَّهَا: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، الَّذِي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (٢).

الفائدة الثانية: مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَاهِرَةِ فِي بَقَاءِ مُعْجَزَةِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبَيَّنَّتْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حُجَّةً عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكُبْرَى يَوْمًا يُؤْمِنُ بِسَبَبِهَا الْمَلَائِكَةُ مِنَ النَّاسِ، عَلَى تَنْوَعٍ عَظِيمٍ فِي إِعْجَازِ هَذَا الْكِتَابِ الْكَرِيمِ، فَمِنْهُ: إِعْجَازُهُ اللَّغَوِيُّ الْبَيِّنِيُّ الَّذِي لَا يَزَالُ أَتَرُهُ ظَاهِرًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَإِنْ كَانَ قَدْ قَلَّ إِذْرَاكُ النَّاسِ لِذَلِكَ بِسَبَبِ الْبُعْدِ عَنِ الْمَصَاحَةِ، وَمِنْهُ: إِعْجَازُهُ فِي الشِّفَاءِ مِنْ عُمُومِ الْأَمْرَاضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (٣)، وَمِنْهُ: إِعْجَازُهُ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ قَضَايَا كَثِيرَةٍ لَّمْ يَكْتَسِفْهَا النَّاسُ إِلَّا فِي هَذَا الْعَصْرِ بَعْدَ تَطَوُّرِ الْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْاِكْتِشَافَاتِ الْحَدِيثَةِ، وَهَذَا مُصَدِّقُ قَوْلِهِ ﷺ: «وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ١٩٠/٥ (٤٦٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الليل بيلته ١/١٣٤ (١٥٢).

(٢) سورة فصلت آية ٤٢.

(٣) سورة الإسراء آية ٨٢.

الفائدة الثالثة: إِنَّ الْعُودَةَ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَتَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا فِيهِ عِزُّ أُمَّتِنَا وَرَفْعُهَا، أَفْرَادًا وَجَمَاعَاتٍ، وَإِنْ الْبُعْدُ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِيهِ الدُّلُّ لِلْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ، فَنَحْنُ قَوْمٌ أَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا ابْتَغَيْنَا الْعِزَّةَ بغيره أَدَلَّنَا اللَّهُ، رَوَى عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ رضي الله عنه: أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ - وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ - فَقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنُ أَبِي. قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبِي؟ قَالَ: مَوْلَى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ: فَاسْتَخَلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى! قَالَ: إِنَّهُ قَارِئُ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْقُرْآنِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ». رواه مسلم. ^(١)

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ١/٥٥٩ (٨١٧).

الخلود في الجنة وبعض نعيمها

٨٦- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)». وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا. رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: لَمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَبْأَسُونَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ الْخُلُودَ، وَمَنَعَ الْمَوْتَ عَنْهُمْ فَذَبَحَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فِي مَشْهَدٍ مَهُولٍ يَحْضُرُهُ كُلُّ النَّاسِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَأَصْحَابُ النَّارِ، وَبَعْدَ ذَبْحِ الْمَوْتِ مَاذَا يَحْدُثُ لِلْفَرِيقَيْنِ؟ يَحْدُثُنَا عَنْ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ آخَرَ يَرَوِيهِ ابْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَيَقُولُ ﷺ: «فَيَزْدَادُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلَ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ». رواه البخاري. (٢)

الفائدة الثانية: جَنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا السَّعَادَةُ الْكَامِلَةُ وَالْأَنْسُ التَّامُّ الَّذِي لَا يُنْعَصُهُ شَيْءٌ أَبَدًا، فَكَمَا أَرَاخَهُمُ اللَّهُ مِنْ هَمِّ الْمَوْتِ فَذَبَحَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَمَا عَادُوا يُفَكِّرُونَ فِيهِ، فَقَدْ أَرَاخَهُمْ أَيْضًا مِنْ هَمِّ الْأَوْسَاحِ وَالْقَادُورَاتِ، وَهَمِّ إِخْرَاجِهَا وَالتَّنْظُفِ مِنْهَا، ففِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: «لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَحِطُونَ، وَلَا يَتَفُؤُونَ، (أَنِيْتُهُمْ وَ) أَمْشَاطُهُمْ (مِنَ) الذَّهَبِ (وَالْفِضَّةِ)، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ». رواه مسلم. (٣)، وَفِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالُوا فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ». رواه مسلم. (٤)

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النَّارِ يَدْخُلُهَا الْجَنَّةُ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الصُّعْفَاءُ ٤/٢١٨٨ (٢٨٤٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٥/٢٣٩٧ (٦١٨٢).

(٣) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أَوَّلُ نُصْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَصِفَاتُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ ٤/٢١٧٨ (٢٨٣٤)، والزيادة بين قوسين من بعض رواياته في الموضع نفسه، والشرح: العرق.

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا نُكْرَةً وَعَشِيًّا ٤/٢١٨٠ (٢٨٣٥).

الفائدة الثالثة: الله تعالى هو القادر على كل شيء، وقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام أن الموت يُصوّر بصورة كبشٍ أملح (وهو الأبيض، أو الذي يخالطُ بياضه بعضَ السواد) ^(١)، فيعرفه الناسُ كلُّهم، أهل الجنة وأهل النار، كما أخبر أنه يُدبِحُ أمامهم، وكلُّ هذا حقٌّ على حقيقته، نُثبتُه كما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وآمنَ به سلفُ الأمة عليهم السلام دونَ تأويلٍ أو تحريفٍ للأخبار عن ظاهرها.

(١) ينظر: مشارق الأنوار للقاظمي عياض ٣٧٩/١، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٥٤/٤.

دعاء الركوب والسفر

٨٧- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ «كَبَّرَ ثَلَاثًا»، ثُمَّ قَالَ: «(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَائِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ فَاهْتَنُّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: دلَّ الحديث على مشروعية دعاء الركوب، وهو التكبير وقراءة الآية المذكورة، والصحيح أَنَّ دُعَاءَ الرُّكُوبِ وهو قراءة الآية لا يَحْتَصُّ بِالسَّفَرِ، بل هو مشروعٌ في كُلِّ رُكُوبٍ لِكُلِّ مَرْكُوبٍ لِلتَّنَقُّلِ مِنْ إِبِلٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ دَرَّاجَةٍ أَوْ سَيَّارَةٍ أَوْ طَيَّارَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَسِوَاهُ أَكَانَ ذَلِكَ فِي الْحَضَرِ أَمْ فِي السَّفَرِ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَى هَذَا كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، قَالَ الْقَيْرَوَانِيُّ -رحمه الله- في الرِّسَالَةِ: وَيَقُولُ الرَّكَّابُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الدَّابَّةِ: (سبحان الذي...) الخ (٢)، قَالَ زُرُقُوقٌ -رحمه الله- في شَرْحِهِ: فَأَمَّا قَوْلُهُ: (ويقول الراكب) يَعْنِي مُسَافِرًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وجعل لكم من الفلك... الآية. اهـ (٣) وَقَالَ الْمَلَّا عَلِي الْقَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ (المِرْقَاة) لَمَّا ذَكَرَ الْآيَةَ قَالَ: وَهَذَا الدُّعَاءُ يُسَنُّ عِنْدَ رُكُوبِ أَيِّ دَابَّةٍ كَانَتْ لِسَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ. اهـ (٤) وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَمَّا (سبحان الذي سخر لنا هذا)، فَيَقُولُهُ كُلَّمَا رَكِبَ الدَّابَّةَ، سِوَاهُ فِي السَّفَرِ أَوْ فِي الْحَضَرِ. اهـ (٥)

الفائدة الثانية: دلَّ الحديث على مشروعية الدعاء عند السفر بهذا الدعاء الثابت عن النبي ﷺ، وهو يدلُّ على أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ دَائِمَ الصَّلَاةِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سَفَرِهِ وَإِقَامَتِهِ،

(١) رواه مسلم في كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٢/ ٩٧٨ (١٣٤٢)، ومعنى: (سخر): دَلَّلَ وَدَيَّرَ، وَ(مقرنين): قَادِرِينَ. وَ«وعثاء السفر»: مَشَقَّتُهُ، وَ«كَآبَةُ الْمُنْظَرِ»: النَّظَرُ إِلَى مَا يَسُوءُ الْإِنْسَانَ.

(٢) الرِّسَالَةُ لِلْقَيْرَوَانِيِّ (مع شرح زروق ٢/ ٤٠٥).

(٣) شرح زروق على الرسالة ٢/ ٤٠٦.

(٤) مِرْقَاة الْمِفَاتِيحِ شَرْحُ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ ٥/ ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) لِقَاءُ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ ٢/ ٢٩٨ (س ٩٩٦)، وَانظُرْ أَيْضًا رِسَالَتَهُ فِي حَوَادِثِ السِّيَارَاتِ (مجلة العدل . العدد الثالث . رجب ١٤٢٠ ص ١٧)، وَشَرْحُ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ لَهُ ٣/ ١٣٨.

مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ ظُرُوفِهِ وَأَحْوَالِهِ، فَمَنْ كَانَ حَافِظًا لَهُ قَرَأَهُ مِنْ حِفْظِهِ مُسْتَشْعِرًا مَعَانِيَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْهُ قَرَأَهُ مِنْ وَرَقَةٍ أَوْ كِتَابٍ، أَوْ اسْتَمَعَ إِلَى مَنْ يَحْفَظُهُ وَرَدَّدَ مَعَهُ الدُّعَاءَ، وَلَا يَكْتَفِي بِمُجَرَّدِ اسْتِمَاعِهِ لَهُ.

الفائدة الثالثة: كَمَا يُسَنُّ هَذَا الدُّعَاءُ فِي بَدَايَةِ السَّفَرِ فَإِنَّهُ يُسَنُّ أَيْضًا فِي بَدَايَةِ رُجُوعِهِ مِنْ سَفَرِهِ، فَإِذَا سَرَعَ فِي الْعُودَةِ إِلَى بَلَدِهِ قَالَهُ، وَزَادَ عَلَيْهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزِيدُهَا فِي رُجُوعِهِ، وَهِيَ: «آيُونَ تَأْتُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ».

الرِّبَا مِنْ كِبَائِرِ الذَّنُوبِ

٨٨- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ، وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ»، وقال: «هُمُ سَوَاءٌ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: أكل الربا من أكبر الكبائر، وهو من السبع الموبقات التي أمر النبي ﷺ باجتنابها (٢)، وقد توعد الله تعالى آكله بالمحاربة فقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) (٣)، قال الإمام مالك -رحمه الله-: إني تصفحت كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ فلم أر شيئاً أشد من الربا؛ لأن الله أذن فيه بالحرب. (٤) ومن أظهر صور الربا المحرم: ربا الديون، وذلك بأن يكون في ذمة شخص لاخر دين من قرض أو ثمن سلعة مؤجل أو غيرهما، فإذا حل الأجل طالبه صاحب الدين بالقضاء، فإذا لم يمكنه السداد قال له: إما أن تقضي الدين الذي عليك، وإما أن أزيد لك في المدة، وتزيد لي في الدراهم، وهذا من صور ربا الجاهلية التي نزل القرآن الكريم بتحريمه، وقد اجتمع فيها ربا الفضل وriba النسئة.

الفائدة الثانية: يدخل في عموم الربا المحرم ربا القروض، بأن يقرض شخص آخر مبلغاً من المال كمنة ألف ريال مثلاً على أن يردها المقرض بعد سنة مثلاً مئة وعشرين ألفاً، ومنه: الإيداع في البنوك الربوية بفائدة، وذلك بأن يودع الشخص أو المؤسسة في المصرف مالاً؛ على أن يعطيه عليه فائدة سنوية، ولربما سموه استثماراً أو غيره وما هو إلا الربا، ومنه: الاقتراض من المصارف بفائدة؛ وذلك بأن يقترض الشخص أو المؤسسة أو الشركة من المصرف مبلغاً من المال؛ على أن يرده بزيادة فائدة، ولربما سموه تمويلاً وما هو إلا الربا، ومنه: أن يعجل له المصرف بعض رواتبه على أن يقتصها المصرف منه شهرياً بزيادة محددة، ومنه: البطاقات الائتمانية التي تتضمن فترة

(١) رواه مسلم في كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله ١٢١٩/٣ (١٥٩٨).

(٢) ينظر الحديث في: صحيح البخاري في كتاب المحاربن، باب رمي المحصنات ٢٥١٥/٦ (٦٤٦٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها ١/٩٢ (٨٩).

(٣) سورة البقرة الآيتان ٢٧٨-٢٧٩.

(٤) تفسير القرطبي ٣/٣٦٤، ومعني المحتاج ٢/٢٢٢، وتفسير البحر المحيط ٢/٣٤٩.

سَدَادٍ مُّحَدَّدَةٍ، مَنْ تَأَخَّرَ فِيهَا عَنِ السَّدَادِ لَزِمَهُ دَفْعُ نِسْبَةِ مُعَيَّنَةٍ عَلَى التَّأخِيرِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ بِطَاقَاتِ افْتِرَاضِ رِبَوِيَّةٍ، فَالوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْحَذَرُ مِنْ هَذِهِ التَّعَامُلَاتِ الْمُحَرَّمَةِ بِأَيِّ وَجْهِ؛ أَحَدًا وَعَطَاءً، وَتَنْظِيمًا لَهَا وَمِشَارَكَةً فِيهَا، وَدَعَايَةً لَهَا؛ لِكَيْ لَا يَدْخُلَ فِي حَرْبِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَعْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

الفائدة الثالثة: دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ عَمَلٍ فِيهِ مَعُونَةٌ عَلَى الرِّبَا، ككِتَابَةِ عَقْدِ الرِّبَا، أَوْ الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْعَمَلَ فِي ذَلِكَ كَبِيرَةٌ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ مَلْعُونٌ صَاحِبُهُ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا: الْعَمَلُ فِي الْبِنُوكِ الرِّبَوِيَّةِ إِذَا كَانَ يَبَاشِرُ أَيَّ عَقْدٍ يَتَضَمَّنُ أَيَّ مُعَامَلَةٍ رِبَوِيَّةٍ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْعَمَلُ لَا عَلاَقَةَ لَهُ مَبَاشَرَةً بِالْمُعَامَلَاتِ الرِّبَوِيَّةِ فَقَدْ اِخْتَلَفَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ الْمُعَاصِرُونَ، وَالصَّحِيحُ تَحْرِيمُ ذَلِكَ أَيْضًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِفْرَارِ بِالرِّبَا، وَالتَّعَاوُنِ مَعَ آكِلِيهِ، جَاءَ فِي فَتَاوَى اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ: لَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَعْمَلَ فِي بَنْكٍ تَعَامَلُهُ بِالرِّبَا، وَلَوْ كَانَ الْعَمَلُ الَّذِي يَتَوَلَّاهُ ذَلِكَ الْمُسْلِمُ فِي الْبَنْكِ غَيْرَ رِبَوِيٍّ؛ لِتَوْفِيرِهِ لِمَوْظَفِيهِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي الرِّبَوِيَّاتِ مَا يَحْتَاجُونَهُ وَيَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الرِّبَوِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (١). اهـ (٢)

(١) سورة المائدة آية ٢.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٤١/١٥.

وجوب أداء الديون

٨٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ». رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يشمل الحديث كلَّ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِأَيِّ طَرِيقٍ مُبَاحٍ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَخْذُ الْمَالِ عَنْ طَرِيقِ الْقَرْضِ أَوْ الْعَارِيَةِ أَوْ الْوَدِيعَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَمَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى آدَاءِ حَقِّ النَّاسِ أَعَانَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَائِهِ، وَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بَأَنْ يُيسَّرَ لَهُ الْآدَاءُ، أَوْ يُعْطَفَ أَصْحَابَ الْحَقِّ عَلَيْهِ لِتَحْلِيلِهِ مِنَ الدَّيْنِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَفِي الْآخِرَةِ إِنْ لَمْ يَتَيَسَّرَ لَهُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا بَأَنْ يُرْضِيَ عَنْهُ خُصُومُهُ فَلَا يَأْخُذُوا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَلَا تُرَدُّ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُمْ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: **إِمَّا بِأَنْ يَفْتَحَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا بِأَنْ يَتَكَفَّلَ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ** (٢). اهـ وَقَالَ الْعَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **يَسَّرَ لَهُ مَا يُؤَدِّيهِ مِنْ فَضْلِهِ لِحُسْنِ نِيَّتِهِ** (٣). اهـ وَإِمَّا يَسَّرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ لِصِدْقِ نِيَّتِهِ وَقُوَّةِ عَزَمَتِهِ عَلَى آدَاءِ حُقُوقِ النَّاسِ.

الفائدة الثانية: فِي الْحَدِيثِ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لِلَّذِينَ يَأْخُذُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ وَلَيْسَ فِي نِيَّتِهِمْ آدَاؤُهَا، وَقَدْ تَهَدَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِتْلَافِ، وَمَعْنَى هَذَا: **أَنََّّهُمْ بِإِسَاءَتِهِمْ لِلنَّاسِ يُعَادُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَيُبَارِزُونَهُ، وَبِذَلِكَ يَسْتَحِقُونَ الْعُقُوبَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِإِتْلَافِهِمْ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الْإِتْلَافِ، فَقَدْ يُتْلَفُ اللَّهُ نُفُوسَهُمْ، أَوْ يُتْلَفُ أَمْوَالُهُمْ، أَوْ يَنْزَعُ الْبَرَكَاتِ مِنْهَا، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: «أَتْلَفَهُ اللَّهُ» ظَاهِرُهُ أَنَّ الْإِتْلَافَ يَقَعُ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ فِي مَعَاشِهِ أَوْ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ عَلَمٌ مِنَ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ لِمَا نَرَاهُ بِالْمُشَاهَدَةِ مِمَّنْ يَتَعَاطَى شَيْئًا مِنَ الْأُمُورِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِتْلَافِ عَذَابُ الْآخِرَةِ** (٤). وَقَالَ الْعَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: **«أَتْلَفَهُ اللَّهُ» يَعْنِي يُذْهِبُهُ مِنْ يَدِهِ فَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ لِسُوءِ نِيَّتِهِ، وَيَبْقَى عَلَيْهِ الدَّيْنُ وَيُعَاقَبُ بِهِ**

(١) رواه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها ٨٤١/٢ (٢٢٥٧).

(٢) فتح الباري ٥/٥٤.

(٣) عمدة القاري ١٢/٢٢٦.

(٤) فتح الباري ٥/٥٤.

اتباع الأوامر واجتناب النواهي

٩٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ [كثُرًا] سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: دلَّ الحديث على أنه يتعين على المسلم الاعتناء بما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبذل وسعه في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهى عنه، فتكون همته مصروفة بالكليَّة إلى ذلك لا إلى غيره، وهكذا كان حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة، علمًا وعملاً، فأما إن كانت الهمة مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع وقد لا تقع، فإنَّ هذا مما يُنبط عن الجدِّ في مُتَابَعَةِ الأَمْرِ واجتناب النَّهْيِ، ومَنْ امْتَنَلَ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَصَلَتْ لَهُ النِّجَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَاشْتَغَلَ بِخَوَاطِرِهِ وَمَا يَسْتَحْسِنُهُ وَقَعَ فِيهَا حَدَرٌ مِنْهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مِنْ حَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ هَلَكُوا بِكَثْرَةِ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَعَدَمِ انْقِيَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لِرُسُلِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. (٢)

الفائدة الثانية: يجب على المسلم اجتناب كل ما نهى الله تعالى عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الأصل في النهي ما لم يوجد ما يصرِّفه عن التَّحْرِيمِ إلى غيره، وكان السَّلَفُ رحمهم الله يحرصون على اجتناب جميع المناهي من غير تفصيل، سواء ما كان منها محرماً وما كان مكروهاً، ولم يُقَيِّدِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم اجتناب المنهيات بالاستطاعة كما قيَّد فعل المأمورات، وذلك لأنَّ التَّركَ لا يَحْتَاجُ إِلَى قُدْرَةٍ وَلَا نِيَّةٍ لِأَنَّهُ جَارٍ عَلَى الْأَصْلِ وَهُوَ عَدَمُ الْفِعْلِ، وَقَدْ جَمَعَ هَذَا الْحَدِيثُ مَعَانِي تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ تَقْوَى اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ وَلَا بِقِيَامِ اللَّيْلِ وَالتَّخْلِيْطِ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، فَمَنْ رُزِقَ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرًا؛ فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ. (٣)

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦/٢٦٥٨ (٦٨٥٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العشر ٢/٩٧٥ (١٣٣٧)، والزيادة بين قوسين من رواية مسلم.

(٢) ينظر: جامع العلوم والحكم ١/٩١-٩٢، ٩٥ (شرح الحديث التاسع).

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٥/٢٣٠، وتهذيب الكمال ٢١/٤٤٥.

الفائدة الثالثة: أَخَذَ الْعُلَمَاءُ رَحْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ الْفِقْهِ، وَهِيَ: «الْمَيْسُورُ لَا يَسْقُطُ بِالْمَعْسُورِ»، وَمَعْنَاهَا: أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ فِعْلِ بَعْضِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ بِسَبَبِ عَجْزِهِ عَنْ غَيْرِهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ صَوْرٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: مَنْ اسْتَطَاعَ غَسْلَ بَعْضِ أَعْضَائِهِ فِي الْوُضُوءِ وَعَجَزَ عَنْ بَعْضِهَا؛ وَجَبَ عَلَيْهِ غَسْلُ مَا أَمَكَّنَهُ مِنْهَا، وَمَنْ اسْتَطَاعَ الْقِيَامَ فِي الصَّلَاةِ وَعَجَزَ عَنِ الرُّكُوعِ؛ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ، وَأَوْمَأَ بِالرُّكُوعِ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ صِيَامَ بَعْضِ أَيَّامِ رَمَضَانَ وَعَجَزَ عَنْ بَعْضِهَا؛ وَجَبَ عَلَيْهِ صِيَامُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَيُفْطِرُ مَا يَعْجُزُ عَنْهُ، وَيَقْضِيهِ وَفَتْ الْاسْتِطَاعَةَ، وَهَكَذَا.

الاستماع لقراءة القرآن الكريم

٩١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «اقرأ عليّ»، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «فإني أحب أن أسمع من غيري»، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ^(١)، قال: «أمسك»، فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه. ^(٢)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: دلّ الحديث على استحباب الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم، وقد قال الله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ^(٣)، فأحسن الاستماع وأجله الاستماع إلى كلام الله تعالى، قال العلماء-رحمهم الله تعالى-: واستماعه يقع على ثلاث مراتب: استماع مجرد، وأعلى منه استماع تفهم وتدبر، وأعلى ذلك استماع الإجابة والقبول، وهو متضمن لما قبله ^(٤). فينبغي للمسلم الحرص على الاستماع لكلام الله تعالى فهو حياة قلبه، يفعل ذلك مباشرة مع إخوانه وأصحابه، أو عن طريق أجهزة التسجيل أو الأجهزة الإلكترونية بأنواعها، ولا يكن هم المسلم مصروفًا لاستماع الباطل من الكذب والغيبة وآلات اللهو؛ منصرفًا عن الاستماع لكلام الباري جلّ في علاه.

الفائدة الثانية: ينبغي عند قراءة القرآن الكريم قراءته بالتدبر والتفهم لمعانيه ومقاصده، قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن) ^(٥)، وقال سبحانه: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) ^(٦)، يقول الحسن بن علي رضي الله عنهما: إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار. ^(٧) وقال قتادة رحمه الله: قوله: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) إذا

(١) سورة النساء آية ٤١.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ٤/١٦٧٣ (٤٣٠٦)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر ١/٥٥١ (٨٠٠).

(٣) سورة الأعراف آية ٢٠٤.

(٤) ينظر مدارج السالكين ١/٤٨٣.

(٥) سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية ٢٤.

(٦) سورة القمر آية ١٧.

(٧) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٢٨.

والله يجدون في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبره القوم فعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك. (١) وقال خالد بن معدان: ما من آدمي إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه وما يصلحُه من معيشته، وعينان في قلبه لدينه وما وعد الله من الغيب، فإذا أراد الله بعد خيراً أبصرت عيناه اللتان في قلبه، وإذا أراد الله به غير ذلك طمس عليهما، فذلك قوله: (أم على قلوب أقفالها). (٢)

الفائدة الثالثة: مما يعين على تدبر القرآن الكريم أن يقرأه المسلم يتمهل وتفهم، ولا يقرأه على عجل كما يقرأ شعراً أو يطالع صحيفة، بل يجمع همته عند القراءة حتى يستحضر قلبه، ويستدير ذموعه، ويتأمل ما في الكتاب الكريم من آيات الرجاء والرحمة، والتهديد والوعيد، وأحوال الماضين، وغير ذلك؛ فإن القرآن كتاب هداية، وكيف يهتدي به من لا يفهمه؟! وإذا أشكل عليه شيء رجع لتفسيره بسؤال أهل العلم، أو بالرجوع إلى التفاسير المعتمدة؛ كتفسير ابن كثير، والبغوي، والسعدي، وغيرها.

(١) رواه الطبري في تفسيره ٥٧/٢٦.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٥٧/٢٦.

العمل الذي يستمر بعد الموت

٩٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أن أبقى لهم بعد موتهم من الأعمال ما لا ينقطع ثوابه عنهم، فهو يُدبر عليهم من الحسنات ما يُخفف عنهم العقوبة، أو يرفع لهم الدرجات، فحريٌّ بالمؤمن أن يكون حريصاً على هذه الأعمال التي لا تنقطع بعد الموت؛ إذ هو أحوج ما يكون بعد موته إليها، وقد جاء في حديث آخر ما يُبين ما في هذا الحديث؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومُصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجره، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته». رواه ابن ماجه. (٢)

الفائدة الثانية: في الحديث حثٌّ على أعمالٍ لا تنقطع بعد الموت فمنها: الصدقة الجارية، ويدخل فيها الأوقاف بأنواعها، سواء أكانت مُستقلة أم مُشتركة، كما يدخل في ذلك حفرة الآبار، وكل ما يمكن أن ينتفع به الناس من الخير، ومنها: نشر العلم النافع، وهو علم الشريعة المأخوذ من الكتاب والسنة، وكل علم ينتفع به المسلمون إذا صدقت فيه النية، وسواء أكان نشره عن طريق تعليم التلاميذ وغيرهم، أم عن طريق تأليف الكتب النافعة ونشرها، ويدخل في ذلك: نشر العلم بالمال، مثل: طبع الكتب النافعة أو توزيعها على المنتفعين بها، والإسهام في افتتاح دور العلم وخلق تحفيظ القرآن الكريم، فحريٌّ بالمؤمن ألا يحرم نفسه المشاركة بهذا الفضل العظيم الذي لا ينقطع.

الفائدة الثالثة: في الحديث فضل الولد الصالح، حيث إنه من عمل والده إذا أحسن تربيته، ففيه الحث على تربية الأولاد الصالحين؛ فهم الذين ينفعون والديهم في الآخرة، ومن نفعهم أنهم يدعون لهم، وهذا الدعاء منه ما هو مُباشِر من قبلهم، ومنه ما هو بالتسبب إذا أحسنوا إلى الناس دعوا

(١) رواه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ٣/١٢٥٥ (١٦٣١).

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة، باب ثواب مُعلّم الناس الخير ١/٨٨ (٢٤٢)، وصححه ابن خزيمة ٤/١٢١ (٢٤٩٠)، ولم يذكر المصحف، قال المنذري (الترغيب والترهيب ١/٥٥، و ١/١٢١): رواه ابن ماجه بإسناد حسن. اهـ. وقال ابن الملقن (البلد المنير ٧/١٠٢): إسناده حسن.

لوالديهم، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فيقول: يَا رَبِّ أُنِّي لِي هَذِهِ؟ فيقول: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ». رواه أحمد^(١)، والحديث يشمل جميع الأولاد الصالحين؛ فيدخل فيهم البنات وأولاد البنين، كما إنَّ في الحديث حثًّا للأولاد على الدعاء لوالديهم.

(١) رواه أحمد ٥٠٩/٢، وابن أبي شيبة ٥٨/٣ (١٢٠٨١) وعنه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب بر الوالدين ١٢٠٧/٢ (٣٦٦٠)، قال العراقي (المعني عن حمل الأسفار ١/٢٧٠ (١٠٣٧)): إسناده حسن، وقال ابن كثير (في تفسيره ٤/٢٤٣)، والبوصيري في مصباح الزجاجة ٩٨/٤ (٢٧٢١): إسناده صحيح، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٩٨).

صلاة المريض

٩٣- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ». رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: القيام في صلاة الفريضة ركن بإجماع العلماء، فمن صَلَّى جَالِسًا مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ لَمْ تَصِحَّ صَلَاتُهُ، قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله: القيام في الفرائض فرض بالإجماع، لا تصح الصلاة من القادر عليه إلا به. اهـ (٢) وأما صلاة النافلة فتصح من الجالس بإجماع العلماء وإن لم يكن له عُدْرٌ، قال في مُغْنِي الْمُحْتَاج: وللقادِرِ عَلَى الْقِيَامِ التَّنْفُلُ قَاعِدًا بِالْإِجْمَاعِ، سِوَاءِ الرُّوَاتِبِ وَغَيْرِهَا؛ لِأَنَّ النَّفْلَ يَكْثُرُ فَاشْتِرَاطُ الْقِيَامِ فِيهِ يُؤَدِّي إِلَى الْحَرَجِ أَوْ التَّرْكِ. اهـ (٣) وَلَكِنْ مَنْ صَلَّى جَالِسًا مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ صَلَاةِ الْقَائِمِ، لِحَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ صَلَّى قَاعِدًا فَلَهُ نِصْفُ أَجْرِ الْقَائِمِ». رواه البخاري. (٤)

الفائدة الثانية: دلَّ الحديثُ عَلَى سُقُوطِ الْقِيَامِ فِي الْفَرْضِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهُ، وَالْعَجْزُ نَوْعَانِ: الْأَوَّلُ: عَجْزٌ حَقِيقِيٌّ: كَالْمَرِيضِ الْعَاجِزِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ إِذَا عَجَزَ حَقِيقَةً وَمَنْ يُطِيقُ الْقِيَامَ أَنَّهُ يُصَلِّي جَالِسًا، قَالَ ابْنُ قَدَامَةَ رحمه الله: أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ مَنْ لَا يَطِيقُ الْقِيَامَ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ جَالِسًا. اهـ (٥)، وَفِي حُكْمِهِ الْمُرْبُوطِ الَّذِي يَعْجُزُ عَنِ الْقِيَامِ، وَالْمَطْمُورِ، وَغَيْرِهِمْ، وَالثَّانِي: عَجْزٌ حُكْمِيٌّ: كَالْمَرِيضِ الْقَادِرِ عَلَى الْقِيَامِ وَلَكِنَّهُ يَتَضَرَّرُ بِهِ، إِمَّا بِأَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِ مَشَقَّةٌ ظَاهِرَةٌ، أَوْ يَتَأَخَّرُ شِفَاؤُهُ، أَوْ يَزْدَادَ مَرَضُهُ بِسَبَبِ الْقِيَامِ، وَكَالْحَائِفِ مِنْ عَدُوٍّ أَوْ نَحْوِهِ إِذَا صَلَّى قَائِمًا، وَكُلُّ هَذِهِ الصُّورِ دَاخِلَةٌ فِي عَمُومِ الْحَدِيثِ.

الفائدة الثالثة: الحديثُ أَصْلٌ فِي صِفَةِ صَلَاةِ الْمَرِيضِ وَنَحْوِهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَرِيضَ وَنَحْوَهُ يَتَدَرَّجُ مِنَ الْحَالِ الَّتِي يَعْجُزُ عَنْهَا إِلَى الْحَالِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَقَدْ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَرَاتِبٍ:

(١) رواه البخاري في أبواب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعدا ٣٧٦/١ (١٠٦٦).

(٢) المجموع ٢٥٨/٣ دار الفكر.

(٣) مغني المحتاج ١٥٥/١.

(٤) رواه البخاري في أبواب تقصير الصلاة، باب صلاة القاعد ٣٧٥/١ (١٠٦٤).

(٥) المغني ٤٤٣/١، وفتح الباري ١٧٣/٢.

الأولى: الصلاة قائماً، فيجب على المريض -كغيره- أن يُصَلِّي قائماً إذا كان قادراً عليه ولا يتصرَّر به، فليس كلُّ مريضٍ يجوزُ له الصَّلَاةُ قاعداً، **والثانية:** الصلاةُ قاعداً عند العجزِ عن القيامِ أو التَّصَرُّرِ بِهِ، **والثالثة:** الصلاةُ على جنبه، قال العلماءُ رحمهم الله: يُؤمَّرُ المَرِيضُ ونحوه بفعلٍ ما يقدرُ عليه، وَيَسْقُطُ عَنْهُ ما يَعجزُ عَنْهُ؛ إمَّا إلى بَدَلٍ كالجلوسِ بدلاً عن القيامِ، وإمَّا إلى غيرِ بَدَلٍ كما لو عجزَ عن استقبالِ القبلةِ، صَلَّى على حَسَبِ حالِهِ لأَيِّ جِهَةٍ. قال العلماءُ-رحمهم الله-: ويصحُّ أن يجلسَ على أيِّ وضعٍ كانَ لإطلاقِ هذا الحديثِ، والأفضلُ أن يجلسَ في موضعِ القيامِ مُتَرَبِّعاً لأنه فِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ، قالت عائشةُ رضي الله عنها: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي مُتَرَبِّعاً». رواه النَّسَائِيُّ وصحَّحه ابنُ خزيمةَ. (١)

(١) رواه النسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب كيف صلاة القاعدا ٣/٢٢٤ (١٦٦١)، وصححه ابن خزيمة ٢/٨٩ (٩٧٨)، و٢/٢٣٦ (١٢٣٨)، وقال الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١/٣٨٩: صحيح على شرط الشيخين، قال الألباني في التعليق على ابن خزيمة رقم (٩٧٨): صحيح.

قُرْبُ الْجَنَّةِ

٩٤ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: يُبَيِّنُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن الجنة قريبة المَنَالِ، سَهْلَةُ الطَّرِيقِ، والوصول إليها ليس بالأمر العسير على مَنْ يَسْرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، وكذا النار أعادَنَا اللهُ مِنْهَا، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ -رحمه الله تعالى-: فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة، وأن المعصية مقربة إلى النار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء. اهـ وقال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية. اهـ وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمها الله بها، ولا السيئة التي يسخط عليه بها. اهـ. (٢)

الفائدة الثانية: سلعة الله الجنة ممنها بين أيدينا، لا يعجز عن أحد، ولا يردنا عنه أحد أبداً، ولا يراحمنا عليه أحد، ولكنها سلعة ثمينة لا تمنح لكل أحد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من خاف أذبح، ومن أذبح بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة». رواه الترمذي (٣)، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ممنها كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي!»، قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي». رواه البخاري (٤)، فأين المشترون وهذه سلعة الله تُعرض علينا ليل نهار؟ (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتولَّ يعذبهُ عذاباً أليماً) (٥).

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك ٢٣٨٠/٥ (٦١٢٣).

(٢) فتح الباري ٣٢١/١١، والنقول السابقة منه، ونحوه قال العيني في عمدة القاري ٧٨/٢٣.

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٨) ٦٣٣/٤ (٢٤٥٠). وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ٣٤٣/٤، والألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٣٥)، قال النووي: «أذبح»: بإسكان الدال، ومعناه سار من أول الليل، والمراد التشمير في الطاعة (رياض الصالحين ص ٩٤).

(٤) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٦٥٥/٦ (٦٨٥١).

(٥) سورة الفتح آية ١٧.

الفائدة الثالثة: الجَنَّةُ سَهْلَةٌ قَرِيبَةٌ الْمَنَالِ، وَلَكِنَّهَا تَحْتَاجُ مِنْ طُلَّابِهَا أَنْ يُؤَثِّرُوهَا عَلَى الدُّنْيَا، بَأَنْ تَكُونَ هِيَ هَمُّهُمْ، وَيَكُونَ سَعْيُهُمْ لَهَا، لَا أَنْ تَكُونَ الدُّنْيَا الْقَانِيَةَ هِيَ هَمُّهُمْ، وَسَعْيُهُمْ لَهَا؛ فَهَذَا مِنْ انْعِكَاسِ الْمَوَازِينِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)^(١)، يَعْنِي: أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ الدَّائِمَةَ هِيَ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ، أَمَّا الدُّنْيَا فَمُجَرَّدٌ لَهْوٌ وَلَعِبٌ، وَحِينَمَا تَكُونُ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ هِيَ الْمَطْلَبُ يَكُونُ شِعَارُ الْمُؤْمِنِ وَمِنْهَا حَيَاتِهِ: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)^(٢)، وَلَا يَكُونُ الْحَالُ عَكْسَ هَذَا، رَوَى أَبُو مُوسَى رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَاتَّزُوا مَا بَقِيَ عَلَى مَا يَفْنَى». رواه أحمد.^(٣)

(١) سورة العنكبوت آية ٦٤.

(٢) سورة القصص آية ٧٧.

(٣) رواه أحمد ٤/٤١٢، وصححه ابن حبان ٢/٤٨٦ (٧٠٩)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ٤/٣٤٣ وقال: علی شرط الشیخین. اهـ وإسناده منقطع، وله شاهد من حدیث أبي هريرة في الزهد لابن أبي عاصم ١/٧٨ (١٦١) حسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٨٧)، وذكره في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٤٧) وقال: صحيح لغيره.

المساجدُ أفضلُ البقاع

٩٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحبُّ البلادِ إلى الله مساجدُها، وأبغضُ البلادِ إلى الله أسواقُها». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: المساجدُ بيوتُ الله تعالى، كما قال الله تعالى: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) (٢)، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله» (٣)، قال العلماء-رحمهم الله تعالى-: وهذه الإضافة إضافةٌ تشريفيةٌ. والمساجدُ أفضلُ البقاعِ في الأرضِ، قال النووي-رحمه الله-: «أحبُّ البلادِ إلى الله مساجدُها»؛ لأنَّها بيوتُ الطاعاتِ، وأساسُها على التقوى، «وأبغضُ البلادِ إلى الله أسواقُها»؛ لأنَّها محلُّ الغشِّ والخداعِ والرِّبا، والأيمانِ الكاذبةِ، وإخلافِ الوعدِ، والإعراضِ عن ذكرِ الله، وغير ذلك مما في معناه... والمساجدُ محلُّ نُزولِ الرَّحمةِ، والأسواقُ ضدُّها. (٤)

الفائدة الثانية: لما للمساجدِ مِنَ المنزلةِ الكبيرةِ كان مِنَ الواجبِ تعظيمُها والعنايةُ بها على عُمومِ المسلمين، وأوَّلُ ذلك إقامتُها في مواضعِهِم التي يسكنونها ويجمعون فيها، فقد بادَرَ النبي صلى الله عليه وسلم ببناءِ مسجدهِ أوَّلَ ما هاجرَ إلى المدينةِ، وحَثَّ على بنائها وبَيَّنَّ فضلُه بقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ». متفق عليه (٥)، وقال تعالى: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (٦)، ويدخلُ في الآيةِ عمارتُها الماديَّةُ، وعمارَتُها المعنويَّةُ بالصلاةِ والذكرِ وقراءةِ القرآنِ، ونحو ذلك مِنَ الطاعاتِ، ومِنْ ذلك العنايةُ بِنظافتِها، ونَحْبُ تَقْذِيرِها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «الْبُرَاقُ فِي الْمَسْجِدِ حَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا». متفق عليه (٧)، وحيثُ لا يُمكنُ الدَفْنُ فَالْكَفَّارَةُ إِزَالَةُ ذَلِكَ

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل للمساجد ٤٦٤/١ (٦٧١).

(٢) سورة الجن آية ١٨.

(٣) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٢٠٧٤/٤ (٢٦٩٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧١/٥.

(٥) رواه البخاري في أبواب المساجد، باب من بنى مسجدًا ١٧٢/١ (٤٣٩)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل بناء المساجد والحث عليها ٣٧٨/١ (٥٣٣).

(٦) سورة التوبة آية ١٨.

(٧) رواه البخاري في أبواب المساجد، باب كفارة البُرَاقِ في المسجد ١٦١/١ (٤٠٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ٣٩٠/١ (٥٥٢).

الْقَدْر؛ كَمَا حَكَ النَّبِيُّ ﷺ الْبُصَاقَ مِنْ جِدَارِ الْمَسْجِدِ^(١)، وَمِنْ تَعْظِيمِ الْمَسَاجِدِ: تَجَنُّبُ التَّشْوِيشِ عَلَى الْمُصَلِّينَ أَوْ الْقَارِئِينَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ، سِوَاءَ أَكَانَ ذَلِكَ بِكَلَامٍ مُعْتَادٍ وَمُحَادَثَةٍ، أَمْ كَانَ يَرْفَعُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ بِحَيْثُ يُؤْذِي مَنْ بِجَانِبِهِ، فَعَنِ الْبَيْهَقِيِّ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ». رواه مالكٌ وأحمد.^(٢)

الفائدة الثالثة: مِنْ تَعْظِيمِ الْمَسْجِدِ أَنْ يُدْخَلَ إِلَيْهِ بِالرَّجْلِ الْيُمْنَى، وَيُقَالُ عِنْدَ الدُّخُولِ، مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي حُمَيْدٍ أَوْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» رواه مسلم^(٣)، وَيُقَالُ أَيْضًا عِنْدَ الدُّخُولِ مَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». رواه أبو داود^(٤)، وَيُقَالُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ - فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ - فَقَالَ: «وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

(١) ينظر: صحيح البخاري في أبواب المساجد، باب حَكَ الْبُرْزَاقَ بِالْيَدِ مِنَ الْمَسْجِدِ ١٥٩/١ (٣٩٧)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التَّهْنِئَةِ عَنِ الْبُصَاقِ فِي الْمَسْجِدِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا ٣٨٨/١ (٥٤٧).

(٢) رواه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب العمل في القراءة ٨٠/١ (١٧٧)، ومن طريقه أحمد ٣٤٤/٤، والنسائي في السنن الكبرى ٣٢/٥ (٨٠٩١)، والبيهقي ١١/٣، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٩٨/٢ (٤٢١٧)، فأرسله، وصححه ابن عبد البر في التمهيد ٣١٩/٢٣، والحافظ ابن حجر كما في المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٦١. ورواه بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الرزاق في مصنفه ٤٩٨/٢ (٤٢١٦)، ومن طريقه أحمد ٩٤/٣، وأبو داود في أبواب قيام الليل، باب فِي رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ ٣٨/٢ (١٣٣٢)، والنسائي في السنن الكبرى ٣٢/٥ (٨٠٩٢)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ٤٥٤/١، والبيهقي ١١/٣، قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه ابن عبد البر في التمهيد ٣١٩/٢٣، والنووي (خلاصة الأحكام ٣٩٣/١، والمجموع ٣٤٧/٣)، والحافظ ابن حجر كما في المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٦١، ورواه أحمد أيضا من حديث ابن عمر نحوه ٣٦/٢، ٦٧، ١٢٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما يقول إذا دخل المسجد ٤٩٤/١ (٧١٣).

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد ١٢٧/١ (٤٦٦)، قال النووي في الأذكار ص ٢٦: حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد. وهذا الذكر الأخير خاص بدخول المسجد، ولا يقال عند الخروج منه؛ لأنه لم يرد أنه ﷺ قاله عند الخروج، ولذلك اقتصر في كشف القناع وأصله على عدّه من أذكار دخول المسجد ولم يعيدها في أذكار الخروج كما فعلا في غيره، والله أعلم.

مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ فَوْقَ مَحَبَّةِ النَّفْسِ

٩٦- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الْآنَ وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ». رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين. اهـ. (٢)، قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (٣)، قال القرطبي رحمه الله: في الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب (٤)، وفي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». (٥)

الفائدة الثانية: من علامات محبة النبي ﷺ: تَمَّتْ رُؤْيَتُهُ بِالْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَالِدِ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَشَدُّ أُمَّتِي لِي حُبًّا: نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ». رواه مسلم (٦)، قال ابن حجر - رحمه الله -: من علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خيّر بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي ﷺ أن لو كانت ممكنة، فإن كان فقدتها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبة المذكورة، ومن لا

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان والندور، باب كيف كانت يموت النبي ﷺ ٦/٢٤٤٥ (٦٢٥٧).

(٢) التحفة العراقية ص ٥٧.

(٣) سورة التوبة آية ٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨/٩٥.

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١/٤١٥ (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والوالد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحب هذه المحبة ١/٦٧ (٤٤).

(٦) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فيمن يود رؤية النبي ﷺ بأهله وماله ٤/٢١٧٨ (٢٨٣٢).

فَلَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَحْضُورًا فِي الْوُجُودِ وَالْفَقْدِ، بَلْ يَأْتِي مِثْلُهُ فِي نُصْرَةِ سُنَّتِهِ، وَالذَّبِّ عَنِ شَرِيعَتِهِ، وَقَمْعِ مُخَالَفَتِهَا، وَيَدْخُلُ فِيهِ بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. اهـ^(١) وَسَأَلَ رَجُلٌ أَسَدَ بْنَ الْفُرَاتِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَأَهْلِيهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَقَالَ لَهُ: أَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَفُتِلَ لِيُقْتَلَ أَكُنْتَ تَفْدِيهِ بِنَفْسِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: وَوَلَدِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: لَا بَأْسَ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فَرَحَّتْهَا عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ^(٢).

الفائدة الثالثة: من علامات محبة النبي ﷺ وهي أيضًا من أسباب زيادة محبته وتنميتها في النفوس: الاقتداء به في سنته في جميع أمورك المشروعة، بل كان بعض السلف يقتدي به في فعل المباحات لما ترسخت عندهم محبته ﷺ، فأين أنت منه ﷺ في توحيدِه لِربِّه جَلَّ وَعَلَا، وَتَوَكُّلِه عليه، واستعانتِه به في أمورِه كُلِّها؟ وأين أنت منه ﷺ في عباداتِك؟ تُصَلِّي كَمَا صَلَّى وَتُحْتَدُّ فِي ذَلِكَ وَتَسْتَشْعِرُ اقْتِدَاءَكَ بِهِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ صَلَاتِكَ، فَتَعْمَلْ كَمَا عَمِلَ، وَفِي نَفَقَتِكَ وَصَدَقَتِكَ، وَفِي صِيَامِكَ، وَفِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِغْفَارِهِ، وَفِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَكَذَلِكَ فِي غَيْرِ الْعِبَادَاتِ الْمَحْضَةِ، كَاللِّبَاسِ وَالرِّبَةِ وَسُنَنِ الْفِطْرَةِ وَالنَّوْمِ وَمُعَامَلَةِ النَّاسِ، وَغَيْرِهَا، وَمِنْ عِلَامَاتِ مَحَبَّتِهِ: مَحَبَّةُ السُّنَّةِ وَالْعَيْرَةِ عَلَيْهَا وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا، وَمِنْهَا: كَثْرَةُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ﷺ، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَمِنْهَا: قِرَاءَةُ سِيرَتِهِ وَأَحَادِيثِهِ، وَإِكْتَارُ الْمَطَالَعَةِ فِيهَا، فَمَنْ لَا يَعْرِفُ عَنْهُ إِلَّا اسْمَهُ كَيْفَ يَزِدَادُ لَهُ مَحَبَّةً؟ وَكَيْفَ يَقْتَدِي بِهِ؟ وَمِنْهَا: مَحَبَّةُ أَصْحَابِهِ ﷺ، وَمَطَالَعَةُ سِيرَتِهِمْ، وَكَيْفَ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ مَعَهُ ﷺ.

(١) فتح الباري ٦٠/١.

(٢) ترتيب المدايك للقاضي عياض ٤٧٥/١ - ٤٧٦.

تَعْظِيمُ الْمَسَاجِدِ وَتَطْهِيرُهَا

٩٧- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يُبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدْرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ. رواه مسلم وأصله في البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الدين، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون هذا ويطبّقونه، ولم يُنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فعلهم ذاته، وإنما أنكر عليهم الوقت والطريقة، بدليل إنكاره عليه بعد ذلك، وتعليمه ولكن برفق، فدلّ على أنّ الداعي إلى الله تعالى ينبغي أن يتحلّى بالرفق فيما يأمر به، وفيما ينهى عنه، ولذلك ثبت في القصة نفسها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: «فإنما بعثتكم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين». رواه البخاري. (٢)

الفائدة الثانية: يجبُ تعظيمُ المساجد، وصيانتها عمّا لا يليقُ بها من التّجاساتِ والأقذارِ الحسّية والمعنوية، ومنها: الكلام السيء واللغو الباطل، ويستحبُّ الاشتغالُ فيها بذكر الله تعالى وقراءة كتابه، وتعلّم العلم وتعليمه، قال الله تعالى: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) (٣)، قال ابن كثير رحمه الله: أي: إسم الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني يتلى كتابه. اهـ (٤) وفي هذا الحديث: «إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وعشيتهم الرحمة، وحففتهم الملائكة، وذكرهم الله

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغمره من التّجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها ٢٣٦/١ (٢٨٥)، وأصله في صحيح البخاري مختصراً في كتاب الوضوء، باب يهريق الماء على البول ٨٩/١ (٢١٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يسرّوا ولا تعسّروا»، وكان يحبّ التّخفيف والتيسر على الناس ٢٢٧/٥ (٥٧٧٧).

(٣) سورة النور آية ٣٦.

(٤) تفسير ابن كثير ٢٩٥/٣.

فِيَمَنْ عِنْدَهُ». رواه مسلم. (١) و يجوز- في المسجد- الكلام القليل في شؤون الدنيا على وجه لا يشغل من حولهم من القراء أو المصلين (٢)؛ لحديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَاةٍ الَّتِي يُصَلِّي فِيهَا الصُّبْحُ أَوْ الْعِدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ». رواه مسلم. (٣)

الفائدة الثالثة: دلَّ الحديث على نجاسة بول الآدمي ووجوب تطهيره، وأن تطهيره يكون بالماء، ولكن لا يدلُّ الحديث على قصر التطهير على الماء دون غيره، والصحيح من قولي أهل العلم أن النجاسة تزول بكلِّ ما أزالها، إذ الغرض زوالها، فإذا زالت بنفسها، أو زالت بأيِّ شيء فقد حصل المقصود، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أمر النبي ﷺ بإزالة النجاسة بالماء في قضايا معينة، ولم يأمر أمراً عاماً بأن تُزال كلُّ نجاسة بالماء، وقد أذن في إزالتها بغير الماء في مواضع منها: الاستجمار بالحجارة، ومنها: قوله في التعلين: «ثم ليدلكهما بالتراب، فإن التراب ههما طهور»... قال: وإذا كان كذلك فالراجح في هذه المسألة أن النجاسة متى زالت بأيِّ وجه كان زال حكمها؛ فإن الحكم إذا ثبت بعلة زال بزوالها، لكن لا يجوز استعمال الأطعمة والأشربة في إزالة النجاسة لغير حاجة؛ لما في ذلك من فساد الأموال، كما لا يجوز الاستنجاء بها. اهـ (٤)

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤ (٢٦٩٩).

(٢) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٢٨٠/٦، ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١٥/١٣.

(٣) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد ٤٦٣/١ (٦٧٠).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٧٤/٢١ بتصرف يسير.

الرُّكُوعُ دُونَ الصَّفِّ

٩٨- عن أبي بكره رضي الله عنه أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ رَاكِعٌ، فَزَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا، وَلَا تُعَدُّ». رواه البخاري. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ الْمَسْجِدَ وَالْإِمَامُ رَاكِعٌ، فَيُكْرَهُ لَهُ أَنْ يَسْتَعْجَلَ فِي مَشْيِهِ لِكَيْ يُدْرِكَ الرُّكُوعَ، كَمَا يُكْرَهُ لَهُ أَنْ يَزْكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ ثُمَّ يَمْشِي رَاكِعًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى الصَّفِّ، وَالسُّنَّةُ لَهُ أَنْ يَمْشِيَ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ، فَإِنْ أَدْرَكَ الرُّكُوعَ رَكَعَ مَعَ إِمَامِهِ، وَإِنْ فَاتَهُ الرُّكُوعَ قَضَى هَذِهِ الرُّكُوعَةَ، وَلِذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَبَا بَكْرَةَ رضي الله عنه عَنِ الرُّكُوعِ دُونَ الصَّفِّ وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُ إِدْرَاكُ الرُّكُوعِ بِإِدْرَاكِ الرُّكُوعِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوَافِقٌ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي النَّهْيِ عَنِ التَّعَجُّلِ لِإِدْرَاكِ الْإِمَامِ حَيْثُ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْإِقَامَةَ فَأَمْسُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَمُّوا». متفق عليه. (٢)

الفائدة الثانية: دَلَّ فِعْلُ أَبِي بَكْرَةَ وَحِرْصُهُ عَلَى إِدْرَاكِ الرُّكُوعِ مَعَ الْإِمَامِ عَلَى أَنَّ الرُّكُوعَةَ تُدْرِكُ بِإِدْرَاكِ الرُّكُوعِ مَعَ الْإِمَامِ، وَإِلَّا لَمَا كَانَ لِحِرْصِهِ هَذَا فَائِدَةٌ، وَكَأَنَّ هَذَا كَانَ مُسْتَقَرًّا عِنْدَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَإِقْرَارُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرَةَ عَلَى مَقْصِدِهِ، وَتَصْحِيحُهُ لِصَلَاتِهِ، يُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَيْضًا، وَكَوْنُ الرُّكُوعَةِ تُدْرِكُ بِإِدْرَاكِ الرُّكُوعِ مَعَ الْإِمَامِ هُوَ قَوْلُ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ رَحْمَةً اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيُدْرِكُ الرُّكُوعُ بِدُخُولِ الْمَأْمُومِ مَعَ إِمَامِهِ فِيهِ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ الْإِمَامُ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ.

الفائدة الثالثة: يَظْهَرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَسْلُوبٌ مِنَ الْأَسَالِيبِ النَّبَوِيَّةِ الرَّفِيعَةِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، حَيْثُ لَمْ يَعْظِفِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَبَا بَكْرَةَ رضي الله عنه عَلَى فِعْلِهِ، بَلْ إِنَّهُ أَتَى عَلَيْهِ خَيْرًا؛ لِأَنَّ الدَّفَاعَ لَهُ عَلَى فِعْلِهِ هَذَا هُوَ الْحِرْصُ عَلَى إِدْرَاكِ الرُّكُوعِ مَعَ الْإِمَامِ، وَقَدْ فَعَلَ فِعْلًا يَظُنُّهُ حَسَنًا، فَقَالَ لَهُ: «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا»، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَّهَهُ لِحُطْأِ فِعْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ مُعَاوَدَتُهُ بِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «وَلَا تُعَدُّ»، فَأَيُّ أَسْلُوبٍ فِي النَّصْحِ أَحْسَنُ وَأَرْفَعُ مِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ؟ فَنُصِّحُ الشَّخْصَ بِتَنْبِيهِهِ عَلَى مَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ حُطْأٍ بَعْدَ شُكْرِهِ وَالتَّنَاءِ عَلَيْهِ فِيمَا أَحْسَنَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ أَوْ قَصْدٍ حَسَنٍ؛ أَدْعَى لِقَبُولِ النَّصِيحَةِ،

(١) رواه البخاري في كتاب صفة الصلاة، باب إذا ركع دون الصف ٢٧١/١ (٧٥٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار ٢٢٨/١ (٦١٠)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع

الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهي عن إتيانها سعيًا ٤٢٠/١ (٦٠٢).

والاستجابة للخير، على أن المنصوح ينبغي له قبول النصيحة كيف كانت ما دامت تدُّهُ على الحقِّ، ولا يمنعه سوء نيّة الناصح أو سوء طريقته أن يقبل النصيحة، وأن يتكبر على الحقِّ الذي معه، فالحقُّ له، وسوء تصرف الناصح يعودُ عليه.

ذِكْرُ اللَّهِ كُلِّ وَقْتٍ

٩٩- عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أحيانِهِ». رواه مسلم. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ، وَأَجَلِّ الطَّاعَاتِ، الْعَمَلُ بِهِ يَسِيرٌ، وَأَجْرُهُ كَثِيرٌ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَحْبُوبٌ وَعَظِيمٌ، وَهُوَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ الَّذِي يُحْرِزُ بِهِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَعَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ...» وفيه: قَالَ: «وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». رواه أحمد والترمذي. (٢)

الفائدة الثانية: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أحيانِهِ، وَلَنَا فِيهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ لَا أَنْ يَذْكُرُوهُ فَحَسَبُ، بَلْ أَنْ يُكْتَبُوا مِنْ ذِكْرِهِ، وَبِذَلِكَ أَمَرَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (٣)، وَقَالَ فِي وَصْفِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (٤)، وَقَالَ تَعَالَى فِي فَضْلِ هَوْلَاءِ وَثَوَائِهِمْ: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إِلَى أَنْ قَالَ: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (٥)، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْتَثِلُ ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ كَمَا أَخْبَرَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أحيانِهِ».

(١) رواه مسلم في كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها ٢٨٢/١ (٣٧٣).

(٢) رواه أحمد ٤/١٣٠، ٢٠٢، والترمذي في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة ١٤٨/٥ (٢٨٦٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه ابن خزيمة ٣/١٩٥ (١٨٩٥)، وابن حبان ١٤/١٢٤ (٦٢٣٣)، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ١/٥٨٢، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين ١/٢٣١، والألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤) وصحيح الترغيب والترهيب (٥٥٢).

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤١-٤٢.

(٤) سورة آل عمران آية ١٩١.

(٥) سورة الأحزاب آية ٣٥.

الفائدة الثالثة: ذكّر الله تعالى له فضائل كثيرة يصعب حصرها، فمنها: سعادة القلب وطمأنينته، يقول سبحانه وتعالى: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الذكر للقلب مثل الماء للسمك؛ فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟ اهـ (٢) ومن فضل ذكر الله: أنّ الله العظيم جلّ في علاه يذكّر من ذكره، كما قال تعالى: (فاذكروني أذكركم) (٣)، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى به فضلاً وشرفاً، ومن فضائله: كثرة الثواب؛ حتى إن ثوابه ليربو على إنفاق الأموال كما دلّت على ذلك الأحاديث الصحيحة (٤)، قال أبو بزة الأسلمي رضي الله عنه: لو أن رجلاً في حجره دينار يُعطيها، وآخر يذكر الله عز وجل؛ لكان الذكر أفضل (٥)، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أكبر مئة مرة أحب إليّ من أن أتصدق أتصدق بمئة دينار. (٦)

(١) سورة الرعد آية ٢٨.

(٢) نقله عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب ص ٦٣.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٤) منها: حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إغطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟»، قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله عز وجل». رواه أحمد ١٩٥/٥، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین ٦٧٣/١ وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٥) حلية الأولياء ٣٣/٢.

(٦) حلية الأولياء ١٧٨/٦.

تحريم الخلوَّة بالمرأة

١٠٠- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ النبي ﷺ يخطبُ يقول: «لا يخلونَ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعهما ذو محرم، ولا تُسافرُ المرأةُ إلا مع ذي محرم»، فقَامَ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، إن امرأتِي خرجت حاجَّةً، وإني اكتتبتُ في غزوةٍ كذا وكذا، قال: «انطلقِ فحجَّ مع امرأتِكَ». متفق عليه. (١)

يتعلق بهذا الحديث فوائد:

الفائدة الأولى: من المحرَّمات التي حدَّرَ منها النبي ﷺ: خلوَّة الرجلِ مع امرأةٍ من غير محارمه في مكانٍ لا يكونُ معهُما فيه أحدٌ (٢)؛ وذلك لما قد يُفضي إليه من الوقوع في الفاحشة أو مُقدّماتها، وهو بابٌ عظيمٌ من أبواب الشيطان يُدخلُ فيه على المؤمنِ الفتنة؛ وقد حدَّث عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنهما أن الصادق المصدوق ﷺ خطبَ بهم فقال في خطبته: «ألا لا يخلونَ رجلٌ بامرأةٍ إلا كانَ ثابتهما الشيطانُ». رواه أحمدٌ وغيره. (٣) ويدخلُ في ذلك: خلوَّة المرأة مع السائق في البيت أو غيره، وخلوَّة صاحب المنزل أو أحد أفراد الأسرة من الأبناء وغيرهم بالخدمَة، وكثيراً ما يقع الشرُّ والفسادُ بسبب التساهل في ذلك.

الفائدة الثانية: من أشدَّ ما يُنهى عنه من الخلوَّة: خلوَّة المرأة بأقارب زوجها؛ كأخيه وابن عمِّه وابن خالِهِ، ولذلك شدَّدَ فيها النبي ﷺ، فعن عُقبة بن عامرٍ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «إياكم والدُّخولَ على النساءِ»، فقال رجلٌ من الأنصارِ: يا رسولَ الله، أفرأيت الحموم؟ قال: «الحموم الموتُ». متفق عليه. (٤) قال الليثُ بن سعدٍ -رحمه الله-: الحموم: أخ الزوج، وما أشبهه من أقارب الزوج، ابن العمِّ ونحوه. (٥) وقال النووي رحمه الله: اتَّفَقَ أهل اللُّغة على أنَّ الأحماء أقاربُ زوج المرأة؛

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتبت في جيشٍ فخرجت امرأةٌ حاجَّةً وكان له غدرٌ هل يُؤذَنُ له؟ ١٠٩٤/٣ (٢٨٤٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حجٍّ وغيره ١٣٤١/٢، وهذا لفظه.

(٢) ووجود طفل لا يميز كعدمه.

(٣) رواه أحمد ١٨/١، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤٦٥/٤ (٢١٦٥) وهذا لفظه، والنسائي في السنن الكبرى ٣٨٧/٥ (٩٢١٩)، وصححه ابن حبان ٤٣٦/١٠ (٤٥٧٦)، و١٢٢/١٥ (٦٧٢٨)، والضياء في الأحاديث المختارة ١٩١/١ - ١٩٢ (٩٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي ﷺ.

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخلونَ رجلٌ بامرأةٍ إلا ذو محرمٍ والدُّخولُ على المُغيبة ٥/٢٠٠ (٤٩٣٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب تجريم الخلوَّة بالأجنبيَّة والدُّخول عليها ٤/١٧١١ (٢١٧٢)، وهذا لفظه.

(٥) ذكره مسلم عقب الحديث السابق ٤/١٧١١.

المرأة؛ كَعَمِّهِ وَأَخِيهِ وَابْنِ أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَنَحْوِهِمْ. اهـ^(١)، وَإِنَّمَا شَدَّدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَسَاهَلُونَ فِيهِ، وَلَا يَسْتَعْرِضُهُ الْآخَرُونَ، وَتَكْتُرُ مَا لَبَسَتْهُ فَيَقْعُ مِنْهُ الشَّرُّ، وَالَّذِي يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْأَلَّا يَنْتَظِرَ فِي تَنْفِيذِ أَوْامِرِ الشَّرْعِ وَنَوَاهِيهِ أَنْ يَقْعَ الشَّرُّ بِهِ أَوْ بِقَرِيْبِهِ، بَلْ يُنْفِذُهَا بِمُجَرَّدِ سَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَسَلِّمُ مِنَ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

القائدة الثالثة: كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى عِلْمِهِمْ وَوَرَعِهِمْ وَصَلَابَتِهِمْ - لَا يَتَسَاهَلُونَ فِي الْخُلُوةِ بِغَيْرِ مَحَارِمِهِمْ، وَيَحْذَرُونَهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَدَبَّرَ مَا قَالَ عَبْدُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَنْصَحُ النَّاسَ وَقَدْ كَبُرَتْ سِنُّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَلَا تَرَوْنِي لَا أَقُومُ إِلَّا رِفْدًا، وَلَا أَكَلُّ إِلَّا مَا لُوقَ (يَعْنِي: لُئِنِ وَسُخِنَ)، وَقَدْ مَاتَ صَاحِبِي مِنْذُ زَمَانٍ (يَعْنِي ذِكْرَهُ)، وَمَا يَسُرُّنِي أَنِّي خَلَوْتُ بِامْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لِي وَأَنَّ لِي مَا تَطَّلَعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَأْتِيَ الشَّيْطَانُ فَيُحَرِّكُهُ^(٢). وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: قَالَ لِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: يَا مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ إِنِّي أَوْصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظْهَا: إِيَّاكَ أَنْ تَخْلُوَ بِامْرَأَةٍ غَيْرِ ذَاتِ مَحْرَمٍ؛ وَإِنْ حَدَّثَتْكَ نَفْسُكَ أَنْ تُعَلِّمَهَا الْقُرْآنَ^(٣). وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَا أَيْسَرَ الشَّيْطَانَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ النِّسَاءِ، ثُمَّ قَالَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَهُوَ يَعِشُو بِالْأُخْرَى: مَا شَيْءٌ أَحْوَفُ عِنْدِي مِنَ النِّسَاءِ^(٤)، وَقَالَ أَيْضًا: مَا خِفْتُ عَلَى نَفْسِي شَيْئًا مَخَافَةَ النِّسَاءِ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّ مِثْلَكَ لَا يُرِيدُ النِّسَاءَ، وَلَا تُرِيدُهُ النِّسَاءُ! فَقَالَ: هُوَ مَا أَقُولُ لَكُمْ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا أَعْمَشَ^(٥).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٤/١٤، وذكر أولهم الأب، وهو من الأعماء لكنه لا يدخل في تحريم الخلو لأنه من المحارم فحذفته، وانظر: فتح الباري ٣٣١/٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٢، وقوله: لا أقوم إلا رفا: أي إلا بمساعدة ومعاونة، يشير بذلك إلى كبر سنه.

(٣) حلية الأولياء ٥/٢٧٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٢٣٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤/٢٤١، والعَمَشُ والعَشَى كلاهما من باب تعب: ضعف في البصر (المصباح المنير).

قائمة بأهم المراجع

١. الآحاد والمثاني، تأليف: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبي بكر الشيباني، دار النشر: دار الراجعية - الرياض - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة.
٢. الأحاديث المختارة، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة المكرمة - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.
٣. الإحكام في أصول الأحكام، تأليف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبي محمد، دار النشر: دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى.
٤. الآداب الشرعية والمنح المرعية، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام.
٥. الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٩، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٦. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، تأليف: الإمام النووي، دار النشر: دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق، ط. الثانية ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
٨. الاستدكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا - محمد علي معوض.
٩. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف بالموضوعات الكبرى، تأليف: نور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري، دار النشر: دار الأمانة / مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، تحقيق: محمد الصباغ.

١٠. الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة، لزين الدين بن إبراهيم الشهير بابن نجيم الحنفي، ط. الأولى ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية-لبنان.
١١. الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي.
١٢. الاعتصام، تأليف: أبي إسحاق الشاطبي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
١٣. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: علي بن سليمان المرادوي أبي الحسن، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
١٤. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير؛ للإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملتن، تحقيق: محيي الدين بن جمال الدين، ومصطفى أبي الغيط عبدالحفي، ط. الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار الهجرة للنشر والتوزيع-السعودية-الثقة.
١٥. بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، ط. الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، مكتبة الدليل، الجبل الصناعية- المملكة العربية السعودية.
١٦. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تأليف: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.
١٧. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ت/محمد علي النجار، وعلي محمد البجاوي، الثقافة والإرشاد القومي-المؤسسة المصرية العامة.
١٨. تحفة المودود بأحكام المولود، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار النشر: مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة: الثانية ١٤٠٧، تحقيق: بشير عيون.

١٩. تخرّيج أحاديث إحياء علوم الدين؛ لمحمود بن محمد الحداد، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ
١٩٩٧ م، دار العاصمة-الرياض.
٢٠. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تأليف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري
أبي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧، الطبعة: الأولى، تحقيق:
إبراهيم شمس الدين.
٢١. تسمية المولود للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ-
١٩٩٥ م، دار العاصمة-الرياض.
٢٢. تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، تأليف: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي،
دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
٢٣. تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، دار
النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١.
٢٤. تقريب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي،
دار النشر: دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة.
٢٥. تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل
العسقلاني - المدينة المنورة - ١٣٨٤ - ١٩٦٤، تحقيق: السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.
٢٦. تنقيح تحقيق أحاديث التعليق، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي
الحنبلي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أيمن
صالح شعبان.
٢٧. تهذيب التهذيب، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي،
دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى.
٢٨. تهذيب الكمال، تأليف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبي الحجاج المزني، دار النشر:
مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. بشار عواد
معروف.

٢٩. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد؛ للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٣٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥.
٣١. الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
٣٢. سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
٣٣. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط / إبراهيم باجس.
٣٤. الجامع في الحديث، تأليف: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي أبي محمد المصري، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية - ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى حسن حسين أبو الخير.
٣٥. حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، تأليف: أبي بكر ابن السيد محمد شطا الدمياطي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.
٣٦. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة؛ لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن محمود أبو رحيم، الطبعة الثانية: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، دار الراجية-الرياض.
٣٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.

٣٨. الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية، تأليف: محمد العربي القروي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٩. الروض المربع شرح زاد المستقنع بحاشية ابن قاسم، للشيخ منصور بن يونس البهوتي، ط. الثانية ١٤٠٣.
٤٠. روضة الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الثانية.
٤١. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الثالثة.
٤٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، تأليف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبدالله، دار النشر: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط.
٤٣. الزهد، تأليف: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبي بكر، دار النشر: دار الريان للتراث - القاهرة - ١٤٠٨، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد.
٤٤. الزهد، تأليف: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبي عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
٤٥. الزهد، تأليف: هناد بن السري الكوفي، دار النشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.
٤٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق، ط. الثانية ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩ م (من ١-٤).
٤٧. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - الرياض، ط. الأولى ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م (من ٥-٧).
٤٨. سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق، ط. الرابعة ١٣٩٨ هـ (من ١-٤).

- ٤٩ . سنن ابن ماجه، تأليف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار النشر: دار الفكر - بيروت - -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،
- ٥٠ . سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر - -، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ٥١ . سنن البيهقي الكبرى، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبي بكر البيهقي، دار النشر: مكتبة دار الباز - مكة المكرمة - ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.
- ٥٢ . سنن الدارقطني، تأليف: علي بن عمر أبي الحسن الدارقطني البغدادي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٨٦ - ١٩٦٦، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.
- ٥٣ . سنن الدارمي، تأليف: عبدالله بن عبدالرحمن أبي محمد الدارمي، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: فواز أحمد زمري، خالد السبع العلمي.
- ٥٤ . السنن الكبرى، تأليف: أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ - ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.
- ٥٥ . سنن النسائي (المجتبى)، تأليف: أحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
- ٥٦ . سير أعلام النبلاء، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- ٥٧ . السيل الحرار المتدفق على حدائق الأزهار، تأليف محمد بن علي الشوكاني. تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط. الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٥٨ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٥٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض.
٦٠. الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به: الدكتور سليمان بن عبدالله أبا الخيل، والدكتور خالد بن علي المشيقح، ط. الأولى ١٤١٤ هـ، مؤسسة آسام للنشر - الرياض.
٦١. شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الثانية.
٦٢. الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري؛ تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميحي، الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م، دار الوطن - الرياض.
٦٣. شعب الإيمان، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٦٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٦٥. صحيح ابن خزيمة، تأليف: محمد بن إسحاق بن خزيمة أبي بكر النيسابوري، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٣٩٠ - ١٩٧٠، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
٦٦. صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق، ط. الثالثة ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م.
٦٧. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٨. صفة الصفوة، تأليف: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج بن الجوزي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٩ - ١٩٧٩، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاحوري - د. محمد رواس قلعه جي.
٦٩. الصلاة وحكم تاركها للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مكتبة دار التراث - المدينة المنورة.
٧٠. الضعفاء الكبير، تأليف: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، دار النشر: دار المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي
٧١. الطبقات الكبرى، تأليف: محمد بن سعد بن منيع أبي عبدالله البصري الزهري، دار النشر: دار صادر - بيروت.
٧٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧٣. الفتاوى السعدية؛ للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، مكتبة المعارف - الرياض
٧٤. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش ط. الأولى ١٤١٦ - ١٩٩٦، دار العاصمة .
٧٥. الفتاوى الهندية في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تأليف: الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار النشر: دار الفكر - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٧٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
٧٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود شعبان عبد المقصود ومجدي عبد الخالق الشافعي وجماعة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة.

٧٨. فتح العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير؛ لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل عبد الموجود، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
٧٩. فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدى؛ تأليف: كمال الدين محمد بن عبدالواحد السيواسي المعروف بابن الهمام الحنفي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية.
٨٠. الفروع وتصحيح الفروع، تأليف: محمد بن مفلح المقدسي أبي عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: أبو الزهراء حازم القاضي.
٨١. الفوائد، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣، الطبعة: الثانية.
٨٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ١٣٥٦هـ، الطبعة: الأولى.
٨٣. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر.
٨٤. القراءة خلف الإمام، تأليف: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبي بكر، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول.
٨٥. الكبائر، تأليف: محمد بن عثمان الذهبي، دار النشر: دار الندوة الجديدة - بيروت.
٨٦. كشف القناع عن متن الإقناع، تأليف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٢، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال.
٨٧. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥، ط. الرابعة، /: أحمد القلاش.

٨٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧.
٨٩. المجموع شرح المهذب، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٧م.
٩٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبي العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
٩١. مجموع فتاوى و مقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وإشراف د. محمد بن سعد الشويعر، ط. الأولى ١٤٢٠، دار القاسم.
٩٢. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر.
٩٣. المحلى، تأليف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، دار النشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي.
٩٤. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، طبعة: ١٩٨٩ - مكتبة لبنان-لبنان.
٩٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.
٩٦. مسند أبي عوانة، تأليف: أبي عوانة يعقوب بن إسحاق الاسفرائني، دار النشر: دار المعرفة - بيروت.
٩٧. مسند أبي يعلى، تأليف: أحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلی التميمي، دار النشر: دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.

- ٩٨ . مسند إسحاق بن راهويه، تأليف: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الخنظلي، دار النشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة - ١٤١٢ - ١٩٩١، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي.
- ٩٩ . مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة - مصر.
- ١٠٠ . المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي - مكتبة لبنان - لبنان.
- ١٠١ . المصنف في الأحاديث والآثار، تأليف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- ١٠٢ . المصنف، تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- ١٠٣ . المعجم الكبير، تأليف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء - الموصل - ١٤٠٤ - ١٩٨٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- ١٠٤ . معرفة السنن والآثار عن الامام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، تأليف: الحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو أحمد البيهقي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة: بدون، تحقيق: سيد كسروي حسن.
- ١٠٥ . مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تأليف: محمد الخطيب الشربيني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- ١٠٦ . المغني شرح مختصر الخرقى، تأليف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبي محمد، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.
- ١٠٧ . المغني عن حمل الأسفار، تأليف: أبي الفضل العراقي، دار النشر: مكتبة طبرية - الرياض - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أشرف عبد المقصود.

- ١٠٨ . مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام؛ للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جاسر، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
- ١٠٩ . المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تأليف: أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عثمان الخشت.
- ١١٠ . موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر؛ للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني؛ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وصبحي السامرائي، ط. الأولى ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية.
- ١١١ . مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، تأليف: محمد بن عبد الرحمن المغربي أبي عبد الله، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨، الطبعة: الثانية.
- ١١٢ . موطأ الإمام مالك، تأليف: مالك بن أنس أبي عبد الله الأصبحي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - مصر - -، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ١١٣ . النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
- ١١٤ . الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، للدكتور محمد صدقي البورنو، مكتبة المعارف - الرياض، ط. الثانية ١٤١٠ هـ، ١٩٨٩ م.

الفهرس

الصفحة	العنوان	م
٣	المقدمة	٢
	طرف الحديث	موضوع الحديث
٥	«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِأَمْرٍ مَا نَوَى».	١
٧	«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً».	٢
٩	«إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».	٣
١١	«فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْخَرَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ».	٤
١٢	«وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ».	٥
١٣	«مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ».	٦
١٥	«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ».	٧
		والسيئات
١٧	«السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ».	٨
١٨	أَتَوْضَأُ مِنْ حُومِ الْإِبِلِ؟ قَالَ: «نَعَمْ فَتَوَضَّأُ مِنْ حُومِ الْإِبِلِ».	٩
٢٠	«مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ: إِحْدَاهُمَا حُطُّ خَطِيئَةٍ، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً».	١٠
٢٢	«إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَلَا تُكَبِّرُوا حَتَّى يُكَبِّرَ».	١١
		مشروعية متابعة الإمام وتحريم مسابقتها
٢٤	إِنْ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَثَدَّنْ لِي بِالزَّانَا!	١٢
		عَفَّةُ الْفَرْجِ وَالرَّفْقُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الشَّبَابِ
٢٦	«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ؛ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ».	١٣
		مشروعية تحية المسجد

- ١٤ وجوب الطمأنينة في الصلاة المسيء في صلاته «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل».
- ٢٨
- ١٥ فضل العدل وأنه من «سَبَعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ».
- ٣٠
- الحِصَالِ الْمَوْجِبَةِ لِظِلِّ الْعَرْشِ
- ١٦ تحريم الحلف بغير الله والمقامرة «من حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى؛ فَلْيُقْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».
- ٣٢
- ١٧ أحب الأسماء إلى الله تعالى «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ».
- ٣٤
- ١٨ فضل (لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)
- ٣٦ «أَيُّ عَمٍّ قُل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ».
- ٣٨
- ١٩ الطهارة شرط لصحة الصلاة
- ٣٨ «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ».
- ٢٠ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ
- ٤٠ نَافَقٌ حَنَظَلَةٌ!... «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُوْمُونَ عَلَيَّ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنَظَلَةُ سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ».
- ٢١ فضل السنن الرواتب
- ٤٢ «من صلى اثنتي عشرة ركعة في يومٍ وليلة، بُني له بهن بيت في الجنة».
- ٢٢ مشروعية التيامن
- ٤٣ «كان النبي ﷺ يُحِبُّ التَّيْمُنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ».
- ٢٣ كراهية التذر
- ٤٥ «لَا تَتَذَرُوا، فَإِنَّ التَّذَرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدْرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ».
- ٢٤ الهمة العالية وشكر الناس
- ٤٧ «سَأَلْتُ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».
- ٢٥ حُكْمُ الْبَوْلِ قَائِمًا
- ٤٩ أتى النبي ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا.
- ٢٦ السِّدَادُ وَالْمُقَارَبَةُ
- ٥١ «لَنْ يُنَجِّي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا: ولا أنت يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «ولا أنا؛ إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدُّوا وَقَارِبُوا».
- ٢٧ فضل الصفِّ الأوَّل والتبكير إلى الصَّلَاةِ وَصَلَاتِي الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ
- ٥٣ «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهْمُوا»
- ٢٨ مصادر التلقِّي وهدْيُ
- ٥٥ يا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُؤَدَّعٍ؛ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فقال:

- السلفِ «أوصيكم بتقوى الله، والسَّمْعِ والطَّاعة». ٥٧
- ٢٩ وجوب السجود على الأعضاء السبعة
- ٣٠ عدم احتقار فعل المعروف ولو يسيراً
- ٣١ ذكر الله يطرد الشياطين
- ٣٢ الاحتساب في النفقة
- ٣٣ السلام تحية الإسلام
- ٣٤ محبة الصحابة رضي الله عنهم
- ٣٥ شرف آل بيت النبي صلى الله عليه وآله
- ٣٦ النساء شقائق الرجال وفضل أمهات المؤمنين
- ٣٧ البدع كلها ضلالٌ
- ٣٨ صورة من نعيم الجنة
- ٣٩ استحباب الجنث في اليمين إذا كان ذلك أفضل
- «أوصيكم بتقوى الله، والسَّمْعِ والطَّاعة». ٥٧
- «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمٍ». ٥٧
- «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا؛ وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَحَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ». ٥٩
- «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ ۖ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ». ٦٠
- «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا؛ كَانَتْ لَهُ ۖ صَدَقَةً». ٦٢
- «(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْلَا أُذِلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». ٦٤
- «خَيْرُ أُمَّتِي قُرْبِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». ٦٦
- «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ رَبِّي فَأُجِيبُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ... وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرْكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». ٦٨
- «كَمَلْ مِنَ الرَّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». ٧٠
- كَانَ صلى الله عليه وآله يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ». ٧٢
- كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ». ٧٤
- «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكْفَرُ عَنْ يَمِينِكَ، وَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». ٧٦

- ٤٠ يرُّ الوالدين من أحقِّ الناس بحُسنِ صحَابَتِي؟ قال: «أُمَّكَ». ٧٨
- ٤١ أهمية الدعاء وترك الاستعجال فيه «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ؛ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ». ٨٠
- ٤٢ حقيقة شكر الله تعالى كان ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ .. قال: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا». ٨٢
- ٤٣ الإحسان في تعلم قراءة القرآن الكريم وحفظه «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَةِ». ٨٤
- ٤٤ الحثُّ على الزَّوْجِ «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ». ٨٦
- ٤٥ تحريم القول في الدين بغير علم «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ». ٨٨
- ٤٦ تعاون الزوجين «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيَّقَطَ امْرَأَتَهُ». ٩٠
- ٤٧ تحريم الغيبة «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟». ٩٢
- ٤٨ ظهور الفتن «فَإِنِّي لِأَرَى الْفِتْنَ تَقَعُ حِثَّامًا لِيُوتِيَكُمْ كَوْعِ الْقَطْرِ». ٩٤
- ٤٩ أهمية الوقت «نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ». ٩٦
- ٥٠ الحثُّ على ذِكْرِ اللَّهِ كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: (جُمْدَانُ) فَقَالَ: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ». ٩٨
- ٥١ الحُبُّ في الله «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرَادَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا. هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أُنِي أَحَبُّهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». ١٠٠
- ٥٢ الأمر بالسكون في الصَّلَاةِ «عَلَامٌ تُومِئُونَ بِأَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ». ١٠٢
- ٥٣ الصبرُ على تعليم الجاهل ودعوته «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ». ١٠٤
- ٥٤ وجوب أمر الأولاد بالصلاة «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ». ١٠٦
- ٥٥ حُسْنُ الْخُلُقِ «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». ١٠٨
- ٥٦ الصَّرُّ منفيٌّ في الشريعة «لَا ضَرَرَ، وَلَا ضِرَارٌ». ١١٠

- ٥٧ معركة مع الشيطان «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ».
- ٥٨ الحساب يوم القيامة «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ (أَرْبَعٍ)».
- ٥٩ مواضع رفع اليدين في الصلاة وصفته كان إذا دخل في الصَّلَاةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَفَعَ يَدَيْهِ.
- ٦٠ الاهتمام بصلاح القلب «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْعَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».
- ٦١ مشروعية صلاة الضحى كلّ يوم «صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمِضُ الْفِصَالُ».
- ٦٢ الرِّفْقُ بِالْمَدْعُورِينَ انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنِ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ.
- ٦٣ الشرك أعظم الذنوب أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ».
- ٦٤ الإِحْسَانُ وَالْمُرَاقَبَةُ ما الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».
- ٦٥ الدِّينُ النَّصِيحَةُ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ».
- ٦٦ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ».
- ٦٧ تربية الأولاد على أحكام الإسلام «كَيْ خَ كَيْ خَ، أَمْ عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ».
- ٦٨ مشروعية تحية المسجد أثناء خطبة الجمعة «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ - أَوْ قَدْ خَرَجَ - فَلْيُصَلِّ رَكَعَتَيْنِ».
- ٦٩ آداب الطَّعَامِ «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ».
- ٧٠ صفة التسمية على الأكل والشرب «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ».

- ٧١ مشروعية إبرار المُقسِمِ «أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ» ١٤٠
- ٧٢ تحريم الحلفِ بغير الله «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَأكُمْ أَنْ تُحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» ١٤٢
- ٧٣ كفارة اليمين «وَاللَّهُ لَأَنْ يَلِجَ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ، أَمْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ١٤٤
- ٧٤ اتقاء النارِ بالعمل الصالح ولو كان قليلا «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِيكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» ١٤٦
- ٧٥ جودُ النبي ﷺ وكرمه في الدعوة إلى الله أعطى ﷺ رجلاً غنماً بين جبلين، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» ١٤٨
- ٧٦ مشروعية دعاءِ الاستفتاح كان رسول الله ﷺ إذا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ سَكَتَ هُنَيْئَةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ. قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» ١٥٠
- ٧٧ رجالٌ ونساءٌ من أهلِ النارِ «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَرْهَمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سَيَاطُ كَاذِبَاتِ الْبَقْرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ» ١٥٢
- ٧٨ صفةُ الوضوءِ أن عُمَانَ ﷺ دَعَا بِوَضُوءٍ، فَأَفْرَعُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ فَعَسَلَهُمَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْوَضُوءِ... ١٥٤
- ٧٩ مشروعية السَّوَاكِ «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لِأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ» ١٥٦
- ٨٠ المسح على الجوربين «دَعُهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ» ١٥٨
- ٨١ الشكُّ في الحَدَثِ، وتجنبُ الوَسْوَسةِ «لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا» ١٦٠
- ٨٢ ما يجزئ عن شكر كل يوم «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامِي مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» ١٦٢
- ٨٣ حُكْمُ الطَّلَاقِ، والفرقُ بين طلاقِ السُّنَّةِ والبِدْعَةِ قال: «مُرُهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهَرَ، ثُمَّ تَحِيضَ ثُمَّ تَطْهَرَ، ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدُ وَإِنْ شَاءَ طَلَّقَ» ١٦٤
- ٨٤ قراءة القرآن الكريم «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ (وَيَعْمَلُ بِهِ) كَمَثَلِ الْأَثْرَجَةِ رِيحُهَا» ١٦٦

طَيِّبُ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ».

- ٨٥ الآية الكبرى للرسول ﷺ «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي».
- ٨٦ الخلود في الجنة وبعض نعيمها «يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ.. ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ».
- ٨٧ دعاء الركوب والسفر كان إذا استوى على بعيره.. قال: «(سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى».
- ٨٨ الرِّبَا من كبائر الذنوب «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكِلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ، وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ»، وقال: «هُمُ سَوَاءٌ».
- ٨٩ وجوب أداء الديون «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يَرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يَرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ».
- ٩٠ اتِّبَاعُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النِّوَاهِي «إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».
- ٩١ الاستماع لقراءة القرآن الكريم «أَفْرَأُ عَلَيَّ»، قلت: أَفْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ! قال: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي».
- ٩٢ العمل الذي يستمر بعد الموت «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مَنْ بَعَدَ صَدَقَةٍ ٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».
- ٩٣ صلاة المريض «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ».
- ٩٤ قُرْبُ الْجَنَّةِ «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ».
- ٩٥ المساجد أفضل البقاع «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْعَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَأُهَا».
- ٩٦ حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ فوق محبة النفس «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ».
- ٩٧ تعظيم المساجد وتطهيرها «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدَرِ،

إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عِزِّ وَجَلِّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».

- | | | | |
|-----|---|-----|------------------------------------|
| ١٩٤ | «زَادَكَ اللَّهُ حِرْصًا، وَلَا تَعُدْ». | ٩٨ | الركوع دون الصفِّ |
| ١٩٦ | «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ». | ٩٩ | ذِكْرُ اللَّهِ كُلِّ وَقْتٍ |
| ١٩٨ | «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا | ١٠٠ | تَحْرِيمُ الْخُلُوعِ بِالْمَرْأَةِ |
| | مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». | | |